

المنظمة العربية للترجمة

إبراهيم جبرائيل صوما

الثقافة السريانية



ترجمة

الشّمّاس بطرس قاشا

الثقافة السريانية

لجنة العلوم الإنسانية والاجتماعية

هدى مقتضى (منسقة)
سمية الجراح
رجاء مكبي
صالح أبو إصبع
الأب بولس وهبه

المنظمة العربية للترجمة

إبراهيم جبرائيل صوما

الثقافة السريانية

ترجمة

الشّمّاس بطرس قاشا

مراجعة وتقديم

الأب سهيل قاشا



الفهرسة أئماء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
صوما، إبراهيم جرائيل
الثقافة السريانية/إبراهيم جرائيل صوما؛ ترجمة بطرس قاشا؛
مراجعة وتقديم سهيل قاشا.
336 ص. - (علوم إنسانية واجتماعية)
يشتمل على فهرس.

ISBN 978-614-434-046-2

1. الحضارة القديمة. 2. الثقافة. أ. العنوان. ب. قашا، بطرس
(مترجم). ج. قاشا، سهيل (مراجعة). د. السلسلة.

306

"الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة"

Zsaumo, Abrohom Gabriel

*Ktobo Dmarduto Dsuryoye: Historia de la Cultura de Los
Asirianos Arameos*

© Casa Editorial Asiria, Banfield - Buenos Aires Republica-
Argentina, 1967.

© جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصاراً:



المنظمة العربية للترجمة

بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 5996-113
الحرماء - بيروت 2090 1103 - لبنان

هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - Web Site: <http://www.aot.org.lb>

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحرماء - بيروت 2407 2034 - لبنان

تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)

برقياً: "معربي" - بيروت / فاكس: 750088 (9611)

e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: <http://www.caus.org.lb>
الطبعة الأولى: بيروت، نيسان (أبريل) 2014

المحتويات

7	مقدمة الطبعة
9	مقدمة الناشر (في الكتاب الأصلي)
11	مقدمة المحقق
15	تعريف السريان الآراميين
33	الفصل الأول: الأمة السريانية وشعوبيها
49	الفصل الثاني: البابليون والآثوريون
	الفصل الثالث: اللغة والكتابة والقراءة لدى
79	البابليين والآثوريين
	الفصل الرابع: العلوم والمعارف عند
103	الآثوريين والبابليين

الفصل الخامس: الكنعانيون والفينيقيون	117
الفصل السادس: عن اللغة الآرامية وانقسامها إلى الشرقية والغربية	145
الفصل السابع: اللغة السريانية	193
الفهرس	233

مقدمة الطبة

إن الجزء الأول لكتاب الثقافة السريانية الذي اعنى بجمع محتوياته السيد إبراهيم جبرائيل صوما، هو الأول من نوعه ولا يوجد مثله بهذا النمط كتاب آخر في اللغة السريانية.

اعنى كاتبه وثابر على جمعه من كتب شتى وسهر لذلك أياماً وليالى وجمعها من خزائن عديدة لا تُحصى، إذ كان يسهر ويعقب على ثقافة وأعمال أدبائنا وعلو شأنهم وترتيب لغتهم، ومن يطلع عليها فإنه يكون مشغوفاً بحبهم ومقدراً لهم، وليس لأنه اطلع على هذه الثقافة والمدنية ولعلم اللغة بكل جدّ واجتهاد إنما لإشاع المطالعين لها، إذ حبذا لو يتذمرون منها وتكون حقيقةً لديهم في جمْع هذه التسمية وخدمة الأمة السريانية لأنهم من فرع واحد وأصل واحد منذ القدم، وإن الانقسام الذي حصل ليس من الصواب أن يحتضنها.

فيؤيد الكاتب أن يحتضنها قرأوها وتكون لديهم عزيزةً مكرمةً ويحفظونها في قلوبهم لكي يكونوا سرياناً حقيقيين ويشكرون الذي

كتبها ويهتئونه على فكرته ولتكن آناملُه التي كتبت هذه الأسطر دائمة.

مطران السريان

في ماردين

فولكسينوس يوحنا الدولباني

كتب في ماردين - بين النهرين.

1955 / 5 / 2

مقدمة الناشر

(في الكتاب الأصلي)

الكتاب مطبوع باللغة السريانية الغربية والقلم الغربي الخاصين بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية (اليعقوبية) حجمه: 19×20 سم وعدد صفحاته 180 صفحة مع صفحتين للمقدمة الفرنسية ومقدمة باللغة السريانية كتبها المطران فيليوكسينيوس يوحنا الدولباني، ومؤرخة في 2 أيار / مايو 1955 بماردين - بين النهرين وترجمه إلى اللغة العربية الشمامس بطرس متى بهنام قاشا في بلدة باخديدا (قره قوش) في تشرين الأول / أكتوبر سنة 1987 ميلادية وقد قال في ذلك:

"أنا الفقير ترجمت من السريانية إلى العربية هذا الكتاب ماردوتو دسوريويبي "الثقافة السريانية" لعله يوجد من يحب أن يطلع على محتوياته وهو غير متقن للغة السريانية؛ فقمت بترجمته نزولاً عند رغبة ولدي سهيل الشغوف والمتأثر على مطالعة التواريχ القديمة من دون فتور ليل نهار. فباشرت بترجمته في اليوم العاشر من شهر تشرين الأول / أكتوبر سنة 1978 وبصورة غير متواصلة وإنما حسب ما تنسى لي من الأوقات متوكلاً على الله تعالى".

ثم يضيف:

"انتهيتُ من ترجمته أنا الفقير إلى الله الشماس بالاسم والبعد عن واجبه بطرس متى قاشا في اليوم الثالث والعشرين من شهر كانون الأول / ديسمبر لسنة 1978 وأنا بالأصل من قره قوش وساكن في الموصل، ترجمته استناداً إلى رغبة ولدي سهيل قاشا".

أما أنا ولدُه سهيل فأقول: بدأت بتبييض مسوّدة الترجمة مساء يوم الخميس المصادف 13 شباط / فبراير 1992، وانتهيت من ذلك يوم الأربعاء المصادف 29 من نيسان / أبريل 1992."

ويختتم المؤلّف كتابه بهذه الكلمات: "وضع الكتاب باللغة السريانية إبراهيم بن جرائيل صوما من مدينة مدیات من طور عبدين من جبال آثور^(*) لذكر سام بن نوح أبو الطوائف السامية واتحادهم ومنه تكونت الأمة السريانية التي أخرجت اللغة السريانية، ولذكر آبائنا آشور وكنعان وأرام المتكلمين باللغة السريانية وتشريفاً للملك سرجون الأول صاحب اللغة البابلية وبكر اللغة السريانية والتي انتشرت في كل قُطْر ومصر بواسطة الملوك السريان".

والegend لله في كل حين، أمين

في مدينة سانبول، البرازيل

(*) آثور أو آشور هو لفظ واحد يدّيأ أنه كان يُلفظ "آثور" في بابل، أما الكنعانيون والفينيقيون والعربانيون فقد كانوا يلفظونه "آشور" (المنظمة العربية للترجمة).

مقدمة المحقق

في العام 1973م، استلمت طرداً بريدياً يحمل لي كتاباً سريانياً بقلم الأستاذ إبراهيم جبرائيل صوماً، والمنشور في الأرجنتين عام 1967م، يبحثُ في تاريخ الحضارة السريانية والدوليات الآرامية، وقد جعله مؤلفه تحت عنوان كثوبو دماردوتو دسوريويي "كتاب الثقافة السريانية" بالحرف السرياني الغربي، وحينما تصفحته وجده كتاباً لا بدّ من أن يرى النور بالترجمة العربية لما فيه من المعلومات التاريخية الجليلة، والكتاب مقسم إلى سبعة فصول، وهي التالية:

الفصل الأول: الأمة السريانية وشعوّها حيث يقسمه على الفرات التالية:

(1) فترة المملكة البابلية الأولى وتبتدىء في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد.

(2) فترة المملكة الآثرية الأولى وتبتدىء من أزمنة غير معلومة، وتنتهي في أواخر ألف الثاني قبل الميلاد.

(3) فترة المملكة الآثرية الثانية وتبتدئ حوالي الألف الأخير للميلاد وتنتهي سنة 606 قبل الميلاد بانقراض مملكة نينوى.

(4) فترة المملكة البابلية الثانية (الكلدانية) وتبتدئ سنة 625 قبل الميلاد، وتنتهي سنة 533 قبل الميلاد.

الفصل الثاني: تحت عنوان: "البابليون والآثوريون" وقد قسمه إلى:

(1) المملكة البابلية الأولى.

(2) مملكة آشور الأولى.

(3) مملكة آشور الثانية.

(4) المملكة البابلية الثانية.

الفصل الثالث: اللغة والكتابة القراءة لدى البابليين والآثوريين. ويتكلّم فيه عن الكتابة والقلم الآرامي السرياني الأول المسمى بالقلم المسماوي الذي دُوّنَت به مجالات الثقافة في مجلمل الأدب القديم وأساطيره الحضارية التي تبيّن بصورة واضحة كلّ الأفكار والوجوه الحضارية في العالم القديم.

الفصل الرابع: العلوم والمعارف عند الآثوريين والبابليين قبل الميلاد، وهو يشرح بدراسة وعمق كبيرين كلّ المظاهر الحضارية في العلوم الأولى والمعارف الشاملة لدى الآثوريين والبابليين ولا سيما في الأجيال الأولى، (الألف الثالث والثاني) قبل الميلاد مع ذكر نماذج سامية لتلك الصور الحضارية العتيقة.

الفصل الخامس: الكنعانيون والفينيقيون، وفي هذا الفصل لا ينسى الشعبين المُنحدرين من سام بن نوح، أشقاء البابليين (الأكديين) والآشوريين (الآشوريين) مبرهناً أنَّ جميع أبناء بين النهرين هم أمة واحدة حملوا مشاعل الحضارة الواحدة وقدموها للعالم حيث أضاؤوه بمنارة العلم والأدب والمعرفة.

الفصل السادس: اللغة الآرامية وانقسامها إلى الشرقية والغربية، بحسب القلم واللفظ للمفردات وبحسب الترقيق والتقسيمة^(*).

الفصل السابع: اللغة السريانية، بهذا الفصل الأخير يتكلّم المؤلّف عن اللغة السريانية الحاضرة من كافة النواحي الأدبية والمعرفية، مع أمثلة عامة وخاصة في الأدب والنحو والشعر والنشر.

بهذا التقسيم العلمي الرافي أتى المؤلّف بكتابه هذا على تاريخ شامل وواضح في تاريخ الحضارة التي برزت في عالم الوجود منذ القرن الثالث قبل الميلاد حيث أعطت للبشرية الكتابة الأولى بالقلم المسماوي على يد السومريين سكّان بلاد الرافدين الأصليين الذي رسموا خطوطَ الحضارة الأولى حيث إن التاريخ يبدأ في سومر، ومن ثم ظهر أبناؤهم وأحفادهم بالأكديين والبابليين ثم الآشوريين والكلديين (الكلدانيين) فحملوا مشعل الحضارة في شرق بلاد النهرين، وأيضاً أمثال الكنعانيين والفينيقيين في غرب بلاد النهرين، والآخرين (الفينيقيين) هم الذين حملوا الأبجدية والحرف البسيط إلى العالم الغربي.

(*) هي طريقة خاصة باللغة السريانية، تعتمدُ وضع علامات ترقيم تحت الحرف إن كان ليناً وفوقه إن كان قاسياً. (في العربية: الترقيق والتقسيمة) (المؤسسة العربية للترجمة).

فالكتاب بهذا غنيٌّ بأبوابه التي فتحها في صرح التاريخ القديم وغنىٌ عن التعريف إذ خرج من قلم عالم كبير غير على تاريخ حضارته حريص على العودة إلى أنس البناء وأساسه في تاريخ الشعوب الماضية والحاضرة ودليل هادٍ لتاريخ تلك الأمم والأقوام التي بصمت أياديهم تاريخ الشرق الأصيل والشمين.

كذلك فإن المترجم نفعَ في الكتاب من أنفاسه الصادقة ومحبته الراسخة لأمة السريانية التي هي من خيرة الأمم فقد أعطت من أصالتها لكل الشعوب، ويقدم المترجم الكتاب لأبناء السريان شرقاً وغرباً ليكون دليلاً للأحفاد للاطلاع على تاريخ أمتهم مرسوماً بصور دقيقة وبخطوط واضحة ومستقيمة، ويضعه أمام الباحثين المتعطشين لقراءة هذا التاريخ العظيم المكمل لتاريخ أبناء عمومتهم العرب الذين تعاونوا معهم في بناء الحضارة العربية الشامخة من طريق الترجمة في أيام الدولة العربية الأموية (661-750م) والدولة العباسية (750-1258م) وحتى يومنا هذا على الطريق نفسه.

الأب سهيل قاشا

دير يسوع الملك 15 آذار / مارس 2013

تعريف السريان الآراميين

في أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، تسرّبت قبائل رعوية وتتدفّقت موجاتهم في أنحاء الهلال الخصيب الغربي منهم الآراميون، إضافةً إلى القسم الجنوبي الشرقي لوادي الراافدين بمنطقة ميسان^(*)، وقلب سوريا وتغلغلوا في أرجائها، ثم أناخوا وخيموا في أعلى ضفاف نهر الفرات ومجاري الخابور.

توغل الآراميون في أطراف البلاد، وأقاموا في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد ممالك صغيرة أعظمها مملكة حماة ومملكة دمشق التي قضى عليها الآشوريون عام 718 ق.م. وكانت هذه الممالك معمورةً بالمدن الواسعة والأسوار الحصينة والقصور الأنبلية والهيكل

(*) إن كلمة ميسان أو ميشان، بابلية، مركبة من "ما" بـألف مُهَلَّة وهي "الماء" و"سان/ سين" بمعنى القمر "الإله سين" الذي كان معبوداً في أرض بابل التي تقع على شط النهر. وبالتالي كلمة بيسان كلمة بابلية تعني "ماء القمر" ويقصد بها - كما يلوح في - المياه التي تتأثر بأوضاع القمر وإحداثه المد والجزر وهذا الرأي وإن لم يظهر في الكتابات البابلية، إلا أنه قريباً من الحقيقة، إن لم يكن كلها. واسم ميشان كان يؤخذ بالمعنى الواسع للدلالة على مقاطعة ميشان أو مدينة كرخ ميشان والتي تُدعى اليوم "مدينة العمارنة" وقد أطلقت الحكومة العراقية اسم "ميسان" على لواء العمارنة (المراجع).

الشامخة والمباني الرفيعة، ولم يبقَ من جميع ذلك إلّا بقايا رسومٍ يستدلُّ بها على موقع بعضها كمدينة "سامال" الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الفرات، تلك المدينة التي امتدت إليها أسباب الشروة، واتساع فيها نطاق العمران حتى أصبحت من أجمل المدن القديمة.

لقد بلغت الممالك الآرامية المبالغ العظيمة من العزة والشهرة والغني، فطريق الآشوريون في غضون القرن الحادي عشر قبل الميلاد يحاولون أن يستولوا عليها، وظلّوا عاجزين عن اقتحامها حتى القرن الثامن قبل الميلاد.

لم يؤسس الآراميون مملكةً واحدةً موحدةً، كما أنهم لم يفزوا بنفوذً واسع في زمن من الأزمان نظير الآشوريين والفرس والمصريين لأنّ بلادهم كانت واقعةً على طريق الفتوحات، فاتخذها الآشوريون ممراً لتوسيع رُقعة ملكهم، وعدّها الحثيّون سبيلاً للاستيلاء على أقصى فلسطين وجعلها المصريون جسراً للاحتفاظ بسوريا. فاضطروا مراراً أن يخضعوا للملوك الأقوياء أو أن يتخيّلوا الفرص للإيقاع بأعدائهم. وقد وافانا اسمهم ممتزجاً بأسماء شعوب عديدة يتعرّد على المحققين أن يعرفوا حدود بلادهم أو أن يقفوا على أخبار دولاتهم ولذلك ذهب بعضهم إلى أن اسم الآراميين كان يشمل الآشوريين والكdanين والنبط^(*) وأغلب

(*) النبط أو الأنباط: قبائل عربية بدوية كانت لا تزال رحالة حتى القرن الرابع قبل الميلاد حين استوطنت جنوب فلسطين. اتخذوا البراء عاصمة لهم لحسابتها وورد ذكرها لأول مرة في التاريخ عندما صدّت هجوم القائد السلوقي أنتيغروس (312 ق.م.). تدلّ آثارهم على حضارة هلنستية زاهية. قضى عليهم الإمبراطور تراجان (106 م). أشهر ملوكهم الحارث الأول (نحو 179 ق.م.) الذي تحالف مع الأسرة المقدانية والحارث الثاني (110 - 96 ق.م.) وعيادة الأول الذي انتصر على الإسكندر جانيوس اليهودي والحارث الثالث (87 - 62 ق.م.). (المراجع).

هذا الظنٌ ناشئٌ من اللغة الشائعة بين هؤلاء الأقوام فهي الآرامية.

لم يساعد الآراميين موقعهم الجغرافي على توحيد ملوكهم، بيد أنه ساعدتهم على توسيع نطاق متجدهم. فقوافلهم كانت تنقل الأمة والبضائع سالكةً وادي البابور ونهر الفرات قاطعةً بادية الشام من طريق تدمر^(*) وهم يحملون هذه السلع إلى آشور شرقاً وإلى المدن الفينيقية غرباً وإلى آسيا الصغرى شمالاً، ومن هذه وتلك إلى المدن المصرية.

لقد برع أبناء آرام في فنون المتاجر وقبضوا مقاليدها فاحتكروا التجارة البرية كما احتكر الفينيقيون التجارة البحرية وحافظوا على مسالكها وفي الوقت نفسه اقتبسوا من أهل فينيقيا الحروف الأبجدية، وتعلّموا من سكان مصر الكتابة بالحبر والقلم وسطّروا بها عقودهم وصُكُوكهم التجارية، فانتشرت كتابتهم وتغلّبت على الكتابة المسماوية الشائعة إذ ذاك في آشور وبابل وتعلّمتها البلادُ التي كانوا يتاجرون فيها. فبتعاطي التجارة توغلوا في أطراف البلاد ووقفوا على تطوراتها واحتکوا بشعوبها، وبمزأولة الكتابة تولّوا الوظائف الكتابية وتقلّدوا المناصب الإدارية في دواوين المملكة الآشورية فأضحووا عندئذ ذوي نفوذ أدبي اقتصادي في بقاع الأرض المعمرة، فكانوا "رجال تجارة وأدب".

(*) واحة في قلب الصحراء السورية تحيط بها تلال كلسية. كانت واقعة على طريق القوافل التي تربط آسيا بموانئ البحر المتوسط ومنها بروما. أنشأت دولة بلغت في بدء التاريخ الملادي أوج عزّها. استولى عليها الإمبراطور أورليان سنة (272 م) وأسر ملكتها زنوبيا. احتلها العرب على يد خالد بن الوليد سنة (633 م). حضارتها مزيج من العوامل اليونانية والرومانية والشرقية. أشهر آثارها: هيكل بعل وبعلشمين والطريق المعبدة والقبور الرائعة (المراجع).

تنصر آراميو ما بين النهرين ومن جاورهم من الشعوب القديمة في غضون القرن الأول للميلاد. فتركوا اسمهم القديم وسموا أنفسهم (سرياناً) تميّزاً لهم من الوثنين وقد استحسنوا هذه التسمية لأن الديانة المسيحية جاءتهم من سوريا، وكلمة "سوريا، سورايا" الآرامية معناها "مسيحي" وإلى يومنا لا تزال كلمة "سورايا" لدى المتكلمين باللغة الآرامية العامية مرادفةً لكلمة "مسيحي" لأي جنس أو أمة كان.

وفي القرن الخامس ظهرت في الشرق تعاليم نسطور وأوطاخى وانتشرت في البلاد الشرقية ولاقت سوقاً رائجة. فاليسوعيون الذين تبعوا مذهب نسطور دعوا (نساطرة أو سرياناً شرقين) والذين انضموا إلى لواء أوطاخى سمواً (يعاقبة أو سرياناً غربين) وذهب فريق من العلماء إلى أن اسم السريان الغربيين كان يطلق على مسيحي بلاد الشام فقط.

هذا وفي غضون القرن الرابع عشر للميلاد هبط هذه الديار المبشرون الغربيون فتبعت جماعات من النساطرة واليعاقبة الكنيسة الكاثوليكية فسمى إذ ذاك النساطرة أنفسهم (كلدانًا) واليعاقبة (سرياناً) وهم لا يزالون إلى اليوم يعرفون بهذا الإسم.

اللغة الآرامية السريانية

اللغة الآرامية إحدى اللغات السامية أما اللغة السامية الأولى فقد اضمحلت بتطور لهجات الشعوب الناطقة بها حتى أصبحت هذه اللغات كلها معايرة لأصولها. بيّنَ أنَّ في هذه اللهجات مفردات ورثتها عن اللغة الأولى واشتراكها مع أغلب الأمم السامية في استعمالها بفروق قليلة لا تتجاوز الظواهر. فالساميون عند تفرقهم كانوا يتكلّمون

لغة واحدة ثم تغيرت تلك اللغة وتفرّع منها عدد فروع انطبع كل منها بطبع المكان والبيئة على مقتضى ناموس الارتقاء.

إن كل طائفة من اللغات مهما تبدّلت هيئاتها وتعدّدت فروعها في الظاهر، فالأصل متحقّق في كلّ واحد من تلك الفروع مستصحب في جميعها على السواء، وما اعتور ذلك الأصل من التباين وتفرق اللهجة إنما عرض بسبب تفرق المتحلين له وطول انقطاع بينهم. فقد تباعدت ألفاظ اللغات السامية وهي من أصل واحد مشتركة وتشعّبت تراكيبيها وتمايزت لهجاتها وهي لا تزال أجزاء سلسلة واحدة، ويفيد ذلك ما ورد في التوارية عن إبراهيم الخليل فإنه قد نزح من أور الكلدان واجتاز سوريا وفينيقيا وغيرها من الأقطار وخالف أهلها وهو يفهم لسانهم، وبنو إسرائيل قضوا في تيهمم أعواماً وتغلّوا في بلاد عديدة وامتزجوا بشعوب كثيرة وهم يفهمون لغاتهم ولهجاتهم.

الآراميون تغلّلوا في أطراف البلاد وانتشرت لغتهم انتشاراً عظيماً ولا سيّما عندما انصرفا إلى المتاجر وأمسكوا زمام الوظائف في عهد الدولة الآشورية فأصبح الناس في بلاد بابل يتعلّمونها لسهولتها وبساطتها وطفقوا يستعملونها في شؤونهم ويختزلون بها كتاباتهم المسمارية فاضطر كل كاتب إلى اتقان الكتابتين معاً. ثم شاعت وذاعت في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وبلاد العرب الشمالية وبلغت أوج اتساعها من أيام السبي البابلي (586 ق.م.) إلى ظهور الإسلام. فقد كُلِّم بها الكلدانيون الملك نبوخذنَصْر^(*) (605 -

(*) ملك بابل (605 - 562 ق.م.). ورد ذكره في العهد القديم. احتل فلسطين وخرب أورشليم، وسبى اليهود سنة (586 ق.م.). (المراجع).

561 ق.م.). و خاطب بها ريشافة قائد جيش سنحاريب^(*) ملك آشور (704 – 671 ق.م.) وزراء الملك حزقيا، وكتب بها سكان السامرة عريضةً إلى ارتختشت^(**) ملك الفرس.

إننا لا نجرؤ على تعين العهد الذي ظهرت فيه الكتابة الآرامية و يؤيد المؤرخون أن الملوك الآشوريين قلدوا الآراميين مناصب الكتابة في دواوين مملكتهم ف كانوا كتبهم و مسجلٍ و قائمه و حافظي أخبارهم، وفي مقدمتهم أحياقر^(***) و وزير الملك سنحاريب و ابنه أسرحدون^(****). فلا ريب أن زماناً مريضاً سبق هذا العهد تدرجت فيه الكتابة شيئاً فشيئاً حتى بلغت أشدّها فبرزت بتلك الصورة الحية الراقية ومن آثارها رقم عديدة وقف عليها الم Nabonidus في أنحاء البلاد ومن أقدمها رقم كلمو في أيام شلمنصر الثالث^(*****) (824 – 858 ق.م.) و رقم بنمو (740 ق.م.) و رقم ملك حماة و رقم هدد ويرجع تاريخه إلى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد. هذا عدا ما وجد من الكتابات الآرامية

(*) ملك آشور (704 – 671 ق.م.) ابن سرجون الثاني و خليفته. خرب بابل عام 689 ق.م.) ونظم شؤون الإمبراطورية الداخلية والعمانية وقاد الحصار قائد ريشافة (المراجع).

(**) الملقب بالطويل اليد (424 – 465 ق.م.) (المراجع).
(***) حكيم عاش في زمن الملوك الآشوريين سنحاريب وأسرحدون. ترك كتاباً في الحكمة اكتشفَ على أوراق بردى ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد على يدبعثة الألمانية في جزيرة الفيلة بمصر سنة 1906 – 1907. (انظر كتابنا: أحياقر: حكيم من بنيني وأثره في الأدب العالمية القديمة (بيروت: دار بيسان، 2005) (المراجع).

(****) ابن سنحاريب، ملك آشور، اشتهر بالسياسة والدهاء / أعاد بناء مدينة بابل. غزا مصر سنة 669 ق.م. واحتل ممفيس (680 – 669 ق.م.) (المراجع).

(*****) ابن آشور ناصر بال الثاني. قاوم التحالف الذي أنشأه ملكا سوريا وإسرائيل في معركة قرقنة سنة 853 ق.م. وقد اكتشف الم Nabonidus في "بلادات" (إيمغوربل) الباب النحاسي المزдан بنقوش تمثل حملاته العسكرية (المراجع).

في شبه جزيرة سينا وعلى أجداث الملوك الأباجرة في مدينة الراها، ومن أقدم الآثار المسيحية الكتابية رسالة أبجر الخامس (*).

لقد كانت الآرامية لغة سكان ما بين النهرين وأقطار الشام وتغلغلت في بلاد الفرس وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها ثم امتدت إلى وادي النيل وأسيا الصغرى وشمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت دهوراً طوالاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين.

لقد بقيت اللغة الآرامية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعده اللغة السامية الوحيدة – إن استثنينا اللغة العربية – التي تشكل ترجماناً للإعراب عن آراء الساميين والتعبير عن أفكارهم في غضون اثني عشر قرناً، وبقيت بعد استيلاء الفرس على بابل لغة رسمية وكان ملوكهم يُصدرون مراسيمهم بها، وتعلّم اليهود هذه اللغة في منفاهم بأرض بابل وكتبوا بها كتاباتهم الدينية والأدبية، وكانت إحدى اللغات الثلاث في بلاط الأكاسرة.

لا شك أن لهجة اللغة الآرامية خضعت لتطورات كثيرة شأن كل لهجات العالم ونشأت منها لغة واحدة في الأدب بمفرداتها وقواعدها وتراثيها وأساليبيها، إلا أننا نجهل زمن هذه التطورات، لكنَّ المحققين

(*) (13) – نحو 50 م) هو الذي ذكرت الأسطورة اسمه مع السيد المسيح. والأباجرة اسم عدد كبير من ملوك الراها ومن أشهرهم، أبجر اكومو، أبجر الأسود، أبجر الأخر وقد أطلق عليهم الرومان لقب أبجاروس (المراجع).

يؤيدون بأن اللغة الآرامية الراهوية كانت ثابتةً من حيث كتابتها الإملائية وأسلوبها الإنسائي كما أيدت الآثارُ والكتابات الحجرية.

ظلّت اللغة الآرامية زاهيةً زاهيةً حتى أواخر القرن السابع الميلادي وامتدّت إلى القرن الثامن ثم تقدّمت في القرن الثاني عشر والثالث عشر، بيدَ أن ظلّها أخذ في التقلص في أوائل القرن الثامن لدى تمازُجها باللغة العربية، ثم دبَّ الضعف في جسمها وغادرت على تعاقب الزمن أكثر المدن واعتصمت بالقرى والجبال فلا بستها الألفاظ الغربية مما نراه في اللغة العامية الدارجة المعروفة بالسورث التي يتكلّم بها الآن بعض الأقوام القاطنة في العراق وسوريا وإيران. وأما اللغة الآرامية الفصحى فلم تجد مأوى يحدب عليها غير الكنائس وغرف المدارس الطائفية ولو لا أنها لغة طقسية لخمس طوائف شرقية لا ضمحلّت من الوجود.

اللغة الآرامية الكتابية الفصحى الشائعة اليوم على لهجتين أو لغتين: اللغة الآرامية الشرقية (الكلدانية) وهي لغة طقس الكلدان الكاثوليك والنساطرة، واللغة الآرامية الغربية (السريانية) وهي لغة طقس السريان الكاثوليك والسريان الأرثوذكس والموارنة، والفصل الأعظم المميّز لكلٍّ منها اختلافهما باللفظ، فإن الكلدان والنساطرة يلفظون الزقافَ (فتح آخر الكلمة) ويشددون الحرف المتحرك إذا سبقه متحرك آخر. وأما غيرهم يلفظون الزقافَ ويشددون الحرف، في حين أن السريان الكاثوليك والأرثوذكس والموارنة يلفظون آخر الكلمة بالضمة.

إن اللغة الآرامية (السريانية) أقرب إلى العربية والعبرانية إذ إن

فيها أسماء مؤنثة من دون عالمة التأنيث وأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث، وتزداد النون في أفعالها بعد واو الجمع وياء الواحدة زيادة مطردة في المضارع، ويندلّ على التأنيث في ماضي الغائبة بالباء.

تُفتح مزيداتُ أفعالها بالهمزة دون الهاء فيها، ويأتي فيها المصدر ميمياً، وتبني الصفة مما فوق الثلاثي بناءً مطروداً بزيادة ميم مكان حرف المضارعة مكسور ما قبل آخره للفاعل ومفتوح للمفعول إلى غير ذلك، وهي في هذا كله أقرب إلى العربية، والحرروف في هذه اللغة هي عين الحرروف العبرانية بأعدادها ومقاطعها. وإذا سُكنت النون فيها تُدغم في ما بعدها أو تُحذف وتشيع حركة ما قبلها ولا ثنية فيها إلا في أسماء محفوظة لا تتجاوز الأربعة بحسب ما نقلوا وليس فيها من الصيغ المختصة بالجمع إلا الجماعان السالمان وكل لفظة بدأت في العربية بالواو فهي فيها بالياء، والسين والشين متsequaban بين ألفاظها وألفاظ العربية إلا نادراً، وهي في هذا كله أقرب إلى العبرانية: وفي ما بقي من أحكامها فهي تارةً تطابق اللغتين وتارةً تخالفهما وكذلك حالها في الأوضاع والمعاني فهي بالإجمال، بين بين.

القلم الآرامي السرياني

إن العلماء لم يقفوا على القلم الأول الذي استنبطه الآراميون السريان ولا على حروفه واحداً واحداً ولا شك أن القلم القديم تغير شيئاً فشيئاً وتولد منه أقلام عديدة متشابهة تختلف باختلاف أزمانها وأماكنها، والمعروف الآن من هذه الأقلام القلم السامي والتدمري والنبطي، ومن الأخير نشأ القلم الحميري العربي الذي منه تولد القلم الكوفي ومن هذا نتج القلم النسخي.

إن أقدم الأقلام الآرامية ذكرًا قلم أهل الجهات الشرقية من أقطار بابل وهو قلم مقطع الحروف مربعها على الأغلب قد تعلّميه اليهود الذين أجلاهم نبوخذنصر من سكان بابل وحفظوه إلى يومنا ويسمى الآن الخط الآشوري المربع. وتعلم هذا الخط نفسه أو أصله اليونان، ومما يؤيّد ذلك أن حروف اللغة اليونانية مرتبة ترتيب الحروف الآرامية أصلًا وأن الأسماء فيما واحده إلا أن اليونان وضعوا في أواخرها ألف الإطلاق وغيروا بعضها تغيير يسيرًا هذا فضلًا عن أن صور الحروف اليونانية في أوائلها تشبه كثيراً الحروف الآرامية القديمة التي بقي أثراً في القلم التدمري والقلم الآشوري المربع.

هذا وإن الفرس كانوا يكتبون بالقلم الآرامي فملِكُهم دارا^(*) أقام أعمدة على حدود بلاد اليونان مسطورة باليونانية والآرامية، وهكذا كان الأرمن أيضًا يكتبون بهذا القلم حتى القرن الخامس ثم اخترعوا قلّهم الأرمني.

إن القلم الآرامي القديم تغيّر لكثره استعماله من قرن إلى قرن ومن مكان إلى مكان كما حدث لأقلام سائر الأمم. فأصبح في غضون القرن السابع قبل الميلاد في بلاد بابل على الهيئة التي نراها الآن عند اليهود، ثم لم يزل هذا القلم يتغيّر حتى تولد منه أثناء القرن الأول للميلاد القلم الأسطرنجيلي أو المربع وهو من الأقلام القديمة المشهورة اليوم لدى أدباء الآرامية ويقرب من القلم الآشوري المربع والتدمري وظلّوا دهوراً لا يكتبون إلا به، ثم على تعاقب الزمان تولد

(*) (داريوس) الأول وهو ملك فارس (521 - 486 ق.م.). احتل بابل وسوريا وميديا ونظم شؤون الدولة وأخضع تراقياً ومقدونيا. انتصر عليه اليونان في معركة ماراثون سنة 490 قبل الميلاد. توفي في بابل (المراجع).

منه قلم آخر أسهل وألين عريكة يحقق لنا أن نسميه القلم المتوسط.

فخصص حيتنـد النـسـاخ القـلـم الأـسـطـرـنـجـيلـي لـتـسـطـيرـ الإـنـجـيلـ ثمـ لـكتـابـةـ الـكـتـابـ المـقـدـسـ عـلـىـ الـعـمـومـ وـالـمـصـاحـفـ الـثـمـنـيـةـ وـالـكـتـابـاتـ الرـسـمـيـةـ وـمـبـادـيـ الفـصـولـ وـعـنـاوـينـهاـ، وـخـصـصـواـ القـلـمـ المـتوـسـطـ لـبـقـيـةـ الـمـصـنـفـاتـ.

وفي أثناء القرن الحادي عشر للميلاد تغير المتوسط شيئاً فشيئاً وتولد منه ثلاثة أقلام اختص أحدها بالنساطرة وهو المعروف اليوم بالخط الكلداني وهو أقربها من القلم الأسطرنجيلي واختص الثاني باليعاقبة وهو الخط السرياني. وأما الثالث فاختص بالملكين وقد استعملوه قبل أن يتخذوا الخط العربي بدليلاً منه.

بني أدباء الآرامية يكتبون بالخط الآرامي من دون علامات على الرغم من كثرة تطوراته. وكانت أول علامة اصطلحوا عليها نقطة يرسمونها فوق الريش (حرف الراء) لتمييزه عن الدلت (حرف الدال) وترتـيد المصـادرـ التـارـيـخـيةـ عـدـمـ اـسـتـعـمـالـ السـرـيـانـ الشـرـقـيـنـ وـالـغـرـبـيـنـ عـلـامـاتـ لـلـحـرـكـاتـ قـبـلـ الـقـرـنـ الثـامـنـ لـلـمـيـلـادـ.

حركة الترجمة العربية

مررت الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية، أو من السريانية إلى العربية بعدّة عصور أو أدوار نوجزها هنا:

(1) العهد الأموي:

لم يتفرّغ العرب المسلمون في عهد الفتوحات للنظر في ما كان

عند الأمم الأخرى من علوم، وأقدم من قام بالترجمة الحقيقة بفضل خالد بن يزيد بن معاوية، هو الراهب أسطفان الذي ترجم الكتب الطبية والكيميائية والفلكلية، آملاً أن يجد الخليفة المعزول حجر الفلسفة فيحول المعادن إلى ذهب.

بعد ذلك نُقلت كتب في الطب في عهد مروان بن الحكم^(*) وعمر بن عبد العزيز^(**)، وأهمها كتاب الكناش (أي الجامع في علم الطب) الذي نقله ماسرجويه^(***) عن ترجمته السريانية وكان قد ألفه باليونانية رجل يُدعى أهرون، ثم نقل "سالم" كاتب هشام بن عبد الملك رسائل أرسطو إلى الإسكندر.

غير أن الترجمة في هذا العهد بقيت محاولات فردية لم تكن إلا مقدمة لحركة النقل الحقيقة، ولم تعن إلا بالعلوم العملية والطب من دون العلوم النظرية، لبعدها عن الدين والمعتقدات الإيمانية الفطرية التي تُقبل من دون نقاش أو جدال.

(2) العهد العباسي:

لما استتب الأمان بعد الفتوحات، وتوفّرت الحياة بعد ضيق،

(*) هو مؤسس الأسرة المروانية في الدولة الأموية بالشام وهو والد الخليفة المشهور عبد الملك وأولاده الخلفاء الوليد وسليمان وهشام (المراجع).

(**) (682 - 720 م) ولد في المدينة، وهو أمير الحجاز عام 706 م و الخليفة أموي (717 - 720 م) اشتهر بقواه وتمسكه بالسنة. انصرف إلى الإصلاح الداخلي والمالي وأظهر تسامحاً مع العلوين والمسيحيين والموالي (المراجع).

(***) أو ماسرجيس: طبيب نقل من السريانية إلى العربية تحت طلب الخليفتين مروان وعمر بن عبد العزيز كتاب الطب للقس هارون وهو من أقدم المصنفات الطبية العربية (المراجع).

وتحضرت النّاسُ بعد بداوة، وسقوط الدولة الأموية عام (750 م) وقيام الدولة العباسية (750 - 1258 م) استقرت شؤون الدولة وانتظمت الإدارة بانتقال العاصمة إلى بغداد، وتيسّرت الاتصالات بين العباسين والدول المجاورة، ازدهرت الترجمة واتسع نطاقها حتى شملت جميع العلوم، وألّمت بكافة اللغات المتيسرة آنذاك كالسريانية واليونانية والفارسية والهندية السنسكريتية، وتنظمت أعمال المترجمين حتى أصبحت شغل الدولة العباسية مهمتها الكبرى، لأجل ذلك يقسم المؤرخون عمل الترجمة إلى ثلاثة أدوار.

أ) الدور الأول: من المنصور إلى الرشيد (753 - 808 م)

ترجم فيه ابن المقفع^(*) كتاب كليلة ودمنة عن الفارسية واعتنى بنقل كتب أسطو المنطقية الثلاثة (قاطاغوراس، باري أرميناس، وأنولوطيقا). ثم ترجم محمد بن إبراهيم الفزاري^(**) كتاب (الستنهندي) من الهندية، وهو يبحث في الحساب والفلكيات. ونقل يوحنا بن ماسويه^(***) الكتب القديمة من السريانية، وترجمت أيضاً كتب أسطو المنطقية، وما يدلّ على ذلك اطلاع المعزلة السابقين عليها.

(*) (عبد الله...) مؤلف عربي من أصل فارسي. لقب أبوه بالمقفع لأنّه اتهم باختلاس مال الخراج فضرب على يديه فتفقعت أي شنجت. أمر المنصور وإلى البصرة بقتله لأسباب سياسية وكان الوالي يكرهه فقتلته شر قتلة سنة 759 م نقل من الفهلوية إلى العربية كتاب كليلة ودمنة وله من الكتب العربية المنقوله التي وصلت إلينا الأدب الكبير والأدب الصغير (المراجع).

(**) أول فلكي في الإسلام، توفي بين 796 و806. ترجم لل الخليفة المنصور رسالة المستنهندي في الفلك لرحالة هندي (المراجع).

(***) طبيب سرياني مسيحي، عهد إليه الرشيد ترجمة الكتب الطبية وهو طبيب البلط العباسى منذ عهد المأمون (813 - 833 م) حتى أيام المتوكل (847 - 861 م) توفي بسامراء سنة 857 م (المراجع).

ب) الدور الثاني: من عهد المأمون إلى أواخر القرن الرابع الهجري (813 - 912 م)

وهو العهد الذهبي للترجمة وقد ترجم فيه يوحنان بن البطريرق محاورة "تيماؤس" والحجاج بن مطر كتاب المجسطي لبطليموس وأشهر أعمال الترجمة ظهروا في هذا العصر أمثال: يحيى بن عدي التكريتي، وقسطا بن لوقا، وحنين بن إسحق، وابنه إسحق، وابن أخته ابن الأعسم، وأآل بختيشوع الذين بربوا بين العامين (760 - 1058 م) وسابور بن سهل، وسلمويه بن بنان، وأبو رائطة التكريتي وعشرات غيرهم.

ج) الدور الثالث: من (913 - 1258 م)

بعد العصر الذهبي، الآنف الذكر الذي ترجمت فيه علوم مختلفة في المنطق والطبيعة، جاء الدور الثالث وكان أشهر النقلة فيه متى بن يونس، سنان بن ثابت الطيب وأبو زكريا يحيى بن عدي المنطقي وغيرهم كثيرون.

وقد كان من أسباب الترجمة: التوسيع الإقليمي نحو العالم المتمدن وانتشار الدعوة الإسلامية في الأقاليم المفتوحة، فافتتحوا بلاد الشام والعراق وفارس ومصر، وأخضعوا بلاد الترك وعبروا الهند وبلغوا حدود الصين واجتازوا الأندلس والمغرب... وبسبب حاجة العرب المسلمين إلى علوم جديدة لكي يشاهدو رقي الأمم التي حكموها، فقد راحوا ينقلون إلى لغتهم علوم الشعوب.. فكانت هناك الحاجة إلى العلوم الرياضية لتسهيل عليهم حساب وتقويم زمن الصلاة والصيام، ولضبط بيت المال وجباية الضرائب وعمل ميزانية الدولة، وال الحاجة إلى العلوم الفلكية والتنجيم لمعرفة زمن الحج

واتجاه القبلة... وأيضاً الحاجة إلى الطبّ لمداواة الأمراض.. وال الحاجة إلى العلوم الهندسية والفنون لما لها في مراقب الحياة العمرانية كبناء الجسور وشق الترع والطرق والقنوات، وتشيد القصور والمساجد وتخطيط المدن والحدائق... كما كان حاجة هناك إلى علم المنطق للدفاع عن الدين والبرهنة على العقائد وللجدال مع اليهود والمسيحيين والمجوس والزنادقة وكلهم تسليحوا بالمنطق في الهدم والدفاع.

إذاء كل ذلك شعر المسلمون بحاجتهم إلى الفلسفة فشجعوا ترجمتها إلى العربية ليوطّدوا دعائم الإسلام ويركزوا دعائمه على المنطق، لذا اضطربت كل فرقة دينية إلى التعمق في مبادئها وإلى الدفاع عن نظرياتها ضدّ سائر الأديان وكافة الفرق.

رقي السريان الفكري

لم يكن السريان بحاجة في بدء أمرهم إلى نقل الآثار اليونانية إلى لغتهم السريانية، لأن اليونانية كانت شائعة في مدارسهم وبين المثقفين منهم، ولكن عندما تزايد أثر الفرس في بلاد الدولة العربية الإسلامية أخذ الأثر اليوناني يتضاءل، وشعر معلمو المدارس السريانية بضرورة نقل الكتب اليونانية إلى لغتهم. وعندما فتح العرب سوريا والعراق وأعجبوا بحضارة السريان المنتشرة فيها، واستتب لهم الأمر ولمسوأ ضرورة معرفتها لينشروها بالعربية، طلبوا من السريان القيام بهذه المهمة الدقيقة لأن السريان تفرّدوا آنذاك بإتقان اللغتين اليونانية والعربية إلى جانب لغتهم السريانية، حيث إنهم تعودوا الاطلاع على العلوم الفلسفية واللاهوتية منذ القرن الرابع الميلادي، ولأن مدارسهم كانت منتشرة انتشاراً واسعاً ولديهم عناية بالعلوم الدينية لما كان بينهم

من خلاف عقائدي حملهم على درس أساليب المنطق لتأييد آرائهم والردة على خصومهم، فكان معظم رجال العلم من رجال الدين المختصين بالأديرة والكنائس حيث الدرس والتحقيق والترجمة والتدقيق.

لم يتذكر السريان شيئاً، بل عنوا بالترجمة والشرح والتفسير والتعليق والتلخيص، ولم تكن ترجماتهم عن اليونانية إلى العربية مباشرةً بل بواسطة النصّ السرياني؛ لذا نرى في نقلهم عن قصد، أو غير قصد بعض معتقداتهم المسيحية، وقد استعملوا كثيراً من المفردات اليونانية في لغتهم ومنها ما زُجَ في اللغة العربية.

ولقد شجع الخلفاء على الترجمة وجنّدوا السريان لذلك فنشأت منهم حركة علمية أوجدت علماء ومتجمين حتى صاروا طبقة خاصة بذلك فكان الخليفة أبو جعفر المنصور (753 - 775 م) والمهدى (775 - 809 م) وهارون الرشيد (786 - 833 م) والأمانون (813 - 833 م) الذي يعتبر أهم وأبرز الخلفاء حتّى للفلسفة وأكثرهم عناية بنقلها فقد شغلته شؤونها واهتمّ بها اهتماماً واسعاً وبسط يده في تعزيزها وتكريم القيمين عليها، فأسس لها داراً في بغداد دعاه "بيت الحكمـة" وأقام عليها رئيساً عرف بشيخ المترجمين وكُلّف إحكام ترجمتها فُتُرجم له غاية ما يمكن. واستدعى علماء من بلاد الروم وفارس منهم سهل بن هارون، وسعيد بن هارون وابن البطريق والخوارزمي وأهمّهم حنين بن إسحق وابنه إسحق بن حنين... وقد أنفق المأمون عليهم المال وشجّعهم بحضوره المناقشات والمناظرات.. وراح يطلب فدية الأسرى كُتاباً، ويدفع زنة الكتاب ذهباً، فكان في الدار: المؤلّف والمترجم والمدقّق

والناسخ وكلهم ينال أجوراً إضافيةً إلى المجلدين والمزوّقين، وأغلبهم كانوا من السريان.

لقد ترك المترجمون السريان أثراً في ترجمة الأدب والعلوم من جهة المفردات، فراحوا يتتوسعون بمندوحة الكلمات العربية ويستنقون منها وينحثونها حتى أصبحت لديهم كلمات كيفية وكمية وماهية وبديهيات وحدسية وقياس. كما راحوا ينقلون الكلمات الأعجمية مع بعض التصرّف مراعاةً للأوزان فتجد مثلاً: أسطورة، إسفنج، غراماطيق وأسطرلاب وأوقيانوس وجغرافيا...

ومن الألفاظ الدينية من أصل سرياني مسيحي: إيليس، إنجيل، بيعة، جهنّم، حواريُّون، رجز، زبور، سلطان، شيطان، صبغة، صلوات، صوامع، صوم، طوبى، طور، فردوس، فرقان، قدّاس، قسيسون، قسط، ملة....

ومن الألفاظ الحضارية: خمر، كأس، كوب، درهم، دينار، تابوت، سراج، مثلاً.

والألفاظ المرتبطة بالكتابة: رقّ، سجل، سطر، سفر، قرطاس، وأيضاً: الصيرورة، الكينونة، الأثير، الكيمياء، البخار، اللاهوت، الناسوت.

الفصل الأول

الأمة السريانية وشعوبها

إنّ اللغة هي عنوان الأمة ومرآة تُرى فيها ثقافتها وعلومها وعاداتها على مدى الأزمة والأجيال وهي خزينة عظيمة تحوي كنوزاً ثمينة ومتعددة الأنواع من الحكم والعلوم والثقافة والعديد من القضايا والعادات المختلفة والديانات والعقائد المتعددة والمعارف الكثيرة والأخلاق السامية في تلك الأمة.

وحيث إنّ اللغة ليست وليدة ساعة أو سنة، ولا يمكن للإنسان أن يعرف أو يحدّد الوقت المحدد لها بالضبط ولكن مع امتداد الزمان تظهر تدريجياً شيئاً فشيئاً تبرز للوجود، فتكبر وتعمّ البلاد وتأخذ انتعاشها الطبيعي في البلاد وبحسب مجريها من وقت إلى آخر وإذا تتغلّب عليها أخرى فتندثر تماماً بطبيعة الحال؛ وعلى هذا المنوال تنقسم أزمنة اللغة إلى أزمنة عديدة حيث إنّ اللغة أولًا يُعاشر بها بالألفاظ البدائية، وثم بالأسماء وبعدئذ بالجمل حتى تتعشّش وتدرج بين الناس ثم تتقدّم وتكتبر وتظهرُ فيها قوّة الثقافة والعلوم تدريجياً، وإنّه يمكن أن يدخل فيها كلمات وألفاظ غريبة من اللغات المجاورة وتحتلّ فيها بسبب مجاورة تلك الشعوب للأمة الوالدة لتلك اللغة.

وعلى هذه الحال أصبحت اللغة السريانية بعد ظهورها ومرور الأزمنة عليها والأجيال، فلا يمكن للإنسان أن يعرف زمن ظهورها بالضبط ذلك أن اللغة السريانية هي الوحيدة في زمنها وقديمة في عهدها، وقد أخذت شهرةً على اللغات القديمة في العالم وهي الأم وفاتحةً لجميع اللغات السامية التي ظهرت ثم انثارت. وقد ظهرت هذه اللغة في بلاد ما بين النهرين ومنها انتقلت إلى مناطق عديدة وامتدت إلى أقطار كثيرة وعمّت جميع البلاد التي وطئتها أقدام الشعوب السريانية كالبابليين والكلدانين والكنعانيين (الأموريين الفينيقيين) والآراميين وقد سميت هذه الشعوب بحسب أسماء المناطق التي سكنوها وكان ذلك حتى الأجيال المتأخرة وقبل الميلاد عرفت اللغة باللغة السريانية.

تكونت اللغة السريانية من توحيد الألفاظ المختلفة المأخوذة من الشعوب السريانية بعد مضيّ عدّة أجيال، وكانت هذه الشعوب من الساميين الأولين والقديامي، وضمن هذه الأسطر سوف نعرف كيف توصلت هذه الألفاظ الخاصة التي توحّدت وجعلت اللغة السريانية عظيمة ومن هذه الألفاظ ما هو من اللغة الآثرية ولغة الكنعانية والألفاظ الفينيقية والآرامية وهكذا لكل لفظة تركيبتها ونوعها.

قسمت أزمنة اللغة إلى قسمين بعد الفحص الحقيقي وهما: الزمن المجوسي (الوثني) والزمن المسيحي، وفي هذا النوع تظهر كلمتنا بموجب ثقافة اللغة السريانية في الأزمنة المحوسبة التي تبتدئ من أزمنة الكلدانين القديامي وثم البابليين والآثرىين، وبعدهم أزمنة الكنعانيين وبعدئذ الآراميين حتى ظهور زمن المسيحية، وإلى هذا

الحد من الكلام نظنّ أنه يتبعه زمنٌ آخر ذو أهمية خاصة يظهر لنا ثقافة اللغة السريانية في عهد المسيحية وفي عصرها الذهبي حتى زمن ضعف هذه اللغة وأضمحلالها، وزمن آخر أيضاً تجدّدت فيه اللغة في الأزمنة المتوسطة، ونهاية بالأزمنة التي ضعفت فيها هذه اللغة في ما تقدّم حتى أزمنتنا الأخيرة هذه.

عرفت اللغة السريانية قديماً باسم اللغة الكلدانية أو البابلية في أوائل الجيل الرابع قبل المسيح في إقليم أكد وسومر الواقعة في جنوب ما بين النهرين، إذ آنذاك لم تكن تخرج من ضمن حدود المنطقة ومحلّها، ويعتبر زمن ظهورها بالنسبة إلى الإنسان مجهولاً وحتى زمن حياتها أيضاً، ولهذا السبب نكتفي بمبدأ كلامنا منذ زمن ثقافتها الكائنة منذ الألف الرابع قبل المسيح سنة 3800 ق.م. حيث أخذت تنتشر اللغة إلى خارج حدود الأكديين بواسطة الفتوحات والانتصارات التي قام بها الملك سرجون الأول^(*)، ومنذ ذلك الحين أخذت اللغة تنتشر إلى بلاد أخرى تدريجياً أي البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين كبلاد سوريا وفلسطين وفارس وآسيا الصغرى وأقاليم معرفة وأفريقيا الشمالية وكثير من البلاد الأخرى المجاورة للمحيطة بالبحر المتوسط وبقيت لغة دارجة، فيها لغة تجارية وأخرى عالمية، وهي اللغة الأولى والدارجة في العالم القديم.

كما أن كتاباً كثيرين ذوي معرفة تامة اتفقوا على أن اللغة السريانية هي اللغة القديمة ومصدر جميع اللغات السامية ولكنهم اختلفوا في ما

(*) (الأكدي) مؤسس الدولة الأكادية بين النهرين (2470 – 2418 ق.م.).
(المراجع).

بيّنهم بخصوص أرض الساميين الأقدمين أين كان موقعها. يوجد من يقول إن الذين يُعرفون بالأكديين والذين عرّفوا بعدهم باسم البابليين منشأهم في أرض بين النهرين ومنها تفرّقوا على وجه الأرض، ويوجد من يقول إن منشأهم هو في أرض الجزيرة العربية ومنها خرجوا وتفرّقوا على وجه الأرض، ولكن هذا الاختلاف طرأ ونجم مع مرور الزمن وهم يعتمدون في وجهة النظر الأولى على الكتاب السريانيين والبرسيانيين واليونانيين بأن منشأهم الأصلي هو أرض بين النهرين، ومن هذه الأرض خرج الساميون وتفرّقوا على وجه الأرض وإليها يعودون في مهامهم وأسفارهم وأعمالهم.

ووثّقَت من الأجر (اللّيْن) الذي أخرج من حفريات التلال الموجودة ما بين النهرين أن السريانيين هم المؤسّسون للمدن القديمة وأول من قام ببناء أبنية عظيمة لم تكن معروفة لدى المصريين، وأن السريان سكّان بابل كانوا يتّفاضرون بتشييد مبانٍ فخمة جميلة كعمارة الهياكل والزقورات والمدن العظيمة والكبيرة مثل مدينة أور والوركاء (أرك) وأكاد وراسن وكلها في بلاد شنوار، وقبل 4500 سنة ق.م. كان سكان بين النهرين يستعملون كتابة الرموز التي تحسّنت تدريجياً وظهرت الكتابة المسماوية التي منها عُرفت الأحرف الهجائية التي استُعملت آنذاك لدى العديد من الشعوب.

إنّ هذه الكتابات والصور والمصنوعات التي كان يستعملونها، تظهر للعالم مقدار ثقافة الشعوب السريانية وتعبر عن ثقافتهم وعلمهم ومدنّيتهم القديمة مدة أيام حياتهم حيث كانوا دائماً يزدادون ثقافة وعلماً وحكمة.

إنَّ أَولَ مُلْكٍ اشتَهِرَ مِنَ
الملوِّكِ السريانِ القدَماءِ هُوَ
الملُّوكِ سرجونِ الأوَّلِ الَّذِي
عَاشَ حَوَالِيَ (*) 3800 سنة
ق.م. كَانَ مُلْكٌ أَكْدَ، وَهُوَ
فَاتِحٌ عَظِيمٌ وَشَجَاعٌ وَقُويٌّ، إِذَا
كَانَ يَجْمِعُ جِيوشاً عَظِيمَةً
وَيَتَوَجَّهُ إِلَى سُومُرٍ حَتَّى تَمَكَّنَ
مِنَ الانتِصَارِ عَلَيْهَا وَفَتَحَهَا
وَبِالانتِصَارِاتِ هَذِهِ شَيْدَ فِي أَكْدَ
مَدِينَةِ مَمْلُكتِهِ هِيكَلًا عَظِيمًا
فَاحِرًا، وَذَلِكَ إِكْرَامًا لِلَّهِ



وَشَكِرًا لَهَا عَلَى مِنْحِهِ الانتِصَارِ عَلَى السُومُرِيِّينَ وَأَسْمَاهُ بِاسْمِهِ الْمُلْكِ
الْأَوَّلِ لِأَكْدِ وَسُومُرٍ وَكَتَبَ عَلَيْهِ "هَذَا الْمُلْكُ الْمُنْتَصِرُ وَالْعَادِلُ" كَمَا يَتَبَيَّنُ
مِنْ فَحْوِي اسْمِهِ الْمُرْكَبِ مِنْ كَلْمَتَيْنِ سِرْكُونَ (شِرْكُونَ) وَالَّتِي تَدَلَّلُ عَلَى
كَلْمَةِ شَرِّ (الرَّأْسِ) وَكَلْمَةِ كُونَ وَالَّتِي تَعْنِي (عَادِلٌ) فِي كِبِيرٍ (الْمُلْكُ الْعَادِلُ)
وَبَعْدَ أَنْ ثَبَّتَ حُكْمَهُ فِي بَلَادِ السَّرِيَانِيِّينَ الَّذِينَ فِي مَا بَيْنِ النَّهَرَيْنِ، اسْتَوْلَى
أَيْضًا عَلَى الْبَلَادِ الْمُجَاوِرَةِ وَوَصَلَ بِفَتوْحَاتِهِ حَتَّى مَصْرُ وَشَمَالِيِّيْ أَفْرِيْقِيَا
وَبِلَادِ فَارِسِ وَجَزِيرَ اليُونَانِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ وَأَكْثَرَ بَلَادِ آسِيَا
الصَّغِيرِ، وَلَمْ يَذْكُرْ بَعْدِئِذٍ أَنَّ مَلِكًا آخَرَ مِنَ الْمُلْكِ السَّرِيَانِيِّينَ وَصَلَ
بِالْفَتوْحَاتِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ سرجونِ الأوَّلِ وَابْنِهِ نَارِمِ سِينِ، وَبَعْدِ

(*) تذكر المصادر التاريخية أنَّ الْمُلْكَ الْأَكْدِيَ سرجونَ الأوَّلَ حُكِمَ فِي الْفَرَّةِ
الْمُتَدَدَّةِ مِنْ 2270 ق.م. وَحَتَّى 2215 ق.م. (المُنظَّمةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلتَّرْجِمَةِ).

هذه الفتوحات الكثيرة والعظيمة التفت سرجون بنظره إلى بلاده وبإشرافه
المدن العظيمة ومن جملتها بابل المعظمة وشيد هيكلًا في وسطها على
اسم الإله مردوخ لذكرى انتصاراته، وسمى المدينة التي عمرها باسم الإله
إيل. واهتم أيضًا بوضع كتابات قيمة وأعمالًا جليلة، ووضع الصلوات
ونوعاً من المزامير وكتبًا كثيرة أخرى منها ما ترجم بواسطة الآثوريين
وخاصصة في أيام الملك آشور بانيبال^(*) وبقيت محفوظة حتى أيامنا.

وفي زمن سرجون الأول كان الشعب يتكلّم باللغة الأكديّة التي
امتزجت بعدها باللغة السومرية التي عُرفت باللغة البابلية الأولى أي
لغة الكلدانين الذين كانوا قبل ظهور الملك سرجون يحكمون بلاد
بين النهرين الشمالية وهم قبائل سومرية كان جنسهم مجھولاً لدينا
وغير معروف، وبعدئذ فقدوا حریتهم إذ استولى عليهم الأكديون
عندما اختلطوا بهم، ومع تمايُزِ الزَّمْن اختفت لغتهم واختلطت باللغة
الأكديّة ولدى امتزاج اللغتين السومرية والأكديّة تكونت اللغة البابلية
الأولى التي عُرفت أيضًا باللغة الكلدانية. وبسبب امتزاج اللهجة
البابلية باللهجة السومرية تكونت اللغة البابلية التي هي مصدر لغة
السريانين وجرى عليها التبديل الثاني الذي أدى إلى وجود نوعيتها
اللفظية التي تخرج من الحناجر في اللهجات. وتبدلّت أيضًا الكتابة
السومرية من ألغاز صورية إلى الخطّ المسماري التي عُرف لها نبرات
لفظية منها ظهرت الأحرف الهجائية. مع مرور الأجيال الكثيرة

(*) ملك آشوري (668 – 631 ق.م.). أطلق عليه اليونان اسم سارданابال. غزا مصر سنة 667 ق.م. وفهر تاهرقا واحتل عقيس وطيبة سنة 633 ق.م. ثم أخضع المدن الفينيقية وأسيا الصغرى وبابل وبلغت في عهده الدولة الآشورية أوجها. رعى الآداب وأشهر بمكتبه التي أنشأها في نينوى وقد احتوت على أكثر من مئة ألف لوح في الشعر والأدب والحكمة (المراجع).

أيضاً أخذ البابليون يحافظون على لغتهم الخاصة الدارجة لدى الشعب، واستعملوا اللغة السومرية الخاصة بالصلوات والخدمات الدينية. ولكن امتراج اللغتين البابلية والسومرية كون لغة بابلية جديدة والتي عُرفت بعدئذ باللغة الكلدانية كما سبق وشرحنا ذلك.

ويظهر لنا أنه بعد وفاة سرجون الملك وابنه نارم سين أخذت المملكة البابلية الأولى في الانحطاط تدريجياً فقدت الأمن والهدوء والوفاق بين السكان وخرج من بابل أبناء آشور وذهبوا فسكنوا في الجهة الشمالية من بين النهرين، حيث أقاموا مدنًا كبيرة ومحصنة مثل مدينة آشور وكحالم ونينوى وأربيل ونصبىين ومردا والرها وأمد. ومع طول الزمن ظهرت لغة أخرى للأثوريين خاصة وعرفت باسمهم، وكانت في أول الأمر صافية من تدخل الفاظ غريبة، إلا أنه بعدئذ امتزجت فيها ألفاظ بابلية وكلدانية من الشعوب المجاورة لهم وعرفت باللغة الآثرية. وبعد مرور الزمن أخذ الأثوريون يسعون للاستيلاء على إخوانهم البابليين وأدخلوا معهم لغتهم الجديدة. واختلطت الألفاظ بعضها ظهرت عندئذ اللغة الجديدة وعرفت باسم اللغة الآشورية البابلية وبعدئذ عرفت باسم البابلية الثانية. وكانت بلاد ما بين النهرين تقع تحت حكم فتئين من السكان؛ في الجهة الجنوبية الحكم للبابليين والكلدانيين، وفي الجهة الشمالية حكم الأثوريون. أما في ما سبق وعندما حكم الملك سرجون الأول في زمن القوة كانت الكلمة الفصل لمدينة بابل والسلطة العظمى كانت بأيدي البابليين، ومع هذا كله عدا الحكم المدني كانت السلطة الدينية لبابل أيضاً وأكثر البلاد كانت تنظر إليها بـالاحظها وكان البابليون يحكمون في جميع الحالات المدنية والدينية وتسيير البلاد بأيديهم وتحت سلطتهم، ولكن هذه الحال لم تكن توافق إخوانهم الأثوريين، لذلك

خرجوا من بابل وذهبوا ليسكنوا في الجزء الشمالي من بين النهرين حيث أقاموا لهم مملكة عظيمة وقوية وبنوا مدینتهم الأولى آشور^(*) على اسم أب القبيلة آشور، ورأوا أيضاً بأن السلطة بيد البابليين وكهنتهم أيضاً وعليه نقلوا مدينة مملكتهم إلى مدينة أخرى هي كالح التي كانت أكثر بعدها من الأولى. وعندما قويت مملكتهم ذهبوا إلى بعد مسافة من بابل وأقاموا مدينة مملكتهم في نينوى، وهكذا كلما كان كهنة بابل يزعجونهم كانوا يبتعدون إلى مدن أبعد في المنطقة الشمالية، حيث إن الآشوريين كانوا أبطالاً أقوياء ومحاربين أشداء ولم يكن لهم ميل إلى الحياة الدينية والطاعة لأوامر كهنة بابل.

أما الجهة الجنوبية من بين النهرين فقد كانت سهلاً منبسطاً، بينما الجهة الشمالية وإن كانت سهولاً إلا أن طبيعتها كانت صعبة إذ كان فيها أشكال مختلفة طبيعياً من جبال ووديان ومروج وغابات متعددة وأقاليم المختلفة، وفيها يمر النهران الكبيران دجلة والفرات النابعان من جبال المنطقة الشمالية ويجريان في البلاد حتى سهل شنوار. وكان النهران يسيران في البلاد كل على حدود البلاد السريانية حتى يصبان في الخليج العربي. وفي زمن ملوك الآشوريين المتأخرین قام الملك سنحاريب بشجاعة وإرادة قوية بأمر عظيم هو أن يُخلط النهران في مصب واحد كما هما عليه الآن. وعدا هذين النهرين العظيمين دجلة والفرات يوجد أنهر أخرى صغيرة جاء ذكرها في التواریخ السريانية

(*) مدينة قديمة يعود تأسيسها إلى الآلف الثالث قبل الميلاد. عاصمة الآشوريين الأولى. أقام فيها توکولتي نينورتا الأول (1260 – 1232 ق.م.). هيكلًا للإله آشور استمرت حتى انتقال العاصمة إلى نينوى (القرن الحادي عشر) مرکزاً دينياً خطيراً، احتلتها الفربتون عام 140 ق.م. فازدهرت في أيامهم. خربها الرومان وأتمّ شابور الأول تدميرها عام 257 م. اكتشف الأثاريون الألمان فيها هيكل آشوري وفرثية وغيرها (المراجع).

ومنها أنهر خابور ومشك، وواسا وبطمن والزاب الكبير والزاب الصغير هذا إضافة إلى بقية الوديان والينابيع والبحيرات التي صنعتها السريانيون وحفروها لأجل رعي أراضيهم وجعلوا بلاد ما بين النهرين كجنة عدن في العالم القديم، وعليه عُرفت مدنיהם في زمنهم بالمدنية الزراعية. هذه هي البلاد التي سكنت فيها القبائل السريانية القديمة ومنها تفرقوا وأقاموا في البلاد المحاذية الأخرى أي من وسط فارس حتى البحر المتوسط، ومن حدود البحر الأسود حتى حدود مصر والجزر الغربية، وفي هذه البلاد والمناطق أقاموا لهم ممالك كثيرة قامت واندثرت على مدى الأزمنة الطويلة، وكلما كانت تقوم لهم مملكة، كانت لغتهم معروضة لإبدال ألفاظها الأصلية إلى ألفاظ جديدة وبهذا كانت اللغة السريانية تتسع.

إن الأمم التي عرفت تدوين التاريخ هي: البابليون والآثوريون والكنعانيون والأراميون. أما البابليون والآثوريون فاعتنوا وأقاموا لهم ممالك وثبتوها وكان العالم القديم طائعاً لهم ومنفذًا أحکامهم، لكن الكنعانيين والأراميين لم يعتنوا ويسعوا لتكوين ممالك لهم أو دول كإخوانهم البابليين والأراميين ولم يميلوا إلى الرئاسة والسلطة العالمية، إلا أن دأبهم كان الزراعة والتجارة، ولم يرغبو في الوحدة كإخوانهم القدامى فكانت تجارتهم تصل حالاً إلى البلاد التي كان يسيطر عليها إخوانهم البابليون والآثوريون وكان أشدّ اهتمامهم كما قلنا الزراعة والتجارة والصناعة.

كان الكلدانيون قد اتحدوا مع الأكديين والسوبريين ومنهم تكون البابليون الأوّلون، وإن هذه التسمية أول الأمر كانت تُعطى للكهنة في بابل من حيث حكمهم على البلاد وترؤسهم على مملكة بابل.

أما الأئموريون والفينيقيون فهم قبائل تفرّعت عن الكنعانيين، في حين أن الأئموريين أي العموريين هم من الكنعانيين الذين قدموا إلى الشرق من البلاد وسكنوا في بابل، وكذلك الفينيقيون هم من القبائل التي توجّهت نحو الغرب وسكنوا في المناطق الشرقية للبحر المتوسط، ومن هذه القبائل الفينيقية خرج سكان قرطاجنة ومعناها (موناهوب: قرت موش) القرية الجديدة وتفرقوا في البلاد الشمالية من أفريقيا وببلاد إسبانيا وجنوب فرنسا وفي إيطاليا وبقية مناطق البحر المتوسط؛ ومن هؤلاء الكنعانيين والقرطاجيين والفينيقيين أقيمت دولة كبيرة دامت زمناً قليلاً في الحكم والعظمة بواسطة رجالها الأبطال الذين وقعت سلطتهم على جميع البلاد في أزمنة اليونان والروم.

أما البابليون الذين سبق عنهم القول فتمكنوا من أن يثبتوا الأمة السريانية إذ كانوا أقوى من السريانين الذين اشتهروا بشجاعتهم وفتوحاتهم واستيلائهم على شعوب العالم القديم، وقد قُسمت مدة أزمنتهم إلى أربع فترات من أزمنة عظيمة أظهروا فيها شجاعة وشهرة وهي:

1. فترة المملكة البابلية الأولى (الكلدانية) وتبتدىء في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد.
2. فترة المملكة الآثرية الثانية وتبتدىء من أزمنة غير معلومة، وتنتهي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد.
3. فترة المملكة الآثرية الثانية وتبتدىء حوالي الألف الأخير للميلاد وتنتهي سنة 606 ق.م. بانقراض مملكة نينوى.

4. فترة المملكة البابلية الثانية (الكلدانية) وتبتدئ سنة 625 ق.م. وتنتهي سنة 533 ق.م.

سوف نتكلّم عن هذه الفترات الأربع بصورة واسعة ومفصّلة، وعن أعمال البابليين والآثوريين. قرّر المؤرخون أن يقيسوا تدابير البابليين والآثوريين في العالم القديم على هذه الفترات الزمنية بسبب تسلسل الرئاسة من إحدى الممالك إلى الأخرى كما سبق الذكر.

أما واقع هذه الممالك فهو في إدارتها وتعاليمها وثقافتها ومدنيتها وفتوحاتها، فقد كانت تقريباً متقاربةً وموحدةً كما هي لغتها موحّدة وأصلها واحد. أما الفرق الذي كان موجوداً بين الأمة البابلية والأخرى الآتورية فأقول عقلياً إن أصله هو:

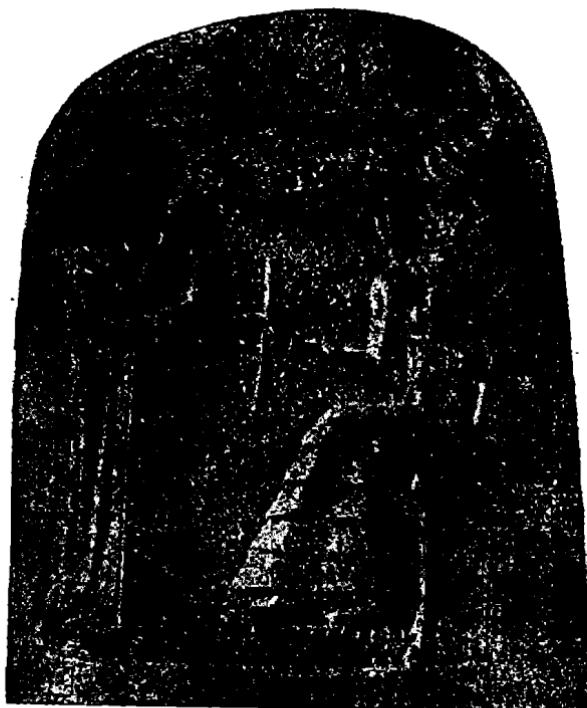
في الفترة الأولى كان لدى الدولتين البابلية والآتورية التعصّب والإدارة والدين. أما في الفترة الثانية فقد كانت تسعى وتهتم بترسيخ أسس السريانية وثبتت مدنيتها وتعليم ثقافتها، وأينما كانت تطّع أقدامها كانت تسعى باهتمام كبير إلى توحيد الثقافة والتعاليم في تلك البلاد التي كانت تعيش بهم杰ة وجهل للإنسانية، وقد أضيف إلى اللغة البابلية والآشورية اللغة الكنعانية حوالي 3000 سنة ق.م. وكان ظهور اللغة الآرامية منذ أجيال غير معلومة وأخذت محلّها بين الكثير من الشعوب التي تكونت منهم الأمة السريانية حتى أخذت تدريجياً أن تكون لغة قوية تفوق جميع أخواتها.

إن الكنعانيين كانوا قد انقسموا إلى قسمين عظيمين (شعيبين) والأموريون (العموريون) والفينيقيون. ذهب الأموريون نحو الشرق واختلطوا مع سكّان ما بين النهرين، ولكن الفينيقيين توجّهوا نحو

الغرب واستولوا على البلاد الواقعة على شواطئ البحار، خاصة على سواحل البحر المتوسط، وحوالي سنة 2300 ق.م. قويت قبيلة من الأمريين تُدعى صومابي فشكّلت مملكة واستولت على كرسي بابل وأخذت تدير البلاد، واشتهر من بين مؤسسي دعائم المملكة وثقيفها وإدارة شؤون هذه المملكة العظمة ملك اسمه حمورابي أو عمورابي أي كبير الشعب، وكان أقوى ملك في بابل، وهو الذي جدد عز الأمة السريانية التي حالاً بعد وفاة سرجون الأول كانت قد مالت إلى الانقراض، فهو الذي وحد جميع قبائل الأمة، وبنى وشيد مدنًا عظيمة وعجبية، وبمهارة قوية جمع علوم القدماء ورتب حياة المدن السريانية، ولم يكتفي بهذا فقد قام بفتح البلاد المجاورة التي كانت قد خرجمت عن طاعة البابليين، وكذلك قد أحب الشعوب التي دخلت تحت طاعته وأصبح السكان يتمتعون بحياة جديدة ومرجحة حياة المدنية الحقيقة، وجمع الأحكام والقوانين القديمة وصنع شرائع ورتبتها بعد أن أضاف عليها قوانين أخرى وأحكام جديدة حسب ما اقتضاه الزمان آنذاك، وأضحت جميع الشعوب السريانية التي في كلّ البلاد التي في ما بين النهرين وسوريا وفينيقيا وأسيا الصغرى تحت قانون الشريعة الواحدة وبطاعة الملك الواحد حمورابي وكثيرون هم الذين اقتدوا آثاره وساروا على أثره حسب شرائعه التي دامت حتى أيامنا كما أن أكثر القوانين والأحكام في الشعوب المتمدنة موضوعة على أساس حمورابي.

أما الكهانيون الذين سكنوا غربى البلاد فمنهم من بقى فينيقياً وقد اهتموا بالزراعة والتجارة وبالملاحة وتفرّقوا في جميع بلاد البحر المتوسط وفي كلّ سواحل أفريقيا وشيدوا لهم مدنًا ودولًا متعددة فمنها ممالك صور وصيودون في الشرق، وفي الغرب مملكة قرطاجة

التي هي أول من تعاطى التجارة في فينيقيا حيث وصلوا إلى بلاد بريطانيا العظيمة والسواحل الشمالية من بلاد أريني، كما وأنهم كانوا قد داروا حول سواحل أفريقيا كلها.



كما أنّ الآراميين حتى سنة 1800 ق.م. لم يقيموا لهم ممالك معروفة إذ إنّهم كانوا يتنقلون في غرب فينيقيا قبل تلك الأزمنة، وبعد زمن غير معروف عادوا ودخلوا بلاد ما بين النهرين حيث تنقّلوا في الأراضي العامرة حتى وصلوا إلى حدود البحر الأسود وببلاد فارس، ثم بعدئذ أقاموا لهم ممالك صغيرة في سوريا وفي حران وفي بلاد الشمال الخصبة وفي قيليقيا. إنّ الممالك التي عرفت أكثر

من غيرها من دول الآراميين هي الدولة التي قامت في الشام وفي سهل وحمة والرها ودولة تدمر وأخر دولة الأنباط^(*) حيث إنَّ الكنعانيين والآراميين لم يسعوا لتوحيد طوائفهم (قبائلهم) كما فعل إخوانهم البابليون والأنثوريون ولم يقيموا لهم دولة قوية عظيمة كما فعل إخوانهم ولكن دأبهم وسعيهم كان جمع الأموال والتجارة لعدة أجيال، وهذا دعاهم لأن يجدوا لهم أحرفاً هجائية للقراءة من الأحرف المسمارية المستعملة عند البابليين والأنثوريين وسموا أحرفهم بأسماء خاصة، وبحسب فهمهم والذكاء الذي لهم تمكّنوا من إثبات خواص الأحرف بالألفاظ وأصوات لغوية لكي تساعدهم على كتابة دفاترهم ورسائلهم وحساباتهم، وبها تمكّنوا أن يبدّلوا الألغاز القديمة بكتابة الأحرف وبسبب القرابة الجنسية واللغوية فكان طبيعياً أن يتمزج اللفظ الكنعاني وكذلك اللفظ الآرامي بالألفاظ بابلية وأنثورية قديمة، وهكذا ظهرت لغة جديدة أخرى عرفت باللغة الآرامية ولهذا أعطي اسم اللغة السريانية لتلك اللغات بأجمعها وكانوا قد سبق وامتزجوا ببعضهم، ويقال أيضاً إنَّ اللغة الآرامية سُميَّت باللغة السريانية، وحتى العجل السابع بعد المسيح كانت اللغة الآرامية اللغة العامة في العالم المتمدن القديم وبهذا عرف أخيراً ودعى بلغة العالم الأول، وبهذه اللغة نزلت الحكمة الإلهية في العالم حيث قالت كما تريدون أن يصنع لكم الناس هكذا اصنعوا أنت لهم أيضاً. أما ما يجب ذكره هنا فهو امتزاج اللغات السريانية المختلفة والمذكورة سابقاً، حيث إنَّ الامتزاج كان عالمياً

(*) من المعروف أنَّ مملكة الأنباط هي مملكة عربية، وُجِدت في حدود الفترة (312 ق. م.). امتدت حدودها من فلسطين شمالاً إلى حدود الحجاز جنوباً، ومن بادية الشام شرقاً إلى شبه جزيرة سيناء غرباً (المنظمة العربية للترجمة).

وسميت حصيلته باللغة الآرامية الأخيرة أكثر من أي صيغة أخرى من صيغ أخواتها، ولهذا السبب دعت اللغات جميعها السريانية باللغة الآرامية الخاصة وهكذا كان اسم اللغة الآرامية، اسمًا لكُل اللغات التي كانت قبل هذا المزج التي مر ذكره آنفًا.

قبل أن ننهي هذا الفصل، لنا كلمة أخرى عن الجنسية الكنعانية، ذلك أن الكنعانيين كالبابليين والآثوريين والأراميين هم من نسل سام وليسوا من أبناء حام كما ذكر المؤرخون العبرانيون الذين لم يريدوا أن يجعلوهم أقرباء وإخوة من جنسهم بسبب العداوة العظيمة التي كانت عندهم تجاههم، وبواسطة هذه الأخبار والمعلومات غير الحقيقية التي وضعها العبرانيون، كان المؤرخون يجعلون الكنعانيين من نسل حام منذ أزمنة طويلة. أما الآن لما عُرف لدى جميع المؤرخين والكتبة أنّ جنس الكنعانيين هو من الساميين فأخذوا يدوّنون أخبارهم و يجعلونهم من بين إخوانهم الحقيقيين وخاصة لأنّ لغة الكنعانيين هي كبقية اللغات السامية، فعليه جعلناهم من الأمة السريانية القديمة.

من هذا وما سبق بقيت ظاهرة لدى القارئ لمعرفة حقيقة كيفية ظهور اللغة السريانية من الألفاظ والشعوب السريانية المختلفة الذين سكروا بين النهرين وفي سوريا وبقية بلاد السريانين.

في الفصول القادمة سوف نظهر بشكل أكثر تفصيلاً وطولاً اختلاف اللغات ونشرح بالتفصيل ليكون الاطلاع كاملاً للمتعلم السرياني على تمدن الشعوب السريانية ولغتهم السريانية.

الفصل الثاني

البابليون والآثوريون



من أخبار الآثوريين والبابليين في أرض بين النهرين حتى الألف الخامس قبل الميلاد، أنهم كانوا يسكنون في المنطقة الجنوبية وخاصة في أرض "شنعار الشعوب" وقد وجدت السومرية منذ أزمنة غابرة غير معلومة وقبل أن توضع الأسس لبابل العظيمة. كان السومريون يتعمدون بحياة مدنية موافقة لشخصيتهم التي أوجدوها لأنفسهم،

وكانَت الغاية المهمة عندَهُم الحالة الزراعيَّة حتَّى ظهور الشعوب الساميَّة الأولى، وكانت اللغة السومريَّة معروفة في ما بين النهرين وبها كتبوا ووضعوا علومَهُم جميعَها، وعند ظهور القبائل الأولى للساميين خاصَّة بقيادة سرجون الأول الأكدي واستيلائه على المنطقة الجنوبيَّة من أرض بين النهرين، انقرضت مملكة السومريين إلى الأبد ووقعت تحت حكم الساميين الذين هُم السريانيون القدماء، أو القبائل الأولى لظهور السريانيين، وقبل أن يستولوا على السومريين كان السريانيون يتنقلون في بلاد ما بين النهرين. وكانوا يختلطون مع السومريين، ولم يكن ممكناً لهم آنذاك أن يستولوا على البلاد جميعَها قبل ظهور سرجون الأول الذي بواسطة فتوحاته حدَّ بداية ظهور السريان القدماء، وأسس لهم مملكتهم الأولى، ومنذ ذلك الحين أخذوا يزيدون من مخالطتهم السومريين وبواسطة هذا الاختلاط الجنسي للشعوب السريانية والسومنيَّة وامتزاج اللغتين السريانية والسومنيَّة ظهر هذا المزج مع لغة أخرى عُرفت باللغة الكلدانية أو البابلية، وأصبح هذا الامتزاج مزجاً طبيعياً للغة السريانية القديمة (أي اللغة الأكديَّة) وأصبحت اللغة السومريَّة محصورةً فقط بالرتب الدينية والصلوات وغيرها. واللغة الحديثة التي ظهرت من امتزاج اللغتين المذكورتين تكونت وعُرفت باسم اللغة البابلية القديمة والتزم الشعب بالتحفظ بها، وبالرغم من أن السومريين وقعوا تحت حكم بابل للمرة الأولى، إلا أنَّ عِزَّتهم كانت محفوظة لدى الحُكَّام الجُدد - الذين حكموا بلادهم - البابليون القدماء وحفظت لهم الخدمة الدينية الروحانية للشعب، حيث إنه من قبيلهم أقيمت الكهنة وخدَّام هيكل الآلهة وكانوا يتسلَّطون بيد قوية على عقول الشعب وبعد أزمنة طويلة استولوا على بلاد بين النهرين

وأقاموا لهم دولاً عرفت بالدول الكلدانية، وكانت هذه التسمية في أول الأمر خاصة بالكهنة فقط، وبعدئذ دُعيت أيضاً الأمة البابلية، غير أنَّ الجنس السومري كان تدريجياً من خلال اختلاطه بشعب الأكديين أي السريانيين قد تلاشى واندثر، وهكذا ظهر عوضه الشعب البابلي ولغته معاً، وكانت اللغة السومرية محفوظة فقط في كتابات تعرف بالكتابة السومرية، ولهذا السبب عندما كانوا يكتبون شيئاً من المعلومات عن السومريين كانوا يكتبون على الجانب الثاني ترجمتها أو تفسيرها باللغة البابلية وهكذا كانوا يفعلون في الأيام الأولى لتأسيس بابل، فقد عُرف في ما بين النهرين لغتان السومرية والبابلية وُخُصص السومرية لكتابة الخدم الدينية والبابلية لأغراض الشعب.

هكذا يُقاس زمن ظهور الأكديين القديم سنة 2800 ق.م. زمن سرجون الأول أمّا اللغة الأكدية كانت اللغة السومرية الأولى خاصة ولغة الساميين عامة وكانت بالتأكيد موجودة قبل أيام سرجون الأول بمئات السنين، وحتى هؤلاء الأزمنة كانت محفوظة بخواصها السريانية أو السامية ولسوء الحظ لم يبق لنا ما يثبت ويظهر الكيفية الكاملة عن اللغة السريانية قبل اختلاطها باللغة السومرية.

بعد أن ضعفت مملكة بابل العظيمة التي أسسها سرجون الأول ملك سومر وأكاد، وقعت في جميع بلاد بين النهرين انقسامات أدت إلى الضعف، فعاد الحكم من جديد إلى يد الكهنة الكلدانيين والحالة هذه ألمت الكثيرين أن يلتجأوا إلى مغادرة البلاد، وبسبب هذه الحالة السيئة ظهرت القبيلة الآثرورية من بابل وذهبت فسكنت في الشمال حيث أقامت لها أولاً حاكماً تحت سلطة البابليين ثم بعد ذلك تدريجياً قوي الآثوريون ورفعوا عنهم نير العبودية للبابليين وتحررروا وأقاموا

لهم مملكةً قوية تمكّنت بعدها أن تستولي على كلّ العالم القديم ومعه أيضاً مملكة بابل العظيمة. إنَّ مؤسِّس شعوب الآثوريين هو آشور جدّهم الأول وباسمها سُميَت أمّته. والآثوريون من دون شك تفَرّعوا عن البابليين وهم مثلهم ساميون أيضاً، وقد انتقلوا إلى شمال أرض ما بين النهرين وأخذوا معهم لغتهم البابلية التي تدرّيجياً ومع مرّ الأزمنة والأجيال الكثيرة بسبب مجاورتهم لغات أخرى واحتلاط لغتهم بجمل غريبة من هذه اللغات المجاورة فقد ظهرت عندئذٍ اللغة الآشورية الخاصة ولمّا تقوّت الشعوب الآشورية ضبطوا مدينة بابل وخلطوا لغتهم الخاصة باللغة البابلية القديمة وخرج من ذلك المزج لغة أخرى جديدة وهي المعروفة لدى الكتاب والمؤلفين باللغة الآشورية البابلية التي كُتب بها كثير من أخبار كلا الشعوب السريانيين وهم البابليون والآثوريون إلى حين قيام اللغة الآرامية.

على الأسس المدنية السومرية وضعَت الشعوب القديمة من السريانيين أي البابليين والآثوريين مدنיהם وأمور دياناتهم وقضاياهم وشرائعهم وعلومهم ومعارفهم ومسيرتهم وكذلك أيضاً أخذ عنهم الآثوريون والبابليون كتابتهم السومرية التي كانت أشكالاً رمزية وصورية حيث إن الشعوب السريانية استبدلت تدرّيجياً تلك الرموز بأشكال المسامير والسكاكين المعروفة باسم كتابة الكهنة بالحروف، ولما انفرضت الدولة السومرية دخلت البلاد تحت حكم الشعوب السريانية أي البابليين والآثوريين في أرض ما بين النهرين وقسمت أزمنة الشعوب السريانية إلى أربعة عهود عظيمة هي:

1. مملكة البابليين الأولى وتبتدئ من سنة 4000 ق.م. إلى سنة 1360 ق.م.

2. مملكة الآثوريين الأولى وتبتدئ منذ أجيال وقرون غير معروفة حتى سنة 1030 ق.م.

3. مملكة الآثوريين الثانية وتبتدئ من سنة 1020 ق.م. حتى سقوط نينوى سنة 606 ق.م.

4. مملكة البابليين الثانية (الكلدانيين) وتبتدئ من سنة 625 ق.م. حتى سنة 533 ق.م.

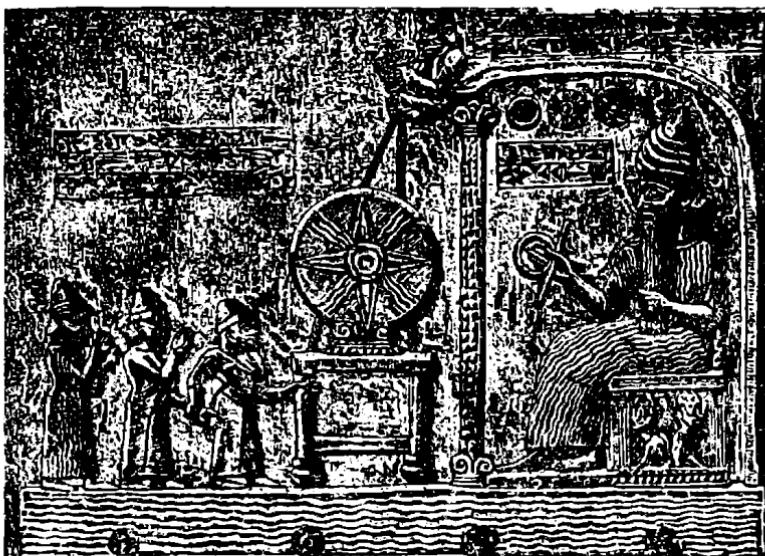
سندكر للقارئ هنا باختصار عن حالة الشعوب السريانية في هذه الأزمنة.

(1) المملكة البابلية الأولى

إذا نظرنا إلى العصور الأولى المنقرضة قبل الشعوب السريانية، لوجدنا أنه قبل ألف الرابع قبل الميلاد كان سكان أرض بين النهرين منقسمين على أنفسهم وكانوا تحت رئاسة حكام متعددين، ولم تتحدد تلك الشعوب المختلفة حتى زمن سرجون الأول حوالي 3800 سنة ق.م. إذ إنه قبل هذه المدة لم يعرف لهم ملوك، غير أن آباء تلك القبائل المقاتلين منهم والأبطال كانوا يقومون بزعامة قبائلهم الخاصة، وقد جاء ذكر بعض الأبطال منهم مثل آشور، وأرام،



ونمرود في الكتب (الكتابات) والأخبار القديمة. ثم إن سرجون الأول ملك آكاد وزعيم القبائل السريانية الأكدية زحف بعساكره على القبائل والشعوب التي تسكن بأرض بين النهرين من السومريين فاستولى على جميع البلاد وحكمها ووحد المختلفين والمنقسمين وجعلهم شعباً واحداً وسمّاهم باسم جديد هو البابليون، وبعد زمن بنى المدينة العظيمة بابل وسط البلاد وذلك تقديرأً وإكراماً للإله بيل وشيد هيكلًا عظيماً في وسط مدينة بابل تكريماً لمردوخ واعترافاً للنعمة التي أولاها بها الإله بيل من الانتصارات.



بعد أن استولى الملك سرجون الأول على البلاد واستتبَ له الأمر وأخذ زمام الحُكم في جميع البلاد وحدّهم جميعاً فعرفت مملكته باسم مملكة بابل. ثم جمع عساكر وزحف على البلاد المجاورة ولرجاحة عقله وشجاعته ومساعدة ابنه نرام سين تمكّن من فتح

بلاد كثيرة ووسع مملكته كما سبق شرحه، فأصبح الشرق كله تحت سلطة البابليين فامتدتْ مديتها وثقافتهم إلى جميع أقطار المنطقة بكمالها، ولكن بعد موت سرجون وابنه نرام سين، أخذت قوة البابليين تضعف تدريجياً فخلع السومريون نير طاعة البابليين، فقويت شوكتهم بسرعة وأعلنوا عصيانهم، حتى إن المدن العظيمة الكبيرة والمحصنة الواقعة في منطقة الجنوب مثل مدينة أور وأريدو وكاسير التل وأرك، كلّها خلعت نير الطاعة للبابليين وتمرّدوا عليهم وأقاموا حكامًا جددًا ودامت هذه الحالة حتى ظهور الأموريين (العموريين) الكنعانيين، فإنّ هؤلاء بواسطة شجاعتهم تمكّنوا أن يعيدوا سلطة الحكم إلى بابل العظيمة.

مع أنّ الأморيين هم أيضاً من جنس البابليين والأنوريين وبواسطة قرابتهم الجنسية ومساعدة سكان بابل أبناء جنسهم لهم تمكّنوا من الاستيلاء على البلاد وأعادوا شهرة بابل والسلطة بأيدي البابليين، وبعد تدهور الممالك السومرية والعيلامية الذين كانوا في الحدود الجنوبية لأرض ما بين النهرين، وبعد ظهور الأموريين والكنعانيين تحرك بهم الدم السرياني وكذلك اللغة البابلية وألقابها وتوسعت حتى أصبحت اللغة العامة في آثر ودخلت عليها كلمات جديدة كنعانية فزاد توسعها واشتهرت بالكلمات الجديدة ذات المعاني الكثيرة التي لم تكن معروفة لدى البابليين من قبل ذلك الزمن لسبب كونها حتى ذلك الحين لغة في أول ظهورها.

كان حمورابي (*) أحد الملوك العظام من ملوك الأمراء الكنعانيين حكماً وشجاعاً، ومن حيث شجاعته وقوّة عقله تمكّن أن يجدد قوة بابل ويعيد عظمتها، إذ سار متبعاً خطوات سرجون الأول الذي هو الملك البابلي الخامس من نسل صوبالي. إنَّ الملك حمورابي لهذا تمكّن أن يجمع قبائل السريانيين ويرفع جميع الخلافات الموجودة بين هذه القبائل أي البابليين والآثوريين والكنعانيين فوحدهم وجعلهم شعباً واحداً تحت حكم واحد ومملكة واحدة (البابلية العظمى)، وبعد هذا التوحيد فكر في فتح البلاد المجاورة. فلما انتهى باشر بترتيب المملكة ووضع لها القوانين والتعليمات وشائع وأحكام وأمور المدينة والثقافة الجديدة لأجل المحافظة على الوحدة الكبرى الشاملة.

في زمن هذا الملك الجليل العظيم حمورابي ازدهرت المملكة البابلية وجميل بلاد أرض بين النهرين بثقافة عالية وصناعات عجيبة وتشريع القوانين والحكم المشهورة حتى أصبحت بلاد السريانيين مصدر المدينة والثقافة لكل العالم القديم.

ولكن هذه الحالة لم تدم كثيراً بعد موت حمورابي حيث إنَّ مملكة بابل ظهر عليها الانحطاط والانفراط لسبب كثرة الغُزاة من الكوشيين

(*) توهُّم الذين كتبوا الاسم حمورابي فالصحيح حمورابي (بالمير المستبدة) ومعناه الدفء الكبير. وحمورابي الملك (1792 – 1750 م) أشهر ملوك الدولة البابلية. قضى على الإمارات الصغيرة وحقق وحدة ما بين النهرين. مشرع عظيم وكتب شريعته على قطعة من حجر البازلت تمثل في أعلىها الملك حمورابي أمام إله الشمس تحتوي على 282 بندًا، اكتشفها دي مورغان في سوسة بياران وترجمها لأول مرة إلى الفرنسية الأب شيل الدومنيكي (المراجع).

الذين كانوا يعيشون بالبلاد الجنوبية من أرض بين النهرين، وأقاموا لهم مملكة في بلاد بابل بسبب كراهيتهم لشعوب السريانيين جداً. عبئاً اجتهد هؤلاء الغزاة الجدد أن يكسبوا مودة السريانيين لهم، أولًا من حيث جنسيتهم الغربية عنهم، ثم لسبب الفتوحات والاختلالات الكثيرة ولوحدة جنسيتهم ولعنتهم، فضعف مملكة بابل العظيمة وتسلطت بلبلة عليها مدة طويلة واحتلالات وقتل وظلم ودمار، وبهذا كانت بابل تألم لسبب ضعف مدبريها. فأخذ الأثوريون ذلك حجة فترعوا عنهم نير الطاعة، وافترقوا إلى الجهة الشمالية من أرض بين النهرين. وبعد أن تحرروا بمدة قصيرة من طاعة البابليين تقووا وكثروا جداً فزحفوا على البلاد جميعها وخلصوا إخوانهم السريانيين البابليين من حكم وسلطة الغرباء الذين طردوهـم من بلادهم، فأعادوا السلطة من جديد في أرض بين النهرين إلى يد السريانيين.

(2) مملكة آشور الأولى



إن المملكة ابتدأت منذ أجيال غير معلومة ودامـت حتى سنة 1030 ق.م. وأما اسم الشعب هذا فهو كنية وجزء من الشعب الذي تفرعت

عنه الشعوب السريانية ودعوا بهذا الاسم نسبة إلى آشور (آثور) الذي هو أحد أولاد سام بن نوح وإن هذا الاسم بمختلف ألفاظه كان كما يأتي:

إن لفظة آشور أو أشور هي واحدة. ففي شرقى البلاد أي في بابل وأشور كانوا يلفظونه آشور حسب الألفاظ اللغوية لديهم، لأن الكلنانيين والفينيقيين والبرتانيين كانوا عند لفظهم حرف (ث) يلفظونه بصوت (ش) أي يقلبون الثاء إلى شين، ولكن الشرقيين أي البابليين والآشوريين المذكورين فكان عندهم لفظ الثاء مستعملاً بعكس الغربيين فيقولون مثلاً ثور لاهوا، حوارا، لاما، أمما الغربيون فيقولون سورا حوج شلش سعن ، وعلى هذا كان الشرقيون يقولون آشور والغربيون يقولون آشور، وعُرف بعدئذ أن كلا اللفظتين اسم واحد أي لفظة واحدة وتدربيجاً تغلبت لفظة آشور في جميع البلاد فسمى الآشوريون آشوريين وبسبب فتوحاتهم وأخبارهم ووطئهم البلاد سموا أو عرموا بشهرة آشور وعممت هذه التسمية لدى اليونان وخاصة لدى الذين يسكنون في آسيا الصغرى لأن أكثرهم أصبحوا خاضعين لسلطة الآشوريين وهؤلاء حيث لم يكن في لغتهم لفظة أو حرف شين فأخذوا يلفظون اسم آشور ثم أضافوا إليها (يان) حسب اللفظ بلغتهم فقالوا أسوريان فصارت شهرة اسمهم أسوريان حسب لفظ اليونان، وبعدئذ بدأوا لفظة (يان) التي عند اليونان واختصرواها فقالوا (يا) كما هي اللفظة عند السريانيين فقالوا (آسوريا) عوض (آسوريان) وبحسب هذه اللفظة سميت جميع الشعوب السريانية من دون تمييز بين البابليين والآشوريين والكلنانيين والأراميين لسبب وحدة مدنيتهم وجنسيتهم ولغتهم وتدربيجاً أخذت هذه الشعوب السريانية تُعرف باسم آشور

كما كان السريانيون يعرفون جميع الإغريقين باسم اليونان، حيث إن اليونان أيضاً يتكونون من عدّة شعوب مثل الكورنثيين والأثينيين والإسبرطيين والأيونيين كما قيل لأبائنا سورايا عوض آسورايا وظنوا حرف (يوث) هو حرف خاص للشهرة وقصدوا بذلك الحرف الأصلي. كما أنّ السريانيين أضافوا حرف (يوث: ي) آخر على الاسم فقالوا سورايا عوض عن سورايا وذلك حسب الصرف عندهم.

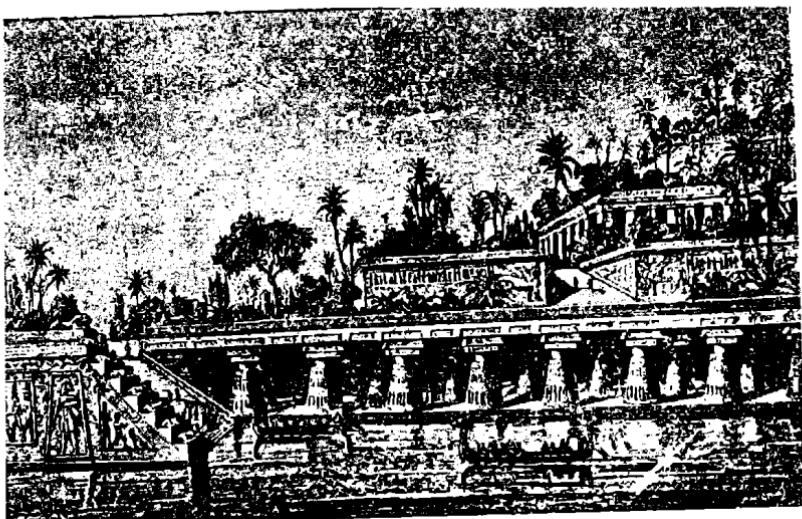
وهكذا من اسم آثور أو آشور خرج الإسم سورايا أو سورايايا بعدما كان يقال آسور أو آسوريان، ثم قيل آسورايا وأسورايايا، وأخيراً قالوا آثاريا أو المواطن كما أطلق أخيراً في وقتنا اسم سورايا على الأمة المسيحية فأصبحت شهرة اسم السريانيين الأولين من الجنس الواحد على المسيحيين في اللغة.

متى انقرضت دولة الآثوريين الأولى؟

إنّ هذا ليس معروفاً لدى الناس ولكن حسبما جاء في التوراة في سفر الخلقة أنّ الشعب الآثوري لم يتفرّع عن شعب بابل العظيم وذهب هؤلاء فسكنوا في الشمال من أرض بين النهرين وبنوا لهم مدنًا عظيمة مثل مدينة آشور وكالح وأربيل ونينوى وراسن (رأس العين) ومدينة نصبيين وأمد ومردا وغيرها في الجهة الشمالية من أرض بين النهرين وعندما عادت قوتهم أي قوّة الآثوريين كانت يدهم فوق أيدي الجميع إذ استولوا على جميع بلاد آسيا الصغرى ومن فارس إلى الهند وكذلك حتّى البحر المتوسط ومن بلاد أراراط حتّى بلاد الغرب.

إن بعض المؤرّخين يقولون إنّ مؤسّسي الدولة الآثورية الأولى

لم يكونا نينوس^(*) الملك وزوجته شميرام وهما من كُتب عنهمَا كثيراً وعَن انتصارَهُمَا وفتحاتِهِمَا في الكتاب المقدس واليونان، وذكروا الجيوش الفاتحة من الآثوريين وفي مقدمةِهِمَا جيش الملك نينوس وزوجته شميرام اللذين استوليا على نصف قارة آسيا.



إن الملكة شميرام قد صنعت أعمالاً عظيمة تحيرت فيها العقول البشرية إذ إنها بعد أن استولت على بلاد وشعوب كثيرة أخذت تجدد المدن الرئيسية بين النهرين فأعادت لمدينة بابل مجدها وعظمتها وأقامتها من سقطتها وbuilt في الجهة الشرقية من أرض بين النهرين المدن الشهيرة مثل مدينة شوشن ومدينة عمدان ومدينة اقسطانا، وفي

(*) اسم أطلقه اليونان على مؤسس نينوس الأسطوري وزوج الملكة شميرام (سميراميس) (المراجع).

الجهة الغربية بنت مدنًا مثل نينوى أدنا وطرسوس وأقامت جسوراً ومعابر عظيمة على الأنهار، وفتحت في الجبال الطرق لعبور الجيوش



والقوافل للسكان وزينت الحدائق العجيبة والساحات الفسيحة وأقامت فيها عمارت عالية شامخة، وخرقت الجبال العاصية وجعلت فيها الطرق لمسير الجيوش الآثرية السريعة التنقل من مكان إلى مكان، وأمنت السفر للتجارة ومدّت ووَسَعَت الحدود لمملكة آثر الأولى من الجهة الشرقية إلى الهند وكذلك غرباً حتى ليبيا في أفريقيا الشمالية، وبنت في وسط بابل هيكلأً عظيماً فخماً على اسم الإله بيل وعلى شرف ذكرى اسم والد نينوس زوجها، ثم صنعت حدائق معلقة والجناين التي تعجبت لها عقول الناظرين، وأقامت أسواراً وحصوناً للمدن التي بنتها. كما أنها جعلت من مدينة بابل أujeوبة زمانها في عظمتها وكبرها وزيتها وعمارتها وأجرت في وسطها النهر، وشيدت قصرين عجيين فخمين في جهتي النهر، وفتحت طريقاً تحت النهر خفياً للعبور إلى الجانبين. ثم صنعت رصيفين رئيسين محاذين للنهر من الجانبين لمسير السكان ومنها تتفرع جميع شوارع المدينة العظيمة على طولها ومحيطة بها. عدا هذه الأعمال العظيمة المدهشة قامت بأعمال أخرى وشيدت عمارت كالدواوين وملعب للشباب والفتيات وبنت دوراً للمحاكم وأقامت هياكل وفنادق للمسافرين ومقامات سكنى وشيدت مدارس لأولاد وبنات الشعب.



في ذلك الزمن كانت الأمة بأسرها تنعم بشمرة الأعمال والثقافة والمدنية وأثناء ذلك اختفت شميرام فجأة بصورة مجهولة من وسط شعبها وعن الناس أجمعين، كما اختفت جثتها عن الأنظار غير أن اسمها لم يختف من العالم ولا من عقول السريانيين وخاصة من ذهن الآثوريين وأفكار شعوب العالم عامة، وكما كان مولدها وظهورها رمزاً سرياً فكذلك كان يوم موتها إذ اختفت عن معالم الناس بالكلية، وإن السريانيين لكتّرة إكرامهم لها ومحبّتهم يقولون بأن روحها طارت كالحمامة وصعدت إلى العلاء، ولهذا السبب كانوا يقدّسون الحمام ويكرّمون كلّ صورة تمثّل الحمام على مرّ الأزمنة، وقيل إنه كتب على قبر شميرام الكلمات الآتية:

".... وإن خلقت في الطبع بصورة امرأة، ولكنني فعلت أعمالاً للرجال الجبارية العظام. إنني جلست على عرش نينوس العظيم ووسعّت مملكته ووسعّت سلطته حتى نهر هبتماتيس وإلى بلاد الجنوب بلاد البسما والمر، وحتى بلاد سوس وسوغдан في الشمال، إلى بلاد لم يرها الآثوريون قبلي ولم يمكنهم أن يصلوا إليها في فتوحاتهم. كما إنني توصلت إلى الأنهار الأربع العظيمة التي لم يصل أحدٌ بعدها، وحوّلت مجرى أنهر كثيرة كما أردت وحسبما اقتضت حاجة البلاد الضرورية للآثوريين ومن أجل ترويج التجارة، وبنيت القلاع والحسون بلا عدد في وسط الجبال الصعبة المسير فيها، وفتحت الطرق وصنعت المعابر لعبور العجلات والجيوش ووصلت حيث لم يصل إليه إنسان ولا حيوان، وكل هذه الأعمال العظيمة العجيبة لم تعقني أو تمنعني من التنعم بالملذات الدنيوية والحياة الطبيعية للحبّ، ولكن بعد تمادي الزمن ومرور الأجيال تبدّلت قصة

شميرام من مفهوميتها الحقيقة وأصبحت أسطورة". الكتاب الأولون والأخرون لم يكتبوا قصة شميرام إلا بنوع من الأسطورة وعلى كل حال فإننا نستنتج منها أشكالاً حسنة وأعمالاً بطولية وعواطف وهكذا فقدت القصة رونقها الحقيقي عن الملك نينوس وشميرام. إلا أنه مع هذا كله نتمكن من اقتباس معرفة الحالة المدهشة المملوقة حياة والحب والمدنية والثقافة التي توصل إلية الآثوريون أيام الدولة الأولى.

بعد هذين الشخصين العظيمين نينوس وشميرام، لم يشتهر ملك آخر من ملوك آثر و حتى بعد أجيال عديدة، غير أنه بواسطة مواجهة الغزاة الجدد للبلاد الذين تمكّنوا أن يغزوا بلاد السريانين وكانوا من شعوب الحبيشيين الذين استولى عليهم الآثوريون فإنّ هؤلاء تمكّنوا من أن يجربوا كلّ بلاد السريانين، من بلاد آثر و بابل إلى سوريا وفيققيا و فلسطين، فالترزت الشعوب السريانية محاربتهم مدى مئات من السنين، حتى تمكّنوا أن يبيدوهم عن وجه الأرض من آسيا الغربية، وبعد أن خرب الآثوريون المدينة الكبيرة كركميش^(*) مدينة الحبيش تمكّنوا من أن يمدّوا سلطة السريانين إلى البحر المتوسط.

في أيام الملك تغلات فلاسر ملك آثر عاد الحكم والسلطة للسريانين. هذا الملك المذكور الحكيم والشجاع من خلال تدابيره وحكمته تمكّن من أن يجدد مجد الآثوريين ويرشدهم إلى عظمتهم

(*) (جرابلس): موقع في شمال سوريا. كانت قديماً عاصمة دولة كركميش بعد اقراض الإمبراطورية החתية في آسيا الصغرى (الألف الأول قبل الميلاد) حدثت فيها المعركة الخامسة بين الآشوريين وأعدائهم البابليين التي أدت إلى سقوط الدولة الآشورية عام 612 قبل الميلاد. نقبت فيها بعثة المتحف البريطاني (المراجع).

حيث إن هذا الملك سار على خطى الملوك الأولين مردوخ ونيوس وشميرام، ووحد الشعوب السريانية وبладهم وجمع تحت سيطرته اثنين وأربعين شعباً بعد أن طهّر البلاد من الخصوم والأعداء الغرباء.

لما كانت بلاد آشور من دون حدود معلومة ومحضنة، فإنهم كانوا دائمًا يتنقلون بين بلاد الأعداء من كُلّ جنس ومن جميع الجهات، ولهذا السبب كان زعماء آشور وملوكيهم ملزمين دائمًا أن يجمعوا لهم جيوشاً عظيمة ليكونوا حذرين متبعين للمحافظة على البلاد من الأعداء الحسودين بِالقائهم الفتنة ليحرّكوا الشعوب والقبائل الغربية إلى الحروب الدائمة من دون انقطاع كي يجعلوا هذه الشعوب والقبائل في حرب دائمة بهدف إضعافها، وبسبب هذا التدبير تمكّن ملوك آشور أن يكونوا ويجعلوا من بلادهم معسّرات عظيمة قوية، إذ بقوتها تكون آشور مسيطرة على الجميع وإذا ضعفت هذه القوة فهكذا أيضًا يضعف الآثوريون وتنفرض دولتهم، وبوجه عام كان كُلّ رجل آثوري بطبيعة الحال جندياً في الجيش الآثوري.

إن الأخطار التي كانت تحصل لمملكة آشور من الشعوب المحاذية والمعادية لم تكن أكثر خطراً من الأعداء الموجودين داخل البلاد. فعليه لم يكن لملوك آشور راحة من الفتنة والأخطار التي كان الكهنة يشيرونها عليهم لأنّ كهنة بابل كانوا يكتنون العداوة لملوك آشور وكذلك ملوك آشور يبغضون هؤلاء الكهنة ويعادونهم، وهكذا كُلّ طرف كان يعادى الطرف الآخر بسبب الرئاسة في بابل، ومن أجل هذه الحالة كان ملوك آشور يبعدون كرسي مملكتهم من مدينة إلى مدينة أخرى في آشور، فمن مدينة آشور (آشور) انتقلوا إلى مدينة كالح ومنها

إلى مدينة نينوى حيث كانوا دائمًا يبتعدون نحو الجهة الشمالية من أرض بين النهرين تخلصاً من مشاغبات كهنة بابل وفتthem.

(3) مملكة آشور الثانية

إن مملكة آشور الثانية ظهرت حوالي الجيل العاشر قبل الميلاد، أي في نهاية الجيل الثاني عشر وأوائل الجيل الحادي عشر قبل الميلاد (سنة 1020 ق.م.). وبقيت هذه الدولة محافظة على حكمها وسيطرتها على البلاد حتى سقوط نينوى سنة 606 ق.م.



بعد أن ضعفت المملكة الآثرية الأولى وتدهورت من حيث

كثرة الحروب الخارجية والفتن الداخلية كما سبق وذكرنا آنفًا، انتقض الآئمرون ونفضوا الضعف عنهم، وتمنطقوا بالقوة والشجاعة فجعلوا لهم كرسيًّا للمملكة في مدينة كالح في شمال آشور على شاطئ نهر دجلة عند ملتقاه بنهر الفرات (الزاب الأسفل) أو الزاب الكبير، وفي هذا أيضًا لم يخلصوا من يد الكهنة في بابل. فالترزموا أيضًا بأن ينقلوا كرسي المملكة إلى مكان أبعد في الشمال فقاموا أخيرًا بجعل كرسي المملكة في مدينة نينوى أيام الملك آشور ناصربال الملك الثامن أو التاسع للملكة الثانية، فاهتم ملك آشور ناصربال هذا أن يعيد عظمة آشور فقام مجددًا بالفتحات كأسلافه؛ كما أراد أن ينتقم من مصر التي كانت قبل زمن قد زحفت على آشور فوصل طيبة ونهبها وكانت مدينة مملكة فرعون، وعامل المصريين بقساوة شديدة وضاربة، وفي زمن هذا الملك من المملكة الثانية يتبدئ وضع التاريخ القديم العام لسبعين رئيسين:

الأول: أن الشعوب السريانية تقدّمت بالعلم والتأليف.

الثاني: معرفة الآئمرين بالوضع العالمي الجديد الذي لم يكن معروفاً في السابق لدى الأمم القديمة. كانت سلطة البلاد التي يتسلطون عليها وأحكامها بحسب إجراءات الملوك للبلاد التي يستولون عليها لكي تبقى تحت الطاعة الدائمة للبلد الحاكم صاحب السلطة، وهذه الحالة هي السبب الذي جعلت الشعوب الكبيرة القوية تستولي على العالم وتفرض سلطتها دائمًا على البلاد التي احتلتها الجيوش وقواتها، وإلى هذا الزمن كان الفاتحون الأولون يتنعمون بنهب البلاد فقط وعوض أن يقيموا لهم حكماً راسخاً وثابتاً في البلد الذي يفتحونه كانوا يكتفون فقط بسببي الشعب وسلب أمواله ونهب

خيراته ويعودون حالاً إلى بلادهم حاملين ما سلبوه ويعطون من تلك الأموال حصة للذين يبقون في البلد الذي يستولى عليه حتى يقوى ثانية ويجدد أخطاره من جديد على الشعب الذي استولى عليه.

أما الآثوريون في زمن هذه المملكة الثانية فجعلوا تدابيرهم يعكس ما ذكرناه أعلاه، غير أنهم جعلوا إدارتهم الجديدة من أجل تصفية حكمهم وتشييته في البلد الذي يستولون عليه، كما صنعوا تبديلات ملكية كثيرة وأقاموا رتبأ وحالات للحكام والعساكر وقوانين لكي يقوموا بإدارة البلاد جميعها، وفي هذه الحالة تمكّنا من الاحتفاظ بإقامة مملكتهم فقط إلا أنهم كانوا دائماً يجعلون لها قوانين وأوامر وتدابير حقيقة وقوية لإثباتها وتقويتها حتى تمكّنا أن يحتفظوا بدولتهم العظيمة مدةً طويلة بما يساوي خمسماة سنة وبموجب هذه التدابير الجديدة سار الملوك الفاتحون للشعوب الأخرى الذين جاءوا وراءهم مثل الفرس واليونان والرومان والعرب وبقية الشعوب والأمم التي في أيامنا، وهكذا سارت الأمم الكبيرة والعظيمة في العالم.

بعد أن قويت أسس المملكة الثانية على الأسس المار ذكرها نال الآثوريون الغنى والرئاسة الكاملة في العالم القديم، ومن كل الأماكن والأقطار كانت ترد إلى نينوى كميات كبيرة من الخراج للجيوش المستعجلة من الآثوريين الذين كانوا متذمّرين في الأقطار والممالك، وكان الويل والثبور لكل شعب أو رئيس البلاد إذ كان يفكّر بنقض الطاعة للأثوريين أو كان يفكّر أن يظهر عصيانه على حكام الأزمنة القديمة فكان يفرض عليه القتل والقصوة كالموت أو الأسر (السجن) أو العبودية في البلاد البعيدة كما حدث للشعب الإسرائيلي حين نهبوه وأخذوه أسيراً إلى أرض بين النهرين، وبقية الشعب السومري

الذي أخذ بالأسر إلى فلسطين والجليل، وبسبب هذا السبي العظيم للشعوب العاصية، خلط الآثوريون الشعوب المختلفة الجنسية من آسيا الغربية ببعضهم البعض.

كان الآثوريون يستبطون أشكالاً وأنواعاً من العذابات التي كانوا يقاصرون بها العصاة والمتمرّدين، لكي يبقوا قدوة للغير وعبرة للأخرين الذين يفكرون في التمرّد ويرغبون في العصيان وقد كتب بعض المؤرّخين قائلين: إن الآثوريين كانوا يعتذرون أسراهם، ولكن لم يكونوا أكثر قسوة من الشعوب القديمة التي عاصرهم، فلم يفق الآشوريون بقساوتهم العبرانيين وما لنا من القول بأن قسوة الأمم التي ظهرت في حروب العالم القديم، ولا نقول إنّها ظهرت في العالم الجديد في سنة 1914 وسنة 1939 بعد المسيح فهذين الحرفيين العالميين ظهرت فيما قسوة الإنسان أكثر بكثير من قسوة الآثوريين.



في أزمنة المملكة الآثرية الثانية قام ملوك أبطال كثيرون منهم

آشور ناصربال^(*) الذي ثبت حكمه وسلطانه في نينوى وجبيع أراضي بين النهرين، وفتح سوريا وفينيقيا. أما مصر فكانت قد قدمت له الهدايا والعطايا فجعل حكمه في جميع بلاد آسيا الغربية وحافظ في هذه الحالة على عظمة آثاره، كما كان قد فعل الملك شلمانصر الثالث الذي كان مولعاً بالحروب الدائمة، وكذلك تغلات فلاسر الثاني الذي جلس على كرسي نينوى سنة 745 ق.م.، وفي زمنه كانت المملكة الثانية الآثرية قد وصلت إلى ذروة مجدها وعظمتها وهببها وسلمها للذين أتوا بعده كالملك شلمناصر الخامس^(**) وسرجون الثاني^(***) وسنحاريب وأسرحدون وأشوربانيبال، هؤلاء الذين اهتموا وسعوا إلى المحافظة على عظمة آثاره، وجميعهم كانوا ملوكاً فاتحين عظام، وجعلوا العالم القديم بمعظمها تحت سلطانهم، وبواسطة شجاعة وحكمة هؤلاء الفاتحين، امتدت شعوب السريانيين الموجودين في ذلك الزمن مثل البابليين والكلدانيين والكنعانيين الذين تفرّع عنهم الأمريون والفينيقيون والقبائل الآرامية في جميع بلاد آسيا الغربية حيث كبر وعظم الجنس السرياني على جميع الأجناس الأخرى كما ذكرت شميرام في كتاباتها التي استعبدت جميع البلاد الواقعة بين البحار الأربع، بحر قزوين والبحر الأسود وبحر الهند والبحر المتوسط. إن هذه البلاد كانت مقرّ اللغة السريانية، وبمعنى آخر إن

(*) (883 - 859 ق.م.) اشتهر بقوسته. اكتشفت آثار بلاطه في مدينة نمرود التي أسسها وانخذلها عاصمة له (المراجع).

(**) ملك (727 - 722 ق.م.) خلف والده تغلات فلاسر الثالث. خلفه على عرش الدولة الآشورية. حاصر السامرة ثلاثة سنوات (المراجع).

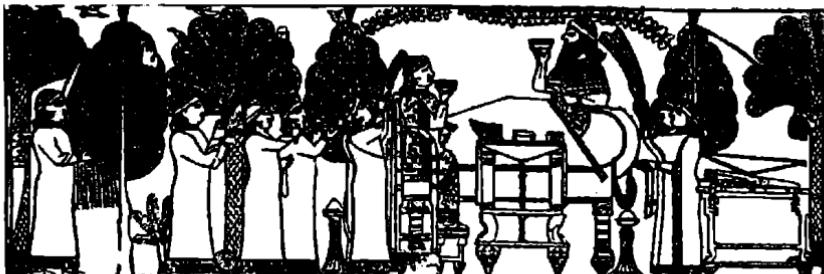
(***) (721 - 705 ق.م.) ملك آشوري أنشأ "دورشروكين" (خرساباد) وانخذلها عاصمة له وهي الرابعة لآشوريين تقع شمالي نينوى العاصمة الثانية. قهر السامرة وهجر أهلها وسماهم إلى شمال العراق وأسكنهم في عقرة ودهوك وزاخو (المراجع).

اللغة السريانية كانت قد انتشرت في هذه البلاد التي مر ذكرها بواسطة هؤلاء الفاتحين العظام للعالم القديم.



من الملوك الآثوريين الذين اشتهروا وعرفوا بشجاعتهم وحكمتهم وكتب عنهم المؤرخون الكبار من العبرانيين واليونان نذكر: تغلت فلاسر وسنحاريب وأسر حدون وآشوربانيبال، ففي أيام هؤلاء الملوك الفاتحين العظام انتشرت العلوم واللغة السريانية في كل العالم القديم وخاصة في أيام الملك آشوربانيبال إذ أوصلت عظمته ومجده المملكة الآورية الثانية إلى المدنية والثقافة المتقدمة كثيراً بعد سقوط مصر واندحار جيش العيلاميين وسقوط مملكتهم ومدينتهم (عاصمتهم) شوشن سنة 660 ق.م.، وبالرغم من كثرة الاضطرابات والفتنة التي حدثت أيام آشوربانيبال والفتوحات العظيمة التي قام بها علاوة على قمع الثورات، أظهر همة واجتهاداً كبيرين للاهتمام بنشر الثقافة والمدنية والعلوم والمعارف إذ كان ماهراً ومحباً لنشر العلم والثقافة كمحبته للفتوحات والحروب. فعلى يده تثقف الشعب

السرياني بالعلوم والمعارف، وكان كلما سمع بوجود معلمين وعلماء في أماكن أخرى جلبهم إلى نينوى ليعلّموه ويكتبو للشعب مختلف العلوم، وجمع كثيراً لا يحصى عددها وحفظها في مكتبات عظيمة



وتركتها لمن يأتي بعده كنزاً لجميع الشعب ليس فقط للحاضر وإنما للمستقبل أيضاً، وقد أخرج من تلك الكتب التي جمعها آشوريان بياض الملك مؤخراً وقد بيّنت كثيراً من أحوال الشعوب السريانية خاصة وبقية شعوب العالم، وإن أكثر تلك الكتب ما زال موجوداً في مكتبات العالم إلى اليوم شاهداً ناطقاً على عظمة حضارتهم، وما زال قسم كبير منها دون أن يترجم للاطلاع على خبايا أحوال السريان القدماء في الأزمنة الغابرة، ولكن لسوء حظ السريان أن أحرف العظمة والمعلومات التي عن المملكة الآثرية الثانية كانت تتبع بنهائية الأزمنة المشهورة الآثرية حيث إنها توصلت إلى الاندثار والانهيار.



وبسبب إهمال الملوك المتأخرین وعدم اهتمامهم بشؤون الدولة والفنون التي كان كهنة بابل يشيرونها على رؤساء الدولة وقادتها، أصبحت تلك المملكة العظيمة ميداناً للمخربين حتى أُسقطت الأمة من ذروة مجدها وعظمتها وقوتها وفقدت إدارة سلطتها العالمية إلى الأبد وانتقل مجد نينوى إلى أختها مملكة بابل.

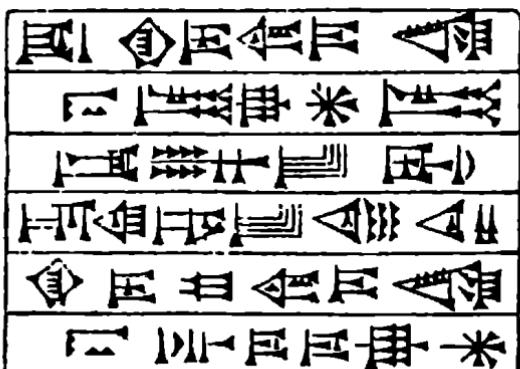
في أيام ابن الملك آشوريانبيال ملك آثور، باشر الأعداء في مهاجمة مناطق نينوى سنة 609 ق.م. وسنة 606 ق.م. أيضاً، فاستحوذوا على نينوى وخربوها حتى جعلوها كالثلال فسقطت سقطتها الأخيرة على مدى الدهور الطويلة، واختفت عن أنظار العالم الذي استبعده و كانت هذه سقطتها الأخيرة التي لم تقم بعدها ثانية.

(4) المملكة البابلية الثانية

إن الحروب الدائمة التي كانت بين آثور وبابل على السلطة العالمية أدت إلى سقوط نينوى وانتصار بابل بمساعدة الميديين سنة 625 ق.م. ثم قويت بابل وأعادت قوتها الأولى بسبب الدمار الذي حصل لأنور، وهكذا بدت المملكة الثانية والأخيرة للبابليين وجميع السريانيين ودام سلطانها وحكمها حتى سنة 533 ق.م، وهكذا مدة مئة سنة أخرى كان الحكم في العالم للأمة السريانية مرة أخرى حيث إنها بعد سقوط بابل لم تقم مملكة أخرى مشهورة بالعظمة والقوة والحكم بيد الأمة السريانية تستحق الذكر، والبابليون أخوة لأنوريين بأشكال كثيرة ويتشابهون بنواح عديدة في لون البشرة والأداب والديانة والعادات والعقائد وفي الحياة العامة ويعودون جمیعاً من جنس واحد.

لما سقطت نينوى من عظمتها ورئاستها العالمية للعالم القديم

قامت مكانها أختها بابل وكان معظم العالم لم يشعر بهذا التبادل العظيم بسبب الشبه الكبير بين بابل وأثور.



إن الملك نبونصر (*) هو الذي رأس المملكة البابلية التي عُرفت باسم المملكة الكلدانية ولما شعر هذا الملك البطل بضعف الملوك الآثوريين الآخرين وإهمالهم حدود المملكة العظيمة، لأنهماكهم باللذّات والشهوات والانشراح والملاهي وغيرها، وحتى لا تُعاقب الشعوب الغربية جميع السريانيين، التزم بتوجيه ولده نبوخذننصر إلى آثار والاستيلاء عليها. حيث ورث المملكة العظيمة وضيّطها بشجاعته لتبقى قدوة بين الأمم. ولكن نبوخذننصر لم يكتف بما ترك له والده نبونصر فالالتزام بالزحف إلى البلاد الأخرى، وفتح بلاد أخرى وحكمها. كما فكر في إصغار العبرانيين وتمكن من جعل مصر تحت طاعته بعد فتحه لبلاد السريانيين والفينيقيين، وأخذ اليهود في السبي وخرب

(*) تشير المصادر التاريخية إلى أن اسم والد الملك الأكدي نبوخذننصر هو: "نيبو ولاسر" (المنظمة العربية للترجمة).

أروشليم عاصمة مملكتهم ولهذا السبب لم يذكره اليهود إلا في السبي فقط. وخلاصة الكلام، استولى نبوخذننصر على أكثر البلاد على حدود المملكة العظيمة ولما ارتاح من كلّ الأعمال الحربية وفتحاته الكثيرة وجه أنظاره إلى بابل الكبيرة وزينها بالعمارات الفخمة وألبسها ثياب



المجد والفخر والصناعات ومهارات السريانيين وتوجهها بالعلوم المدنية العليا وقد كانت وحيدة زمنها إذ فاقت بأشكالها الكثيرة وبرونقها وجمالها وأنواعها المختلفة نشوئ مدينة الأبطال وأصبحت أُعجوبة كبرى في العالم القديم غير أنه في أيام بلطشاصر^(*) ابن نبوخذننصر أخذ الضعف يلوح في جميع أقطار بابل، وعوض أن يكون الملك حذراً وساعياً إلى المحافظة على المملكة من المشاغبين

(*) آخر ملوك بابل على ما جاء في المهد القديم. وهو حسب الكتابات المسماة بلشارصور الشهير برواية اليد التي كتبت على حائط قصره الكلمات الثلاث السريية: (منا نقل وفرسين) وقد كشف له دانيال النبي سرّها. اغتيل سنة 539 ق. م. (المراجع).

والحسودين والأعداء المبغضين مالاً إلى الملدّات والشهوات وتناول المسكرات هو ورؤسائه مملكته، وبينما هم منهمكون في هذه الحالة من عدم الاهتمام، انتهز الأعداء الفرصة وعندتها سقطت بابل أيضاً وهي كانت الحصن الثاني الذي يسقط من السريانيين، فسقط السريان من درجة الشعوب العظيمة والكبيرة في العالم القديم بعد أن استولوا على السلطة العالمية مدة ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وذلك منذ سنة 3800 إلى سنة 533 ق.م. وهكذا سقطت قوة الشعوب السامية القديمة حتى ظهر العرب الساميون أيضاً في حوالي الجيل السابع الميلادي.

من هذه الأسطر التي مرت يظهر للقراء السريانيين بطرائفهم المختلفة منذ عهد سرجون الأول ملك أكد وحتى سقوط بابل الأخير. فهذه الفترة الواقعه بين زمنين كبيرين من الأزمنة الأولى للإنسان (البربرية) وبداية الحياة المدنية الفاضلة والتاريخ العالمي والحياة الحقيقة والمدنية تعتبر مفخرة كبيرة للعالم القديم إذ تمكّن السريانيون ولمدة أربعة آلاف سنة من اختيار لغة عظيمة واسعة لهم وتوسّعت ثقافتهم وحضارتهم العظيمة طوال تلك المدة، ومهما زدنا في شرحنا عن الثقافة السريانية لن نتمكن من الإخبار عمّا وضعوه وكتبوا عنه وما ظهر من أخبار عن مدنיהם القديمة فوجدنا من الضروري أن نقسم أزمنتهم وأجيالهم الكثيرة وفترتهم الطويلة، في هذه الأسطر التالية كي يطلع القارئ على نوع ما من عظمتهم وسلطانهم وأقدمية اللغة السريانية ومبرأها حسب أزمنتهم ومقارنتها بدرجة عظمتهم، وعظمة السلطة التي لهم وقدم لغتهم خاصة في آشور وبابل وقد صارت السبب الوحيد لنشرها خارج حدودهم الطبيعية حتى أصبحت اللغة العالمية

الشاملة وقد عُرفت في كلّ العالم القديمة لأكثر من ألفي سنة إذ بواسطتها انتشرت المدنية والحضارة في العالم والآن حيث إنّ الزمن الذي مرّ هو ستة آلاف سنة على استعمال اللغة السريانية المستعملة فقد حُفظت إلى أيامنا هذه ويتكلّم بها مئات الألوف من السريانيين المتفرّقين في أقطار العالم أجمع.

لما ظهرت الأعمال السابقة القديمة للسريانيين في أيامنا هذه أي في أواخر الجيل التاسع عشر وأوّل الجيل العشرين تحقّق لدى المؤلّفين والمؤرّخين المحقّقين العالميين وخاصة في الرها أن السريانيين كانوا هم المؤسّسين الأوّلين للمدنية والحضارة العالمية القديمة ثم إنهم شرعوا في دراسة عوامل قيام حضارتهم أي حضارة بابل وأثور وما صاحبها من حركة علمية ثقافية سياسية ثم ترجم المؤرّخون الكبار والباحثون المدقّقون والعلماء المختصّون ما تركوه من الرُّقم الطينية وما فيها من الأخبار والعلوم والحياة الدينية والاجتماعية وما قام به الملوك والرؤساء من أعمال وفتوحات لمختلف الشعوب السريانية لكي تبقى معروفة لدى الدارسين والمتّبعين وحقيقة مواضع هذه الحضارة في تلك الأزمنة. وليس هذا فقط بل جعلوا أخبار الآثوريين والبابليين حدّاً للأزمنة والأوقات السابقة لهم واللاحقة بهم واستنداً إلى ذلك كافة المؤرّخين المشهورين في العالم، وبهذه الحالة تعرّفوا على أخبار العبرانيين واليونانيين بحسب معرفة كتب الأوّلين.

من هذا كله – ومما سبق أيضاً – يظهر للقارئ أن السريانيين هم الذين كونوا الحضارة الإنسانية الأولى ومنهم البابليون والآثوريون والكنعانيون والأراميون والطوائف الأخرى التي تفرّعت عنهم

مثل الأموريين والفينيقين وغيرهم، وقبل أن نتكلّم عن الكنعانيين والأراميين لا بدّ – ومن الضروري – أن نتكلّم عن مسيرة الآثوريين والبابليين الحضارية واستعمالهم السريانية في أيامهم.

الفصل الثالث

اللغة والكتابة القراءة لدى البابليين والآثوريين

أولاً: اللغة

من الفصول التي مرت عرف القارئ أنّ اللغة السامية السريانية للقدماء أي السريانين الأولين هي نفس لغة الأكديين وبسبب الفتوحات التي قام بها سرجون الأول امترج اللفظ الأكدي مع اللفظ السومري الذي كان دارجاً منذ القديم في بلاد بين النهرين منذ الأجيال الغابرة والمعجهولة وقد ولد من مزج اللفظين لفظ بابل الأول وكان ذلك حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، أي بعد فتوحات سرجون الأول بفترة ومن هذا اللفظ البابلي الأول ولد أو تفرع اللفظ الآثوري للأثوريين الذين كانوا قد خرجنوا من بابل وسكنوا في الشمال، فأخذوا معهم اللفظ البابلي الأول ومع مرور السنين وقع اللفظ الآثوري تحت وطأة الاختلافات الطبيعية وذلك لاختلاط بعض الألفاظ الغربية للمجاوريين لهم معها فتكتون اللفظ الآثوري الثاني ولما قويت شوكة الآثوريين وخلعوا نير طاعة البابليين وتحرروا منهم ومن ثم استولوا عليها وفتحوا جميع البلاد وأنقذوها من يد البابليين، اختلط اللفظان

البابلي الأول والآثوري الثاني فتكون منهما لفظ خاص عرف باسم اللغة الآثرية البابلية وهكذا يظهر في التاريخ باسم "اللغة البابلية الآثرية" أو "الآثرية البابلية" والذي في بادئ الأمر كانوا يدعونه باسم اللغة الآثرية فقط.

لم يُسمّ إلا اللفظ القديم باسم لغة آشور وبابل. كما سميت اللغة البابلية الأولى باسم اللغة الكلدانية وأكثر الكتابات أو الخطوط السريانية القديمة وال موجودة في بين النهرين كانت قد كتبت باللغة الآثرية البابلية. إنّ هذه الألغاز والألفاظ المختلفة لم تكن وليدة ساعة أو أيام، ولم تأت إلى الوجود إلا بعد تبديلات وتعديلات كبيرة مع تمادي الزمن والأجيال العديدة ومع كل هذه التبديلات فإنّ لغة السومريين القديمة لم تنقرض كلياً، ولكن كانت تُستعمل في الصيغ الدينية والخدمات ولهذا كانوا يسمونها باللغة المقدسة.

أمّا اللغة الآثرية فكان الآثوريون يكتبون لغتهم في حقل يقابل حقل الكتابة باللغة السومرية وهكذا لم تُفصل اللغة السومرية عن اللغات الأخرى والبعض كانوا يعتبرون هذه اللغة متوسطة بين اللغة السامية واللغة الحامية (سام الابن الأول لنوح، وحام ابنه الثاني) والبعض كانوا يحسبونها مركبة من اللغتين، اللغة الكوشية والجلبية، ولكن المختصين في هذا يحتاجون إلى مصادر لإثبات ادعائهم أو إثبات ما يقولون.

كما أنّها كانت اللغة الشعبية الكبرى لسكّان بين النهرين وتعرف في حضارتها القديمة فاختلط قسمٌ منها باللغة السريانية الأولى ودخلت كلمات كثيرة فيها، وعليه فقد طرأ على بعض الألفاظ تغيير

وبخاصة الأصوات (الألفاظ) التي تخرج من الحلق مثل حرف الهاء والحاء والعين... إلخ. كما أن اللغة البابلية عرفت في بعض الأزمنة بهذا الاسم الذي اشتهر آنئذ ثم عرفت باللغة الآثرية البابلية.

دامست اللغة الآثرية البابلية دارجة داخل بلاد بين النهرين حتى أوائل الجيل العاشر قبل الميلاد، وبعدئذ ترك استعمالها في الداخل كما سبق وبينما، وكذلك حدث الأمر نفسه للغة السومرية وظهرت مكانها اللغة الآرامية المعروفة منذ أجيال كثيرة لدى الآثوريين والبابليين، وعرفت أيضاً بين سكان بين النهرين قبل أزمنة تصل إلى الجيل العشرين قبل المسيح، ولم تكن معروفة لدى المملكة الآثرية الأولى ولدى المملكة الثانية البابلية أي الكلدانية إلا بعد أن انقرضت اللغة الآثرية البابلية من التداول لدى الشعب وأصبحت محفوظة في أسطر كتب الصلوات والكتب الأخرى، وقد سميت باللغة المقدسة الآثرية، كما حدث باللغة السومرية سابقاً.

الكتابة

إن الكتابة (أو الخط) الأولى التي وجدت في بلاد بين النهرين، كانت أولى صورية وقد استعملها الشعب السومري منذ ألف الرابع قبل الميلاد وتلقنها الآثوريون والبابليون الذين بعدئذ استبدلواها بالخط المعروف بالمسماري أو (السکاکیني) وبعدئذ أصبحت اللغة بالأحرف اللفظية بحسب الأصوات وعرفت بالكتابة الآثرية البابلية وهذه كانت الأخيرة وكانت هذه بين الخط الصوري أو المسماري وكتابة الحروف الهجائية التي نستعملها نحن والمعروفة ألف، بيت، كومل.

هذه الكتابة المسмарية أي كتابة الكهنة كما عرفت بذلك في زمن ما كانت خطأً مستعملاً لدى العالم القديم وكانت تصور على ألواح من اللين من الطين المحروق بالنار وانتشرت هذه الكتابة بين جميع الشعوب في آسيا الغربية مدةً طويلة بعد سقوط مملكة بابل وربما امتدت إلى بلاد آسيا الشرقية أعني اليابان والصين وهم حتى الآن يستعملونها ويكتبون بها وقد امتدت الكتابة المسмарية إلى بلاد أفريقيا حيث إن مصر كانت أول من استعملها حيث ظهرت كتابات كثيرة بهذا الشكل وكانت تتكون الكتابة المسмарية الآثرية البابلية من ما يقارب الثلاثمئة لفظة من الألفاظ الحرفية في اللغة الآثرية البابلية وإن الكتابة منذ ظهورها أي الكتابة الصورية الرمزية التي أوجدها السومريون ابتعدت تدريجياً عن الألغاز الصورية للكتابة السومرية باللفظ وأخذت لها شكلاً مسمارياً خاصاً، ولهذا دُعيت بالخط المسماري وهذا الاسم للكتابة المسмарية جاء من حيث إنها تشبه المسامير وشكلها أكبر من شكل المسamar.

سبب اشتهرها بالمسمارية هو شكلها المسماري ولأنَّ القلم كان من الحديد الذي كان الآثوريون والبابليون يخطون به كتابتهم على الأجر المصنوع من الطين، فكانوا يمرون القلم الحديدي على ألواح الأجر الطرية وبعدئذ يحرقونها، وبعد أن تجف تظهر عليها الكتابة على شكل مسامير، كما دُعيت بالكتابة السكينية وبهذا الخط نفسه كتب السريان القدماء كتاباتهم وصلواتهم وأناشيدهم وكتابات أخرى للعلوم والحضارة. سنبين هنا ترجمة للكتابة البابلية الصورية إلى الكتابة المسмарية.

١. هذا نوع من رموز الصور وترجمتها إلى المسماة.

نوع الترجمة	الكتابية الآلورية سنة 700 ق.م.	الكتابية البابلية حوالي 2500 ق.م.	الكتابية السومرية حوالي سنة 5000 ق.م.
شيشا شمس	𒂗	𒀭	◇
الله أو السماء	𒀭	★	*
الجبل	◆	◁	◁
سباح	□	□	□
الصبا	◆◆	◁◁	□□
سنابل	◆◆◆	◁◁◁	◆◆◆

النوع الثاني من الكتابة يحسب درجة في اللفظ والصمت



وصار للأثريين والبابليين من هذا النوع الثاني المدرج بالكتابة اللفظية أو المسماة حسب الألفاظ والأصوات التي بعده تدرج بواسطة الكتاعبين إلى الأحرف المجانية كما يلى

ومن هذا يتضح لنا بأن الآتوريين والبابليين لم يلفظوا الأحرف الصوتية الهجائية

٥٣ **وَمَا فِي** ، ويمكن أنها أسقطت من إدخالها في لغة الكتابة

بسبب فعل اللفظ السومري الذي لم يكن فيه ألفاظ صوتية (أحرف) التزموا بأن يتركوا ألفاظ السريانيين من لغتهم ومن كتابتهم. لكن هذا التحليل ليس كافٍ حيث إنه يحتاج إلى استنادات لإثباته مع العلم أن تلك الألفاظ لم تترك بصورة القطعية الأخيرة بل كانوا يتكلمون بها وكان للآثوريين والبابليين رموز خاصة بالعدد بسبب حاجتهم إليها بصورة خاصة ذلك أن دياناتهم متعلقة بالأيات السماوية والتجموں الفلكية ومن ذلك



كانت لهم المعرفة بعلم النجوم والفلك وعليه واستناداً إلى الحسابات الخاصة والمختلفة كان الآثوريون والبابليون يكتبون من الشمال إلى اليمين وليس من اليمين إلى الشمال كما يفعل في أيامنا أكثر الشعوب السامية وكانوا في حقبة من الزمن الماضي يكتبون عمودياً أي من فوق إلى تحت.

الآن ندرج بعض الألفاظ الرئيسية الآثرية والبابلية التي منها تترکب الجمل منها فتكون المعنى اللغوي للكلمات وهي كما يأتي:

السلطان كاتب
أو أوراق مخطوطة. أدأ أدأ أدأ أدأ

لَهُ دِرْدَنْ مُفْتَكَ اَبْنَى: نَلْقَطَ اِضَاءَاتِهِ) يَأْتِي بِهِ اَبْنَى ثَانِيَّةً
اَوْ (وَرَجْدَانَةَ الطَّوْبِلَةِ الْعَلِيَّةِ) حَدَّدَهُ (حَمَّاعَ سَعْدَ الطَّرْبِلِيِّ) لَهُ دِرْدَنْ

من هذه الألفاظ الصوتية المذكورة أعلاه يفهم القارئ من فحواها،
أنّ البابليين لم يستعملوا الألفاظ اللينة (حـو حـدا) إلّا الحرف (L)
ثاو أمّا الأحرف الأخرى هذه (حــ وـصــ) التي هي من أحرف
اللغة السريانية أهللت مع حروف أخرى مثل (ــ هــ مــ حــ مــ)
التي سبق وذكرت أعلاه.

أما الكنعانيون والأراميون فلم يهملوا استعمال الأحرف اللفظية ووجدوا لها أشكالاً رمزية في تهجيّتهم التي أخرجوها من الرموز المسماوية الآشورية والبابلية ولمّا انتشرت اللغة الآرامية وفاقت بقية اللغات التي سبقتها تجددت جميع الأحرف اللفظية، من الأحرف السريانية عامةً من تلك الأحرف التي أهملت من قبل الآشوريين والبابليين، وهنا نكتفي من الكلام أن نعرف بأنه لم تجمع هذه الحروف لدى الآشوريين والبابليين المستعملة في كتاباتهم كما يلى:

كما يُظهر نوع اللفظ من اللغة الآثرية البابلية معلومات أكثر للقارئ. تدرج هنا أشكال لوضعهم ملاحظتهم ويجب أن نبين للقارئ بأنّ السريانيين وبقية الشعوب لن يضعوا ألفاظاً صوتية في كتاباتهم

وهذه الأحرف هي الواو (و) واليوز (م) فقد أهملت لفظتهما من الاستعمال في اللغة الآثرية البابلية فيجب أن نرى كيفية استعمالهما هنا ومن ألفاظهما نعرف الترجمة لفظاً ومعنى.

أسماء وألقاب سرجون الثاني الآشوري

- ١- سرقة بعثة تأثير البريد نيزك البراءات

سرقة سلطان من البريد - ناشر الله اشرف (صشم) معه هدا وهم الدهم حلا

دروه دنا بالله دوا (شمة)

٢- نسبت ابي اليونس والبريل : سقط اب امه اسره الله صلا
بريش عليه الدار اينم (رانف) والبريل : حمدنا وحلا والدهما انصر (انه) في الدار ادخل

٣- سرقة والغور وركيبي سرقة تأثير اشور (حضره) والدهم حلا - صنوه
معدهم احمده : ملك طلاق (ملائكة اشار عالم) و/or شور : مخلصه حلا
حلا وبطلا حلا وحلا (أو حلا) واحدة

٤- صنوه حلا وحلا مخلصه ملك وجها
حلا وفتلا واحد وحلا وحلا المقاوه وحلا
ملك الرببة انتصار رحمة جميع الارض العظام

٥- واه حنه س ايده احمده والده نزوه
وحادانا وحلا احمده والده نزوه

الرابع الصالح الداره ١ شور والداره مرد وغ

٦- اهنه حه (معن) حه ملئه احمده ادا
حجه وحدنا وعدهه ولهم حبه

اختاري ذكر اسمه الذي اهداه براسته

٧- وحلا ابصهه ٢ وأللله سلك مفعوه ١
لخزنه حمست لاحظنا وحلا والهه وسلاما والدهما

اعمال الحبة البطل العظيم العجائب بعافية الداره

٨- حه ادا هنخبيها لعنون حمه ادهه

٩- وادا لله حتنا (حبل حتنا) ومحله
الذى غلب الشيا (الدعوه) وسب

١٠- حه حه ابا كعبا حنةه حه اه الله
اللهه لحتنا هنخبتنا (هه وهم
اللهه التربية المعاشر الذ

١٠- اهـ مـ حـ دـ هـ يـ اـ هـ مـ حـ دـ هـ تـ هـ لـ اـ بـ جـ هـ
مـ حـ دـ هـ لـ دـ هـ مـ حـ دـ هـ حـ دـ هـ لـ اـ لـ اـ هـ اـ هـ هـ
بـ يـ مـ دـ عـ الـ لـ لـ اـ لـ قـ عـ بـ لـ مـ بـ يـ بـ اـ بـ اـ هـ
١٤- بـ يـ سـ مـ حـ دـ هـ لـ اـ بـ جـ هـ مـ حـ دـ هـ

١٢- حَلَّصْنَا بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ
حَلَّصَ مَعَ مَجِيسِ الْمَهْمَةِ عَصْمَانَ جَدِّهِ الْمُكَافِرِ
صَلَّمَ مَعَ شَرِيكِ الرَّأْلِ شَهْرَى مَتِّ الْفَزْرِ

الدُّنْوَرِي الْبَالِغُ اِنْظَلَ

لِكَلَامِنْ هُمْ بِهِ وَهُوَ لِصَدَقَةٍ مُحْتَاجُهُمْ

۲- آنچه مر قلد آه، نیزه اه، چشمها

يُدْعى ممْ مَقْلِبَاً وَهُنَّ (وَجْهَنَّمَ) الْأَسْمَانُ حَرَقَةٌ وَحَلْقَةٌ
الْأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ - جَنَّةٌ (مَضْرِبٌ) تَغْيِيرٌ بَرَادِنَقْتَ

فَلَمَّا دَعَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا هَذَا يَوْمٌ مُّنْتَظَرٌ

میر سزاویات زائدہ و سلب کئیں

٢- مُلْكُهُمَا كَاهِنًا أَنَّهُ سَهَّا + حَفَلَهُمُ الْمَدَبُورُهُمْ حَمَالُهُمْ

تروي هذه الكتابة حادثة تمَّرُد ترهاقا ملك مصر وکوش على آسرحدون ملك آشور، إذ حيئَتْ جمع جيشاً عظيماً لكي يحارب الآشوريين فأرسل الملك آسرحدون ابنه آشوربانبيال مع جيشاً كبيراً إلى مصر، وبعد قتال شديد وعظيم انكسر ترهاقا ففتح آشوربانبيال مدينة ممفيس بعد قتال عظيم. كما أنه لحق بتأثير ترهاقا حتى وصل طيبة فسقطت بيده ووضع فيها جيشاً آثوريَاً وبعدئذ عاد إلى بلاده غانماً متصرراً.

١٥- فَلَمْ تَسْنِدْنِي رَحْمَتُكَ أَمَّا أَنْتَ أَمَّا أَنْتَ - جَسَّادُ الْأَدْعَامِ - رَهْبَةُ الرَّهْبَاتِ
١٦- فَلَمْ تَأْمُدْنِي كَثْرَةُ الْأَمَّا - مُصْعَدُ حَحَّا وَبَدْ خَلْرَ - ضَعْبَلِيَ السَّمِّ

معنى الصلاة وتفسيرها هو:

لَوْلَمْ تَسْنِدْنِي رَحْمَتَكَ أَبْرَارُ الدُّلُومِ لَمْ أَكُنْ تَسْتَوِيَنِي إِلَى هَذَا الْمَرْتَسِ . دَانَتْ أَعْطِيَتِيَ
الْمُمْلَكَةَ رَعْظَمَتْ مَجْدِي وَأَرْسَدَتْنِي إِلَى طَرْبِيَ الْجَمَعِ . ثُلِهَنِيَ أَمْنِي رَأْسِي أَمَّا مَكَّ يَا عَلَيْهِ
رَسْلَطَتِي عَلَى الْأَدْمَمِ وَالْأَسْقَبِ رَكْبَنِيَالْلَّهِ لَكِي أَوْزَعَ مَرَاحِلَتِي بَيْنَ النَّاسِ كَمَا تَرِيدُ . لَكِي
يَحْنُوَنِي رَوْسَمِي بالْتَوَاضِعِ وَالرَّهْبَةِ وَيَمْجَدُونِي لَدَسْكِي نَا سَخَنِي مَرَاحِلِي رَأْنِرَتِلِي لَكِي
أَخَافِكِتْ يَا إِلَاهِي
وَقَدْ كَتَبْتَ هَذِهِ الْكِتَابَتِ لَمَّا كَانَ أَنْتَ السَّمِّيَ سَكَلْمُونَ فِي الْأَنْفَةِ الْأَرَاسِيَةِ، إِنَّ الْأَنْفَةِ

معنى الصلاة وتفسيرها هو:

لَوْلَمْ تَسْنِدْنِي رَحْمَتَكَ أَبْيَا الرَّبُّ إِلَهِ لَمْ أَكُنْ قَدْ تَوَصَّلْتَ إِلَى
هَذَا الْعَرْشِ وَأَنْتَ أَعْطَيْتِي الْمُمْلَكَةَ وَعَظَمْتَ مَجْدِي وَأَرْسَدَتْنِي إِلَى
طَرِيقِ الْحَقِّ .

فَلَهَذَا أَخْنِي رَأْسِي أَمَّا مَكَّ يَا مِنْ خَلْقِتِي وَسَلَطَتِي عَلَى الْأَمْمَ
وَالشَّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ لَكِي أَوْزَعَ مَرَاحِلِي بَيْنَ النَّاسِ كَمَا تَرِيدُ . لَكِي
يَحْنُوَنِي رَوْسَمِي بالْتَوَاضِعِ وَالرَّهْبَةِ وَيَمْجَدُونِي لَدَسْكِي نَا سَخَنِي مَرَاحِلِكَ
وَأَنْرِ قَلْبِي لَكِي أَخَافِكِتْ يَا إِلَهِي .

كُتُبَتْ هَذِهِ الْكُتُبَاتِ بِاللُّغَةِ الْأَرَامِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ أَغْلَبُ الشَّعُوبِ يَتَكَلَّمُونَ بِهَا. أَمَّا الْلُّغَةُ الْأَثُورِيَّةُ الْبَابِلِيَّةُ فَكَانَتْ تَسْتَعْمِلُ لِكِتَابَةِ الْمُعْقَدَاتِ الْدِينِيَّةِ وَالْخَدْمَاتِ وَالصَّلَوَاتِ... إِلَخْ حَتَّى تُرُكَ اسْتَعْمَالُهَا تَدْرِيْجِيًّا، وَجَعَلَ مَكَانَهَا الْلُّغَةُ الْأَرَامِيَّةُ.

فِي الْكُتُبَاتِ الْأَثُورِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ عَدْدُ مِنَ الصُّورِ وَالْعَلَامَاتِ الصَّامِتَةِ الَّتِي تَبَيَّنَ الْمُطَلُّوبُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْأَسْمَاءِ وَالْكَلِمَاتِ بِحَسْبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحَاجَةُ مِنْ حِيثِ بِسَاطَةِ الْمَعْنَى وَالْكَلِمة. وَكَانَ هُنَاكَ أَيْضًا عَلَامَاتٌ أُخْرَى تَوْضِعُ أَمَامَ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ خَاصَّةً لِلْإِلَهَةِ وَالْمَلَوْكِ وَالرِّجَالِ وَالْمَنَاطِقِ (الْبَلَدَانِ) وَالنِّسَاءِ وَالشَّعْبِ وَالْحَيَوانَاتِ أَوْ أَعْمَالَ أُخْرَى وَفِي هَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْكَالُ الصَّامِتَةُ تَظَهُرُ بِعَلَامَاتٍ كَبِيرَةٍ كَالَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الشَّعُوبُ الْأَوْرُوپِيَّةُ فِي بَادِئِ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ الْمُطَابِقَةِ لِأَسْمَاءِ النِّاسِ وَالْأَماَكِنِ يَسْتَعْمِلُونَهَا.

إِنَّ مَا تَرَجَمَ مِنَ الْكُتُبَاتِ الْأَثُورِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ قَلِيلٌ جَدًّا مَا بَقِيَ لَنَا مِنْهَا، وَيَوْجُدُ أَلْوَاحٌ كَثِيرَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِمَةِ، وَيَوْجُدُ قَسْمٌ مِنْهَا لَا يَتَمَكَّنُ الْوَاحِدُ مِنْ قِرَاءَتِهَا وَتَرْجِمَتْهَا بِسَبِّبِ صِغْرِ أَشْكَالِهَا وَالنَّقْوَشِ الَّتِي بَيْنَ أَسْطَرِ الْكِتَابَةِ (أَيْ بَيْنَ سَطْرٍ وَآخَرَ، وَبَيْنَ كَلْمَةٍ وَآخَرَ) وَالْأَشْكَالِ وَالْعَلَامَاتِ لِصَغْرِهَا لَا تُرَى بِالْعَيْنِ إِلَّا بِمَنْظَارٍ مَكْبِرٍ.

أَمَّا الْكِتَابُ الَّتِي تُرَجِّمَتْ فَأَكْثَرُهَا الْكُتُبَاتُ الَّتِي سَطَرُهَا الْأَثُورِيُّونِ وَالْبَابِلِيُّونِ عَلَى الْأَبْنِيَّةِ وَالْقُصُورِ وَالْمَقْصُورَاتِ وَالْتَّمَاثِيلِ وَالْعَوَامِيدِ وَأَسْسَاتِ الْأَسْوَارِ وَمَدَائِلِ الْمَدَنِ، وَكَانُوا يَزِيَّنُونَ كِتَابَاتِهِمْ بِأَصْبَاغٍ مَلْوَأَةٌ عَجِيْبَةٌ وَلَهُذَا دَامَتْ إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ، خَاصَّةً الْكُتُبَاتِ الَّتِي سُطِّرَتْ عَلَى الْأَجْرِ الْمَشْوِيِّ وَالْخَزْفِ وَالْحَجَارَةِ.

إنّ ما خلّفه لنا الآثوريون والبابليون من الكتابات كثير جداً يقدر بالآلاف، أكثره وجد في مكتبة آشور بانيبال. إنّ أكثر هذه الألواح موجود الآن في مكتبات ومتاحف الدول الكبرى بأوروبا وأميركا، إلا أنّ معظمها ما زال غير مترجم وإذا ما أنجزت ترجمتها ستظهر كميات أخرى أكثر وأكثر تحت الأنفاس وهذا ما خلفته الأمة السريانية أيام الآثوريين والبابليين في شتى العلوم والثقافة وميادين الحضارة الأخرى.

كان الآثوريون يكتبون أكثر ألواحهم وكتاباتهم على الطابوق المشوي الذي كان يوضع بمهارة وإتقان وعند الانتهاء من كتابة كل قطعة يكتبون الكلمة الأخيرة منها في مقدمة أول سطر من القطعة الثانية حتى لا تفقد معناها وتسلسلها وبالتالي تُعرف الواحدة بعد الأخرى ولضبط الموضوع وكذلك بقيت العادة لدى الكتاب السريانى حتى اليوم.

كما أن كتبة الآثوريين والبابليين الماهرین لحرصهم على حفظ اللغة حتى لا تفقد أو تتغير من جراء الكلمات الغربية التي تدخل إليها من الغرباء فقد وضعوا كتاباً في الصرف والنحو والقواعد وضبطوا الحركات والأحرف والألفاظ حسبما يقتضي وكتبوا كتاباتهم في أسطر لربط المعاني بالألفاظ حرفيًا.

سندرج هنا اللفظ الآثوري البابلي لمقارنته مع اللفظ السرياني في أيامنا وسنببدأ أولاً بمقارنة أسماء أشهر السنة والتي حافظ عليها أكثر الشعوب السامية كالعرب والعبرانيين.

بابلي. الرابي	بابلي. الفوري	بابلي. الرابي	بابلي. الوردي
لَبَّصْتُهُ بَنَتْ	لَبَّصْتُهُ بَنَتْ	لَبَّصْتُهُ بَنَتْ	لَبَّصْتُهُ بَنَتْ
سَلَامُهُ حَزِيرَنْ	سَلَامُهُ حَزِيرَنْ	سَلَامُهُ حَزِيرَنْ	سَلَامُهُ سَبَارَتْ
لَعْبَاهُ اَنْدَرْ	لَعْبَاهُ اَنْدَرْ	لَعْبَاهُ اَنْدَرْ	لَعْبَاهُ اَنْدَرْ
لَعْبَاهُ شَرِيشَرْ	لَعْبَاهُ شَرِيشَرْ	لَعْبَاهُ شَرِيشَرْ	لَعْبَاهُ شَرِيشَرْ
لَعْبَاهُ كَبِيرُهُ طَبِيْرْ	لَعْبَاهُ كَبِيرُهُ طَبِيْرْ	لَعْبَاهُ كَبِيرُهُ طَبِيْرْ	لَعْبَاهُ كَبِيرُهُ طَبِيْرْ
مَحْلَلَتْهُ شَابَلَرْ	مَحْلَلَتْهُ شَابَلَرْ	مَحْلَلَتْهُ شَابَلَرْ	مَحْلَلَتْهُ شَابَلَرْ

هذا نبذة صورة ثانية من كلمات بابلية اقرية وتناسخها مع اللقى تكلمات سريانية كافية الاما.

بابلي - اندرعي - سرياني - ارابي - بابلي - اندرعي - سرياني - الراقي - مصري

حَسَّا	حَسَّا	احَا	أَحَدْ
حَسَّا (محض)		سَنَا	أَوْسَا
حَسَّا. حَنَا		سَبَالَا	أَبْشَرْ
حَلَّا		حَفَّا	حَفَّا
حَحَّا	حَحَّا	أَحَدَا	أَثَدْ
أَحَدَا	أَحَدَا	نَا	نَّاثَة
أَهَدَا	أَهَدَا	هَنَا	هَنَّاثَة
أَهَدَا	أَهَدَا	عَلِيَّا	عَلِيَّة
أَهَدَا	أَهَدَا	أَهَدَا	أَهَدَة
أَهَدَا	أَهَدَا	عَدَدَا	عَدَدَة
أَهَدَا	أَهَدَا	الَّاَلَاهَا	الَّاَلَاهَة
أَهَدَا	أَهَدَا	سَعَا	سَعَة
أَهَدَا	أَهَدَا	أَهَدَا	أَهَدَة
صَدَّهَا	صَدَّهَا	لَلَّا	لَلَّا
وَهَدَهَا	وَهَدَهَا	حَلَّا	حَلَّة
حَلَّهَا	حَلَّهَا	حَسَّا	حَسَّة
وَسَرَهَا	وَسَرَهَا	حَدَّا	حَدَّة
حَسَّا. حَنَا		مَاهَذَا	مَهَذَة
أَهَادَا		يَاجَاهَهَا	يَاجَاهَة
أَهَادَا		لَاهَهَا	لَاهَهَة
أَهَادَا		بَلَاجَ	بَلَاجَة

الثقافة

إن الآثار القديمة التي وُجدت في أرض بين النهرين منذآلاف السنين كانت تعود أولاً إلى الكلدانين وبعدهم البابليين وظهرت مكتبات مزدهرة بالكتب (الألواح) والمدارس، وأكثر هذه الكتب القديمة كانت قد وضعت من قبل الكتاب الآثوريين، وقد احتوت هذه الكتب على أخبار عن اهتمام القدماء بالعلوم والثقافة والمدنية المتنوعة من كتب تاريخ وقصص ذات مغزى عام إضافة إلى الميادين الأخرى من العلوم والأديان، ولهم يحافظوا على اللغة من طوارئ الزمان وضع القدماء كتاباً مدرسية في الصرف والتحو والقواعد ورسم الحروف التي تشبه بعضها في اللفظ والكلمات الصوتية وكيفية تصريفها، وجعلوا أيضاً كتاباً خاصة باللغة الكلدانية ولغة الآثوريين، وُجدت أيضاً كتب للقواعد وتصاوير شكلية كثيرة، وكذلك كتب للترجمة وكيفية التدريس في مدارسهم إذ كانوا يحثون الطلاب والطالبات على تعلم القراءة والقواعد ليصبحوا ماهرين في الكتابة، كما كانوا يسعون كثيراً في كتاباتهم لوضع تسميات فاخرة وألقاب حسنة ومفاهيم سرية خاصة للملوك والرؤساء وكانوا يقدّرون ويحدّدون الأزمنة والأوقات والأوضاع وخاصة في أحوال الزمن وحوادثه المهمة وبهذا تمكّنوا من كتابة تاريخ الأزمنة للعالم والحوادث التي كانت تحدث في المملكة الآثرية البابلية كما ظهر للقارئ آنفاً.

أما الحضارة الثقافية الآثرية البابلية كثيراً ما كانت صيغتها صيغة دينية وكانت مزيّنة بأشكال حسنة وأحرف هجائية، ووُجد لديها كتب

أمثال وتعليمات، وإن كان بعض من الكتاب يخلطون أخبار القصص مع أخبار وقصص أخرى لوجود أوجه تشابه بينها وتقارب في الشكل والفكرة غير أنه لم يصدر عنهم عند وضعهم للقصص أي اختلاف كبير، وكانوا في أول الأمر يكتبون قصصهم بشكل جيد حيث كانت قرية من الفهم والإدراك، وكذلك كانوا يختتمونها بخاتمة حسنة ولائقة لتساعد على فهمها.

من كتب أقاصلهم الكثيرة والمعروفة، والتي حفظت حتى الآن واكتُشفت في أيامنا وهي مما يدعو إلى إعجاب القارئ لما كان عليه القدماء القدرة على الكتابة قصة هبوط أستير (عشтар) إلهة الحب إلى الجحيم السفلي (العالم السفلي)، إن هذه القصة الأسطورة فيها خاصيات حسنة تبيّن فهم وأدراك القدماء للثقافة والحضارة والكتابة، كما تعطينا هذه القصة فهماً واضحاً لإيمان السريان الآثوريين والبابليين وفكرتهم عن القيامة والحياة العتيدة بعد الموت، وقد كتبت قصة أستير في زمن سابق للمسيح بأجيال عديدة كانت الثقاقة وكتابة الأخبار قد انتشرت فيه بشكل كبير. سنورد هنا موجزاً قصيراً لهذه القصة العجيبة ليتمكن القارئ فيها.

قصة إلهة الحب

إن أستير (عشтар) إلهة الحب الكبرى في بابل، لمّا سمعت أن زوجها وعزيزها الوحيد تموز الشاب الظريف قد قتل في الصحراء من قبل خنزير وحشي - وفي أثناء حزنهما وعزائهما على هلاك حبيبها - فكرت في عقلها وقلبها بالنزول إلى الجحيم السفلي ولتخلاصه وتنقذه

من بين الأموات ومن يد إينغاله إلهة الأرض التي تمد سيطرتها على المكان الذي من دخل إليه ليس له مخرج منه إلى الأبد، والطريق التي يسير فيها الناس فيذهبون ولا يرجعون فيجلسون في الظلام وظلال الموت، وهي المسكن الأخير حيث يلبس الموتى الظلام عوض نور الحياة وهي المقرُّ الأخير الذي يأكل الناس فيه التراب ويلحسون الرميم، حيث لا يوجد النهار وقد فرضت عليها الظلمة وهذا المكان هو دار المساواة والصمت والقنوط.

جاءت أستير إلى الجحيم من دون خوف ورعبه ولما وصلت امتنع البواب عن فتح الباب لها فغضبت عليه، فاستلزم ذلك أن يطيعها ويطلب السماح بدخولها من إينغاله إلهة الأرض الكبرى، فلما انشغل البواب بطلب السماح، أخذت هي تفكّر وتتأمل، فأخذت تحدّر الأحياء أن يكونوا دائمًا مستعدّين لحكم الموت وظلّه الذي يمرّ على كل حي، وبينما هي كذلك، كانت تهدي قائلة:

"إنَّ الإنسان هو كالحشيش عمره وأيامه تخلص كما تبiss الورود، وفي أيام حياته يكون كالشجرة ذات الثمار".

عندما أخبر البواب إلهة الأرض بمجيء أستير، صارا يتباھثان قضية دخولها إلى الجحيم، وأخيراً سمحت قائلة للحارس:

"اذهب أيها البواب وافتح لها الباب بعد أن تعريها من ثيابها كما هي الحالة في هذا المكان منذ قديم الزمان".

عندئذ عاد وفتح لها الباب قائلًا:

"ادخلني أيتها الإلهة إلى هذا البلد. ادخلني ول يكن كما تشاءين، فها أن جميع الأبواب ستفتح أمامك، أبواب المقر المظلم، لأنّ هذا المقر دائمًا يحكم فيه الصمت المفزع المحزن".

فلما دخلت أستير الباب الأول: رفع الحراس عن رأسها الناج ولم ترَض بهذا الفعل الغريب وسألته بدهشة:

"لماذا أيها الحراس تتجاسر وترفع الناج الفخم الذي يزين رأسي؟"

فأجاب قائلًا: "ادخلني أيتها الإلهة ولا تسأليني، فهذا هو الأمر القاضي الصادر من لدن الإلهة الكبرى لهذا الموقع، وهذه هي العادة السائدة في موقعنا".

لمّا دخلت بالمدخل الثاني أخذ البواب المراود (الأقراط) من أذنيها، وفي المدخل الثالث رفع القلادة الذهبية من عنقها، وفي الرابع نزع عنها ثيابها، وفي الخامس أخذ منها الحزام المتنمطة به والمزينة بالجواهر والحجارة الكريمة، وفي السادس أخذ منها الأساور التي بيديها وفي معصميها والح giole من قدميها، وبعد كلّ هذا في الباب السابع نزع عنها جميع ملابسها وثيابها.

حينئذ صرخت في الحراس ووبخته على فعله قائلة:

"أيها الحراس الواقع لماذا خلعت مني ملابسي وفضحت عورتي وسخرت بي فأجاب الحراس قائلًا: هكذا أمرت الإلهة الكبرى في مدینتنا ليحل عليك قانون بلدنا هذا".

أخيراً دخلت أستير ووقفت أمام إلهة الأرض،أخذت تسخر منها، وضررت جسمها الجميل بأنواع مختلفة من الأوجاع والأمراض القاسية، فبعد أن تعذّبت وتمرّضت وتنهدت مدة طويلة من الزمن أقتها إينغاله في وسط ظلمة السجن الأبدي بحسب إرادتها.

فحزنت الأرض كلها واستولى الظلام والآلام على كلّ حي، فابعد الثور عن البقرة والحمار عن الأننان، ولم تعد تقرب المرأة زوجها وهي بين ذراعيه إذ لبست الحزن والأسى وفقد الرجاء من عودتها، ذلك أنهم حينما سمعوا خبر نزول الإلهة أستير إلى بطن الأرض خاف جميع الآلهة من هذه الحالة السيئة التي حلّت بالخلقائق من البشر والحيوانات ولئلا يلحق الأحياء هلاكًّا أبدى، تشاوروا في ما بينهم وأرسلوا أحد الآلهة إلى إلهة الأرض الكبرى ليطلب منها أن تطلق أسيرتها إلهة الحب والجمال الإلهة أستير ولما رأت إينغاله أنها لا تستطيع عصيان أمر الآلهة، صعب عليها ذلك جداً فاضطررت أن تتحدّث هي أيضاً مع نمثار مستشارها وقالت له:

ادهب يا نمثار إلى السجن الأبدي واخفي الألواح التي ترشد إلى معرفة الأسرار التي ستحلّ أخيراً، واسق أستير أختنا من ماء الحياة وأبعدها عنّي، فعل نمثار ما أمرته به إينغاله، فعادت أستير إلى نور الحياة ولكنّها لم تقبل أن ترك المكان قبل أن تعرف أين يقعُ مكان ماء الحياة لأجل عودة حبيها تموّز الشاب الجميل الذي قتله الخنزير الوحشي أثناء قيامه بالصيد الذي بسيبه تحملت هذه العذابات جميعها فلماً عرفت مكان ماء الحياة من أبناء المكان خرجت من شقوق طبقات الجحيم،

و قبل كل شيء عند الأبواب السبعة التي دخلت منها أعاد الحارس لها جميع ما أخذه منها عند دخولها.

أخيراً ذهبت أستير إلى مكان ماء الحياة وأخذت منه ونقطتهم في فم تموز الذي كان مقتولاً ورمياً في الصحراء حتى ذلك الحين، فعاد حالاً إلى الحياة وعند قيامته رجعت الفرحة والسرور إلى كل العالم من البشر والحيوانات جمِيعاً.

هكذا انتهت هذه القصة بنوع حسن وأسلوب جيد فهي تُظهر مهارة الكتاب والقصصيين الآثوريين البابليين في مواضع حسنة تبيّن قوّة عقلهم وتفكيرهم بصياغة الترتيب في الإنشاء وتدلّ على إيمانهم بالقيامة والحياة والرجاء لقيامة الموتى، وإذا تمعن القارئ في كتاباتهم لا يملّ أبداً منها إلا أنّ فيها ما يدعو للتفكير بحضارتهم ومدنيةتهم وبلاعاتهم في القصة. بعض الكتاب والمؤرّخين يقارنون قصص الآثوريين والبابليين بقصص الفرس والعرب الموجودة حالياً في عالمنا هذا مثل قصص ألف ليلة وليلة، ولا بدّ أنّ ما وضع مؤخراً وضعوه بحسب النول الذي سبق ونسج أو حاك به الأقدمون من الآثوريين والبابليين، وقد صحّ هذا الطرح لدى متعمقى المدنية والتاريخ.

إنّ قصة (عشتار) أستير ليست الوحيدة من نوعها، فقد عُثر على قصص أخرى كثيرة وضعها كتاب سريانيين في زمنهم كقصة الجاهلية أي قصة السبعة شياطين الشريرة، وقصة خطيئة الإله زيو الذي كسر وصية الإله بيل وفتورات لوبار، وقصة آلهة المرض والموت، وقصة الحصان والثور، وقصة الثعلب والبشر والحيث وقصص كثيرة معروفة

لدى العالم. كلّ واحدة من هذه القصص الكثيرة كان لها معنى ومحضى لتكون مثالاً للقارئ والسامع. إنَّ كثيراً من قصص الآثوريين والبابليين وصلت إلينا وستبقى إلى الأبد تتناوب من جيل إلى جيل، ومن جملة قصصهم الشهيرة التي وصلت إلينا هي التي نقلها العبرانيون ووضعوها في كتبهم بعد معرفتهم لإلههم ياه أو يهوه كخبر الخلقة، والطوفان وبناء برج بابل. وتبليل الألسنة، وهذه القصص بقيت كمصدر للديانات في العالم والمعروفة كديانة اليهودية والمسيحية والمحمدية وعليها أقيمت أسس المدنية في أيامنا وكثير من التعاليم العامة والمعروفة.

كان لدى الآثوريين والبابليين حكمة مثالية، فوضعوا وكتبوا أمثلة وحكماً كثيرة، فمنها أنها ترإى لنا بأنهم يؤمنون إن الإنسان خلق من طبع ضعيف، ولهذا تصدر عنه الشرور ويسقط في الخطأ من دون معرفة أو رغم إرادته، وقليلٌ من يولد طاهراً في هذا العالم.

منذ أجيال قديمة ومجهولة كان السريانيون القدماء يقولون القصائد والأشعار والمزامير والتهاليل بما يليق بكل عمل، وكثير من أقوالهم التي ظهرت في كتبهم تبيّن تقدّمهم في الشعر والهندسة وكثيراً ما وضعوا أشعاراً في البطولة والألوهية وأظهروا بأن لهم عقلاً عظيماً وأفكاراً حسنة فاضلة كانوا يصوغونها على شكل قصائد، حتى إنهم فاقوا جميع الشعوب والأمم في زمنهم خاصة في الأغاني (المزامير) وأنشيد الرقص بالأوزان الشعرية الدقيقة، منهم تعلم العبرانيون مزاميرهم وبهم تشبهوا بالأمثال، وكان للآثوريين عشرة أنواع من الموسيقى الغنائية التي كانوا يصدحون بها لأنفسهم في أيام صلواتهم وحفلاتهم وأعيادهم العامة، وقد تركوا لنا مزامير كثيرة في مكتبة آشور

بانيال الكبرى، وإنما ذلك وتحقيقاً للقارئ نُدرج هنا واحداً من مزاميرهم:

"أيها رب الإله الذي لا يُخفى شيء عنه إنك تُنير طرقانا بنورك.
أنت وحدك هو الإله الصالح الحنون والطويل الأناء، وتمد يدك
للخطابة (وتشبع الجياع) وتقوي الضعفاء، بنورك تحيا الآلهة، وفي
ضوء وجهك تهلك الأشرار في الجحيم، وعلى كرسيك الهم كالختن
الظريف، تفرح عيون من ينظر إليك وعليه فقد رفعتنا إلى أعلى
السماء وشرفتنا عظمتك، أنت هو راية السلام التي ترف على هذا
البلد العظيم. نعم أيها رب الإله بمشاهدتك يتنعم الناس فانظر إلينا
بالرحمة وبحنان الوهبة".

مثل هذه الأشعار تركها القدماء لنا، وروح الفهم بهذه تستعمل
لدى جميع الشعوب في صلواتهم الدينية، وخاصة الشعوب التي
تؤمن بالإله الواحد العالى كاليهود والمسيحيين وال المسلمين، حيث إن
 أصحاب هذه الأديان توارثوا كثيراً من صلوات الأنوريين والبابليين.
هؤلاء الذين توسعوا كثيراً جداً في الأمور الدينية ويتعلمون هذين
يظهر لنا حُسن أفكارهم وسموّ عقولهم وحياتهم الدينية وتعظيمهم
لآلهتهم وتكريمهم ما عرفنا على سيرتهم الحسنة العالية كتعظيم
الملوك والرؤساء وكبار الشعب وتشريفهم بكلمات لائقة ولطيفة
تفوق عقول الناس، وفي إحدى كتاباتهم على الآجر وجد الآتي:

"يا لها من أيام سعيدة وسنين خصيبة وحياة طويلة وعزيزة وأجيال
كريمة توافق مع سيدنا الملك الشريف الذي كرم حسب الواجب
جميع الآلهة وشرفهم ليوسعوا حدود مملكته الكبرى، لكي يتشرف

ويقوّي سلطة الحكم، بواسطة قوّة حكمته. أهلك ملوكاً لا يحصى عددهم ومدّ حكمه على جميع أقطار الأرض، حتى كُتب له نعيم في حياته الأخيرة وفي أعياده على رؤوس الجبال وكذلك فوق السماء، فليحيا أياماً طويلة بقوّة وعظمة أمام عرش إلهنا آشور...".

إن اهتمام السريان بالحضارة هذه كان عظيماً ويغلب غنى جميع الشعوب والأمم بعظمتهم الزمنية والحكمة الواسعة وحكمهم على العالم القديم لأجيال عديدة كان سبيلاً لتفوق المدنية السريانية هذه، واستحقّ السريان أن يمدّوا أضواء وأنوار ثقافتهم الحسنة الدارجة في العالم مع توالي الأجيال حتى وصلت باستعمالها إلى أيامنا هذه في الأزمنة الأخيرة وقد استحقّ الآثوريون والبابليون هذه الأحوال ليكونوا المعلّمين الأقدم للبشرية.

كما أن هذه المعارف وجدت لها لغة عظيمة واسعة لتحوي جميع معارفهم وحكمهم وثقافتهم حتى جمعت لهم ثقافة عظيمة واسعة، ولا يسعنا أن ندّون مجد هذه الثقافة كلها التي توصل إليها السريان منذ أجيال قديمة، وعلى هذه الثقافة التي تكونت لبقية الشعوب الأخرى السريانية كالآراميين، والكنعانيين والفينيقيين وإلى حين اعتناق السريان المسيحية وحتى إلى الأجيال الوسطى.

من هذا الفصل يظهر سموّ صورة أزمنة البابليين الأولى التي وجدت أولاً في بين النهرين وجاءت هذه من الأكديين في زمن سرجون الأول التي وهم أول قبيلة للشعوب التي تكونت منها الأمة السريانية إذ منها وإليها تعود الشعوب السريانية في كلّ أطوارهم، مع العلم أنّ الآثوريين قد خرجوا من بابل في أزمنة مجهولة قبل التاريخ وجاوا إلى الجهة الشمالية من بين النهرين وقام لهم ملوك غير

معروفين حتى قامت لهم مملكة قوية عظيمة والتي بواسطتها امتدت سلطة السريان إلى جميع العالم المعروف آنذاك أجيالاً طويلاً، وهكذا قد امتدت ثقافتهم ومدنیتهم في كل مكان وصل إليه حكمهم، وقد سُميت جميع الشعوب باسم الأثوريين الذين كانوا أقرباء لهم بالجنس والعلوم والدين والمدنية وهو لاء هم البابليون والكنعانيون والفينيقيون والأراميون وعرفوا باسم السريان أو سوريا وهذه اللفظة اشتُقت هذه من اسم الأثوريين أولاد آشور بن سام بن نوح.

إن اللغة البابلية الآثرية هي لغة السريان القديمة ولا بد أنها من أصل سامي، (الساميين الأوائل) وكذلك من تداول اللغة الأولى للسريان، لكن لم يثبت ذلك بمصدر عام قبل الألف الرابع قبل الميلاد، وذلك بعد فتوحات سرجون الأول وامتزج بهذه اللغة، لغة السومريين التي جاءت بعض الألفاظ المختلفة وبعد هذا الاختلاف عرفت باللغة البابلية الأولى، ثم باسم اللغة الآثرية أو الآثرية البابلية.

كما أن الأثوريين البابليين استعملوا الكتابة الشكلية بالرموز التي تدريجياً بذلوها بالكتابة الصورية ذات الأصوات اللفظية، ومن الكتابة المسмарية هذه تمكّن الكنعانيون أن يجدوا الكتابة بالحروف الهجائية التي هي الألباء (أ.ب....) وهذه توسيع كثيراً وامتدت بين الشعوب السريانية حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت قبل هذا التاريخ معلومة ودارجة لدى الكنعانيين ولسبب استعمالها لدى السريان بأشكال كتابية وامتداد حكمهم في العالم القديم دامت هذه اللغة هذه الأجيال الأخيرة وإلى وقتنا الحاضر هذا.

الفصل الرابع

العلوم والمعارف عند الآثوريين والبابليين

ما ظهر في الصفحات السابقة عرف القارئ اللبيب كيف كانت أرض بين النهرين في زمن الآثوريين والبابليين مركزاً للثقافة العالية للعالم القديم، فعليه امتدت الثقافة والمدنية السريانية إلى كلّ البلاد وجميع الشعوب المُحاذية، من الهند حتى أفريقيا والرها (أورفا) وعلى أساس هذه المدنية أقيمت أكثر المدنيات المُتعاقبة وبقية الشعوب السريانية التي جاءت بعدهم كالكنعانيين والأراميين وفروعهم السائرين في سُبل المدنية الآثرية، فاتبعوهم وساروا في إثرهم وبهذا ورثوا المدنية وداموا (استمرّوا) في اتباعهم لهم حتى الأجيال التي تبعتها، حيث إن عقولهم رسخت فيها تلك الثقافة والمدنية التي أخرجت العالم تدريجياً من الظلمة والجهل إلى نور العلم والمعرفة حتى أيامنا هذه، ولهذا فإنّ اسم الآثوريين والبابليين محترم لما خلّفوه من الخدمات العلمية التي لا تُوصف لحضارة العالم.

قسم من هذه الأمة اهتمَ أكثر من غيره بخدمة العلم والمعرفة وهو طبقة الكهنة ورؤسائهم من البابليين، هؤلاء عُرِفوا باسم الكلدانين، وأجل تقدّمهم وسعيهم الكبير إلى الثقافة عمل الكهنة الكلدانين

بالعلوم والمعارف، وقد اشتهر اسمهم في جميع أقطار العالم القديم، وهم كانوا المرشدين والمعلمين الأولين في العالم وحكماء الشعب الذي عاش تحت طاعتهم الروحية العظيمة إضافة إلى الطاعة الزمنية لفترة طويلة وتمكنوا من البقاء في رئاسة المملكة ولهذا السبب سُميت الملوكية باسم الكلدانيين، وعلى معرفة الكلدانيين يُعتقد أن الديانات الرئيسية في العالم قد قامت كديانة اليهودية والمسيحية والمحمدية وعلى تلك التعاليم القديمة استقوا شيئاً من تعاليهم وبذلك انتشرت الحضارة وقال بعض من المؤلفين والمعلمين الكبار من اليونانيين أن الكلدانيين كانوا يعرفون جميع العلوم في أرض بين النهرين، ومنهم أخذت الشعوب الأخرى كالمصريين واليونان علومهم وحكمتهم ومن خلالهم أسسوا مدنهم وفي النور الذي نبع على الفرات من المدارس اقتبسَ الشعوب القديمة.

لقد ظهرت العلوم بين السريان منذ أجيال غير معلومة، وأشارت أوّلاً أنوار العلوم والمدنية في الجهة الجنوبية من بين النهرين خاصة في أور الكلدانيين وفي أكاد ومدن أخرى في الجنوب من بين النهرين، ومن تلك المدن تسرّبت العلوم والمعرفة إلى بابل وأثور وإرام وفينيقيا وكنعان وبقية البلاد السريانية التي كانت حدودها في وسط فارس إلى أواسط آسيا الصغرى، ومن حدود أورطا حتى بلاد مصر.

في زمن مملوكيَّة المملكة الآثرية الثانية، كان سراج العلم في تلك الأزمنة مضاءً ويخرج من أور الكلدانيين. إن الملوك العظام من الآثوريين كانوا يرسلون أولاد قبليتهم إلى أور الكلدانيين ليقتبسوا المعرفة والعلوم ليكملاً معارفهم وعلومهم. من أور الكلدانيين والمدن الأخرى التي في جنوب بين النهرين انتشر نور العلم إلى

أكثر مدن بين النهرين كبابل وأربيل (أرباعايل) وآثور وكالح ونينوى ونصيبين والرها وأمد، هذه المدن جمعتها نورت العالم القديم كلها.

إن المؤرخين القدماء من اليونان مثل ديدورس^(*) وهيرودوتس^(**) وسترابيون^(***) وأرسطو^(****) وغيرهم اعترفوا صراحةً أنه لم يعل عقل إنساني وناضج منذ القديم إلا على شواطئ الفرات قبل أن يعرف على ضفاف النيل أو في أماكن أخرى.

إن علوم السريان القدماء وهم البابليون والآثوريون والكتعانيون والآراميون كانت مبنية على أسس الدين، ولهذا من أراد أن يطلع على أسرار الأزمنة الشرقية يجب أن يطالع تبدلات القضايا الدينية في جميع أدوار حكم الشعوب السريانية وعلى الأخص البابليين حيث إن تلك المطالعة وقراءة الكتابات والمؤلفات الآثرية أظهرت لنا بأنّ السكان على شواطئ نهر الفرات كانوا شعباً عظيماً و Maherًا وهم الشعب السرياني الذي كان دائماً يتшوق إلى العلم ويجهد في تحصيل المعرفة ومتابعة أسباب الخلافات الطبيعية التي كانت تصادفهم في حياتهم حتى تمكّن هذا الشعب العظيم من وضع أساساً ثانية لجميع

(*) ولد (110 ق.م.). فيلسوف من صور. ترجم المدرسة المشائية في أثينا. تحدث عنه شيشرون. حاول التوفيق بين الفلسفتين الرواقية والأبيقورية (المراجع).

(**) (نحو 484 – 420 ق.م.). مؤرخ ورخالة يوناني لقب بـ "أبي التاريخ". زار العالم المعروف آنذاك ولا سيّاً العراق وفينيقاً ومصر، وله كتاب التاريخ وهو من أهم المراجع لمعرفة أخبار الأمم القديمة وأساطيرها (المراجع).

(***) (58 ق.م. – 25 م.) جغرافي يوناني من قبادوقيا، له كتاب الجغرافيا فيه معلومات عن بلاد العرب لم يسبقه إليها غيره من المؤلفين (المراجع).

(****) (384 – 322 ق.م.). مربٍ الإسكندر وفيلسوف يوناني من كبار مفكّري البشرية، تأثرت بوادر التفكير العربي بتأليفه التي نقلها إلى العربية السريان وأهمهم إسحق بن حنين، مؤسس مذهب فلسفة المشائين أهمها المقولات والجدل والخطابة وكتاب ما بعد السياسة (المراجع).

العلوم والمعارف لعالم اليوم، وكانوا مرشدین حقيقیین له في جميع
السبل والرتب والقوانين والثقافة والمدنیة الحسنة.

كما اعترف المؤرخون السريانیون صراحةً في تلك الأزمنة وأصبحوا فاتحین لطرق علوم للعالم، إذ ساروا فيها بسهولة لأنَّ الفصل الزائد هو الذي فتح الطريق ورصف السبل على الذي سار في الطريق، ومع كلِّ الأعمال الحميدة للأجيال الحديثة والتقدم في العالم هذا لم يكن ليتمكن من فتح طريق الحياة هذا ويكون قدوة للإنسانية، وبالرغم من دورهم في الحياة المدنیة والثقافة في العالم لم يكن اجتهداد وثقافة السريان منقطعاً أو عاجزاً. إذ إنَّهم بمهارة واجتهاد وتحمل مسؤولية عظيمة تمكّنوا أن يخفوا للعالم ثروة وغنى بالعلوم والحكمة والمعرفة والثقافة، ولم يكتفوا بمعلوماتهم هذه ومنحها لأقربائهم، جعلوا أنظارهم بعيدة نحو السماء، فسعوا إلى معرفة حركات وطیاع وأجسام الكواكب السيارة والنجوم لكي يبردوا عطشهم لمعرفتها ومعرفة كلِّ ما يسير حول العالم الذي نعيش فيه وأسرار الحياة وكيف وجدوا في هذه الخليفة، وقد زینوا أفكارهم ومتابعهم بأساليب حسنة ورجاء بحياة آتية، وعلموا كيف يكسرنون الكبراء وقوَّة الأحياء القاسية التي هي طبيعية للإنسانية.

تمكّنت الشعوب السريانية من نشر أشكال وأنواع علومهم بواسطة فتوحاتهم وقتلهم الدائم وبواسطة تجارتهم التي امتدت فروعها من أقطار أفريقيا الغربية إلى بلاد الهند ومن الحدود الشمالية لأوروبا إلى البلاد الشرقية لأفريقيا، وأينما حلَّت الحضارة السريانية حلَّت لغتهم، ودامَت متداولة الاستعمال في ميدان الثقافة منذ 4500 سنة وذلك منذ

زمن سرجون الأول سنة 3000 ق.م. إلى سنة 622 بعد الميلاد وكفى أن يقال إنّه في جميع البلاد المنتشرة فيها المدينة العربية والتي يتكلّم بها باللسان العربي فإنّ اللغة السريانية كانت موجودة، وعلى أساسها وضع أساس اللغة العربية^(*).

بسبب هذه الخيرات الجزيلة، فإنّ ملوك السريان وأكثرهم من بابل والأنورين لم يكونوا أبطالاً ومحاربين فاتحين للبلاد بواسطة السيف فقط، ولكن كذلك كانوا فاتحين مهرة في نشر العلوم والمعارف ومدربين للمدارس العظيمة في العالم عامّة وفي بين النهرين خاصة، ومن أجل هذا كان يقام بجانب قصر الملك برج وكانت قصور الملوك ملاصقة للمقصورات ومنازل المسافرين و مواقع الخزائن المحتوية على كتابات مختلفة ومتعددة من العلوم، وكان يعلم ملك آثر مسأء وصباحاً عن أحوال الفلك والنجوم وسيرة الكواكب وحالات الجو وكل ما يحدث في السماء كتوسط الأرض بين الشمس والقمر وكان يعلم بكسوف الشمس عندما يتوسط القمر بينها وبين الأرض.

بواسطة تعمّقهم في المعارف الكثيرة فقد توصلوا إلى معرفة علم الفلك، وحدّد السريان أماكن النجوم والكواكب وأسماءها الكثيرة وعرفوا الكواكب السيارة وخواصها وفصلوها عن بعضها بواسطة رؤية العين المجردة وكانوا يجعلون لهم أسماء مثل رايبا وبيل ونركال واستر وسين (القمر) والأرض وفرقوا عدداً كثيراً للكواكب المحيطة السيارة.

(*) هذه مغالطة تاريخية لأنّ العربية مشتقة من اللغة الكاذماتية فقد كانت كنانة القبيلة العربية تحدث بها 5000 ق.م. وحينها لم يكن للسريانية وجود (المنظمة العربية للترجمة).

حدّد السريان البابليون الأوقات والأزمنة وقسموا الليل والنهار، ووضعوا الأسماء لأيام الأسبوع وجعلوا السبت يوم الراحة من العمل والتعب. ثُمَّ جعلوا الأسبوع سبعة أيام وهي المعروفة حتى اليوم، وجعلوا كلّ أربعة أسابيع شهراً وكلّ اثني عشر شهرًا سنة، وبينوا أن كلّ سنة تقدر بـ ثلاثة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، ووضعوا لهم تعليمات سنوية وحدّدوا أياماً للأعياد الدينية والأعياد العلمانية أي الملوكية، وكانوا يتبنّاؤن باختلافات الطبيعة من حيث الأزمنة والأنواع والخيرات والمعلومات عن السنين الخصبة وسنين القحط والجوع.

ووجدو لهم أيضاً معلومات عن الأسرار الخفية التي يسمّونها الطلاسم والسحر والسيمياء والقوة الخفية لمعرفة حالة الإنسان مطالعةً وبقيت تعاليمُ أخرى مخفية لم تظهر حتى الآن.

وقد اقتبس اليونان العلم من السريان الذين أدركوا قيمة العلوم، ومن اليونان أخذ العلم الرومان وبعدهم العرب ومن ثم بعض الشعوب الأوروبيّة وحتى الآن هم محافظون باجتهاد على إظهار العلوم والمعارف السريانية واختصاراً للكلمة سنورد ما قاله ديدورس على السريان:

إنَّ الكلدانين كانوا أول من سكَنَ بلاد بابل، وكانوا ينظمون سُؤُونَهم تحت قوانين كهنوتية لإرشاد الشعب إلى السجود للإلهة ويقضون أيامهم جمعيها متممّتين بأنواع الحكمَة، وكانوا يمنعون أبناء جنسهم من ارتكاب الشرور ويجلبونهم إلى أعمالِ الخير والصلاح بأسبابٍ متنوعة وكانوا محافظين على الصحة ونظافة الجسم والنفس بواسطة القرابين والصدقات وعقاقير وأدوية شافية، وكانوا يفسّرون الأحلام وأسرار الغيب التي تجري في المستقبل وكان جميع الشعب

يصدق أقوالهم وحقيقة تفاسيرهم ومعلوماتهم كانت وراثية من الآباء إلى الأبناء، ولهذا السبب كان الجميع محتاج إلى معارفهم (...) وكان الكلدانيون يؤمنون بأبدية وأزلية العالم والرتب والحياة في هذا العالم المنطقي وأنه واحد من حيث الأسرار الألهية وأن كلّ ما نراه حولنا ليس عرضياً بل مخلوق بإرادة إلهية ومن هذا الطريق جاء إلى الوجود".

قال هيرودوتس المؤرخ اليوناني الكبير: "إن الكلدان هم أول من قسم السنة إلى اثني عشر شهراً واليوم إلى أربع وعشرين ساعة ليلاً ونهاراً وكذلك وجدوا لهم آلات ليقربوا بعده أجسام الفضاء لرؤيه العين البسيطة التي لا تقوى على النظر ولا تتمكن من رؤيتها".

بسبب هذه العلوم الفلكية كانوا بحاجة إلى معرفة الأعداد والحساب فالذمروا درس تلك العلوم بمهارة للتوصل إلى المعرفة والحداقة فتوصلوا بذلك إلى معرفة تلك العلوم في أيامهم وقد وجد حجر في مكتبة لندن يخبر بأن الكلدان كانوا يعرفون ذلك، ووجدت كتابات عليه تبيّن الأعداد من واحد حتى ستين، ومكتوبٌ عليه أيضاً مقاييس الطول كاملة وبصورة واسعة، وقد أثبتت معرفة العدد لدى الكلدانيين على ثلاثة أنواع، هي العدد عشرة واثنا عشر وستون (10، 12، 60) وحتى الآن يستعمل عالمنا المتحضر هذه الوحدات الحسابية كما أنه يستعمل أسماء الموازين (المثاقيل) البابلية، وكان الوزن البابلي يزن مقدار خمسة غرام.

كما أنّ السريان الآثوريين زادوا على علوم ومعارف البابليين وحدّدوا أنواع المعلومات الجغرافية والأجسام المنطقية وربّوا أنواع الحيوانات واعتنوا بمعرفة نوع الأرض أي علم الجغرافيا وكانوا

يصورون الأرض بشكل القرص ووضعوا علامات تدلّ على الأقاليم والبلاد مع ذكر حيواناتها ومحاصيلها وأسم كلّ نوع.

تبين لنا الآثار القديمة من أجيال كثيرة أنّ لدى السريان في آثر وبابل معرفةً بالصناعة والصباغة وكانوا الأمة الأولى التي استعملت أدوات السلاح من الحديد ولهذا تمكّنوا من الاستيلاء على كلّ العالم المعروف في زمانهم، فإنّ صناعة السيوف الآثرية والبابلية والرامح كانت من الفولاذ وكان بإمكانهم إلقاء الرعب في قلوب الخوارج والعصاة.

تمكّنوا أيضاً من استخدام الجغرافيا في خدمة مدنّيتهم ولمصلحتهم ومنفعتهم، وصنعوا السلالس والسكاكين والحربات وأنواع الأدوية والمهماز (شلفات) وألات الحراثة للفلاحـة والحديد لشدّ الأبنية والجسور والسفـن وكانوا يربطون الحجارة الكبيرة للبناء بعد أن يربطوا الحجر بالحجر.

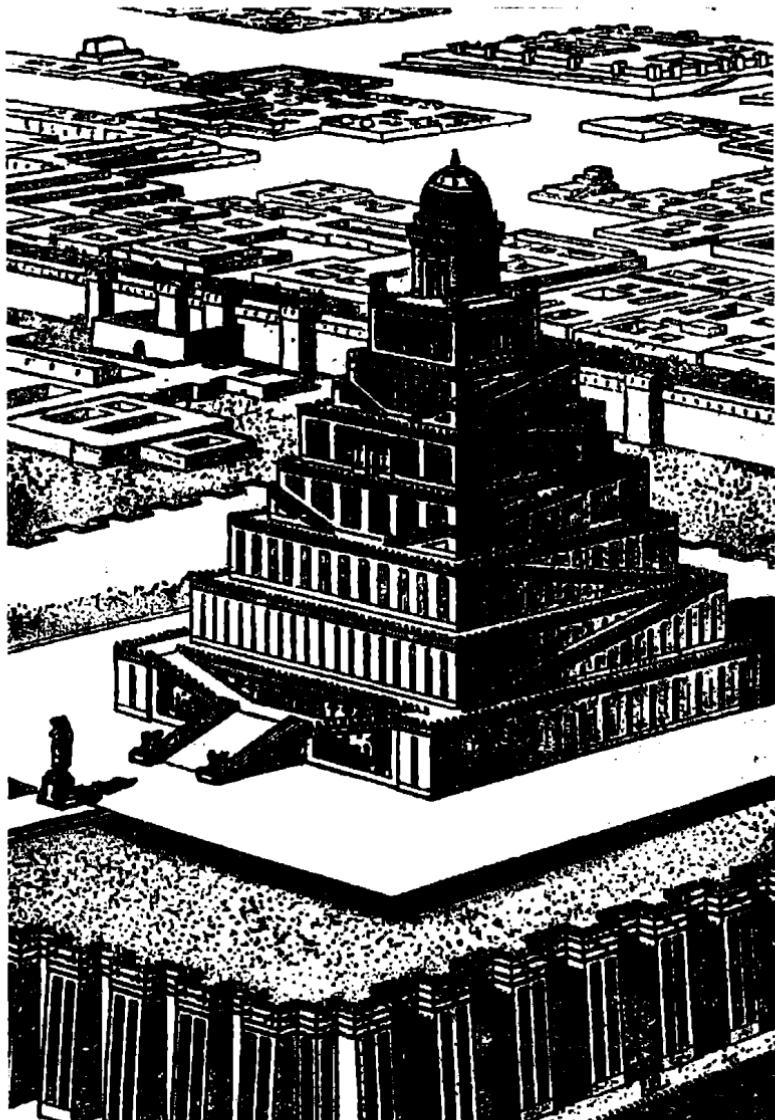


كانوا أيضاً ماهرين ومتقدّمين بفنّ الصياغة وصنع الحلبي الذهبي والفضة وكانوا يطلون حيطان الهياكل والقصور الملكية بالذهب والفضة الصافية، ومن الذهب والفضة صنعوا تماثيل وأصناماً للآلهة والملوك.

لكثرة اختلاطاتهم وتنوع معلوماتهم أخرج الآثوريون والبابليون مسائل متعددة وأنواعاً من الأواني كالكؤوس والصوانى والتواقيس وأبواب المدافن وأوجدوا آلات متقدة وقوية، وتعلموا صنع الأواني الفخارية والنحت بدرجة عالية وكاملة ودقيقة، وكانوا ماهرين أيضاً في رسم التصاوير الكبيرة والصغرى على الحجارة وفي الكهوف وعلى الأحجار العظيمة وعلى الزجاج والحجارة الكريمة والأختام والصلجانات التي يحملها كبار رجال بابل وأثاره كما كانت العادة في تلك الأزمنة. حيث إنه لم يكن يُسمح لأحد أن يحمل عصا من دون أن يكون عليها رسم صنم أو صورة ما في رأس العصا.

أوجَد السريان أشكالاً كثيرة وعرفوا بالملوك من خلال تماثيل مما هو معروف حتى اليوم، وكانوا يزيّنون ويزخرفون ما يصنعونه من أبنية وألبسة الزينة الفاخرة، وقد أخرجوا اللون الأحمر من تحميص النحاس والأصفر من تحميص الحديد والأبيض من شجرة المحلب، وفي هذه الفترة كانوا يخلطونها مع الزجاج لدهن الأواني الفخارية فيصير منظره جميلاً.





كما عرف السريان أنواعاً أخرى من المهن والصناعات الكثيرة المختصة بالحرب إضافةً إلى التجارة ودبغ الجلد وبناء الدور والسفن وفاقوا جميع الشعوب المجاورة لهم في صناعة الطنافس وحياكة الثياب

الجيدة من الصوف والقطن وكانوا يبيعونها بأثمان باهضة في الأسواق العالمية. كما اشتهروا بمهارتهم في مهنة البناء والأعمال الشامخة لا يستطيع أحد أن يصنعها حيث خربوا المدن وعمّروها وزينوها بالنقوش الخارجية والداخلية وهي ماثلة إلى الآن للعيان كما أنها معروفة لدى السريانيين إلى اليوم ولأجل ذلك قال عنهم المؤرّخون والكتبة في أيامنا هذه: إن الآثوريين والبابليين في حياتهم المهنية يشبهون الناس المعاصرين وهم الذين منذ القديم قالوا: هلموا أن نبني لنا مدينة فبنوا مدنًا كبيرة وعجيبة وفصلوها بواسطة طرق طويلة وعريبة وأقاموا فيها هيكل فخمة وقصوراً ملكيّة عظيمة ومدارس وأماكن العلم ودواوين الكتابة للذين يحبّون العلم والمعرفة حتى أضحووا من بُناة الحضارة الأولى ومؤسسِي العمران في العالم.

إن جميع هذه الأعمال والعلوم والمعارف الكثيرة وال المختلفة والتقدّم والتوسّع في الحكم والصناعات والمهن الشريفة وجدها ودونها وأخرجها السريان ووضعوها في كتبهم لأجل سعادة الإنسانية، ولما وجدوا أن جسم الإنسان معرض من مدة إلى مدة للأوجاع الكثيرة التي تجلب



المرض والتعاسة اكتشفوا لها أدوية وعقاقير تقي من الأوجاع الجسدية والعذاب، وهكذا وضعوا لها كتاباً خاصة بكيفية تركيب الأدوية

والعقاقير وجعلوا لكلّ مرض دواء مناسب خاص ليفشفى به.

إنّ تقدّمهم بمهنة الطب. فكان للكلدانين والبابليين أطّباء قدieron عرّفوا في كتب التاريخ الإنساني وعنهم أخذت بقية الشعوب، فكما كانوا في العلوم كلّها كانوا في الطب وخاصة عند الكهنة ورؤسائهم من آثار وبايل، وكان لهم قوانين خاصة وقاسية على الذين يدعون الطبّ ولا يتقنونه وكان يموت المريض بيدهم لأنّ الموت كان نعمة على الطبيب الذي يموت بين يديه المريض لقلة المعرفة، ولهذا كانت مزاولة مهنة الطبّ لدى الحكماء والأطّباء في آثار وبايل صعبة ولهذا كانوا يهتمون بمهنتهم ويتقنونها لثلا يقع عليهم القصاص والموت، وهكذا كانوا يخدمون شعوبهم بأمانة خاصة لمحبتهم ولا يسمح للطبيب أن يعالج مريضاً إلا بعد مدة طويلة من سنين الدرس والممارسة الدائمة ومطالعة الكتب الخاصة بالطبّ، وعلى أساس الأطّباء السريانيين تحقّقت لدى بقية الشعوب أمانة ودرس طبّهم.

كلّ هذه العلوم والمعارف التي توصل إليها السريانيون جمعوها ووضعوها في كتبهم لأجل خدمة الإنسانية ومساعدة الجسم الإنساني الذي هو محاطاً دائمًا بأوجاع ومضains وأمراض قاسية يتعدّب فيها الأحياء من البشر ولم يكن لهم أن يتمكّنا من هذه العلوم العظيمة من دون اختلاط ديني، ولهذا فإنّ جميع العلوم والمعارف السريانية في آثار وبايل وليدة الإيمان والديانة التي هي أساس لجميع الأديان السماوية وملأ قلوب الإنسان بأعمال حسنة كالمحبة والرجاء من دياناتهم الشبيهة بالديانة المسيحية التي أصبحت خميراً جيداً لحضارة العالم في هذه الأزمنة.

إنّ اشتهر ونبوغ السريان بالعلوم والمعارف أدى لإنتشار لغتهم

إلى سائر البلدان وخاصة الاصطلاحات والأسماء الخاصة بالمهن الطبية والصيدلية فقد كانت بلادهم منارة عالية لتنوير العلوم وإشاعة الضياء في العالم القديم. كما تمكّنوا من أن يحفظوا رئاستهم وتزعمهم للحكم وتدبيرهم العالمي مدة أربعة آلاف سنة أو أكثر، وهكذا تمكّنوا من التسلّط على العقل الإنساني بواسطة دراساتهم التي بقيت معيناً شربت منه جميع شعوب الأرض وتداولوا مدنّيتهم وثقافتهم مع تمادي الأجيال الكثيرة مقدار 5000 سنة وحتى الآن تداول الشعوب مكاسب ثقافتهم وعلى هذا الصّرح قال النبي العبراني إنّ بابل هي مثل كأس بيد الإله يروي منها جميع الأرض خمراً.

الفصل الخامس

الكنعانيون والفينيقيون

إن الكنعانيين جزء من الأمة السريانية أي الثالث لأن الثلثين هما من الآشوريين والبابليين أي الكلدانيين والآثوريين.

قد قيل بأن الكنعانيين خرجن من جنوب بين النهرين ورحلوا إلى الجهة الجنوبية حوالي ضفاف الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى البحر الأحمر، في الحدود الغربية لشبه الجزيرة العربية ودخلوا في جزيرة سيناء وانقسموا إلى قسمين كبيرين. الواحد اتجه نحو الشرق ودعوا عموريين (وعرفوا أيضاً باسم الآموريين) والقسم الثاني اتجه نحو الشمال وسموا الفينيقيين. العموريون الذين نزلوا الحدود الجنوبية الفلسطينية وعبروا نهر الأردن، انتشروا حتى حدود بابل حيث أقاموا لهم مملكة عظيمة والفينيقيون امتدوا إلى الجهة الغربية لفلسطين ولبنان وسوريا حتى وصلوا بلاد قيليقيا وجميع السواحل الشرقية للبحر المتوسط ثم امتدوا إلى شمال أفريقيا.

فما هي أسباب هذه الانقسامات الكبيرة التي حلّت بهذا الشعب التي لا يعلم بها أحدٌ حتى الآن ولا نعلم متى باشروا خروجهم من بين النهرين ولكن من المعروف أنهم عادوا من جديد ودخلوا بابل حوالي أوائل الألف الثالث أي سنة 2800 ق.م. وكما هو معروف لدينا فإن

بلاد بين النهرين هي مصدر الشعوب السريانية التي كانوا يخرجون منها ويعودون إليها ومنهم من ذهب شرقاً حتى وصلوا بلاد الهند، ومنهم قصد الجهة الغربية نحو بلاد سوريا وأسيا الصغرى وأخرون كانوا يتنقلون في بلاد العرب وغربي أفريقيا إذ كانوا يعيشون الحياة البدوية ويربّون مواشיהם وحيواناتهم، والأكثريّة منهم كانوا انتقلوا من مكان إلى مكان تاركين قبائلهم لهذا السبب نفسه ولكثرتهم تقلّهم أصبحت الطريق قوية وعامة وذلك لكثره الذهب والإياب وأكثر تنقلاتهم كانت بين بلاد سوريا وبين النهرين وبواسطة هذه التنقلات الكثيرة والدائمة فقد خافوا من دخول ألفاظ مختلفة في لغتهم مما يؤدّي إلى اندثارها بعد أجيال كثيرة فكانوا دائمًا يجددون قراءاتهم بأصلها السامي كما أن الجنس السرياني كان يتجدد بالقوة والشجاعة التي عرف بها بين من الشعوب القوية والذين خرّجوا من التقارب إليهم إذ اقتناوا دمًا جديداً قوياً وبطلاً وليس هذا فقط ولكن هؤلاء السريان دائمًا كانوا يجددون ويستخدمون لهم ديانة وعادات أخرى وأيضاً ألفاظاً حديثة.

إلا أن الهجرة الكبيرة والثانية المذكورة في التاريخ القديم هي تلك التي حدثت حوالي سنة 2800 ق.م. والتي فيها انتشرت القبائل الكنعانية في البلاد الجنوبية للسريان وبعد 300 سنة أي حوالي 2500 سنة ق.م. كانت قبائل الكنعانيين قد انقسمت إلى قسمين كبيرين أي إلى شعيبين عظيمين العموريين والفينيقيين، فالعموريون توجهوا إلى النواحي الشرقية وأقبلوا إلى بابل التي كانت آنئذ تفقد قوتها وتحول إلى انحطاط وانهيار وذلك بسبب معارضتها من الشعوب الغربية، وهناك أقاموا لهم كرسي رئاسة عظيمة وحكماً وإدارةً للبلاد وعندها تمكّنوا من المحافظة على بابل من الغرباء وسلطتهم.

أما الفينيقيون فقد تمكّنوا من الاستحواذ على سواحل البحار فامتدت سلطتهم من سيناء إلى طرطوس وقيليقيا وتسلطوا على جميع الطرق الواردة إلى البحر المتوسط والخارجية منه، حتى وطئت أرجلهم البلاد الواقعة شمالي أفريقيا وأكثر سواحل البحر المتوسط الغربية والشمالية وبنوا مدينة قريت حتش (قرطاجنة) في شمالي أفريقيا وأقاموا لهم مملكة كبيرة.

اشتهرت بابل في العهد الأول كثيراً في أيام أحد رؤسائها المعروف الملك حمورابي. كما اشتهر سرجون الأول بعد أن ثبت حكمه على جميع بلاد السريانيين وجدد عظمة بابل ووحد جميع البلاد بمهارته العظيمة وبالقوانين والشائع الحسنة والعادلة التي وضعها ورجع وأعاد مجد بابل.

عند مجيء الكلعانيين حدث تجديد عظيم للغة السريانية الأثرية البابلية بواسطة تجديدها بطبع جديـد باللغـة الكلـعـانـيـة وتـجـدـدـتـ أـيـضاـ بواسـطةـ سـمـتهاـ السـامـيـةـ وـقـدـ دـاخـلـهـاـ ضـعـفـ كـبـيرـ يـسـبـبـ اـخـتـلاـطـهـاـ بـالـغـازـ الـكـهـنـةـ.ـ كـمـاـ سـبـقـ وـدـوـنـاـ آـنـفـاـ وـحتـىـ الـأـجـيـالـ الـأـخـيـرـةـ كـانـتـ جـنـسـيـةـ الـكـلـعـانـيـنـ خـفـيـةـ عـنـ الـعـلـمـاءـ أـمـاـ الـآنـ فـقـدـ ثـبـتـ أـنـهـمـ مـنـ أـصـلـ سـامـ وـهـمـ أـخـوـةـ لـلـبـابـلـيـنـ وـالـأـثـورـيـنـ أـمـاـ سـبـبـ اـبـتـعـادـهـمـ مـنـ الـجـنـسـيـةـ السـامـيـةـ حدـثـ بـسـبـبـ عـدـاـوـةـ كـانـتـ لـدـىـ الـعـبـرـانـيـنـ لـلـكـلـعـانـيـنـ.ـ هـؤـلـاءـ لـمـ اـسـتـولـواـ عـلـىـ أـرـضـ فـلـسـطـيـنـ بـلـادـ الـمـوـعـدـ الـجـدـيدـ وـجـدـواـ بـأـنـ الـكـلـعـانـيـنـ قـدـ وـطـئـتـ أـرـجـلـهـمـ هـذـهـ الـبـلـادـ وـسـمـيـتـ باـسـمـهـمـ وـكـانـتـ سـبـبـاـ لـنـشـوبـ الـقـتـالـ وـالـحـرـوبـ وـالـمـنـازـعـاتـ الـكـثـيـرـةـ التـيـ لـاـ تـحـصـىـ فـاـضـطـربـتـ الـبـغـضـاءـ وـالـعـدـاـوـةـ بـيـنـهـمـ أـجـيـالـ وـأـزـمـنـةـ طـوـيـلـةـ حـتـىـ إـنـهـمـ لـمـ يـرـغـبـواـ أـنـ يـذـكـرـوـهـمـ فـيـ كـتـبـهـمـ وـيـجـعـلـوـنـهـمـ مـنـ الـأـمـمـ السـامـيـةـ الـجـنـسـيـةـ،ـ وـلـمـ كـانـ الـعـبـرـانـيـوـنـ

قد وصلوا إلى أرض الكنعانيين وجدوا أن الكنعانيين قد وطئت أقدامهم في البلاد وبنوا مدنًا كثيرةً حصينة مثل مدينة أورشليم وأريحا وحبرون وبيت لحم وشكيم وعانو ويافا ومدنًا أخرى ممتدة على جانبي نهر الأردن من حدوده الجنوبية للبحر المالح^(*) وإلى بحيرة طبرية ووجدواهم ينعمون بثقافة وحضارة عظيمة مكملة بالمعرفة والعلوم أبرزها الكتابة والديانة والزراعة.

كانت لغة الكنعانيين تشبه لغة بابل وأثر و من منبع واحد وقد تفرّعت من اللغة السريانية القديمة الأولى، وللغة الكنعانية كانت قريبة جداً من لغة الكهنة المعروفة باللغة الأكديّة، وامتزجت باللغة البابلية الآثرية التي أضافت إلى اللغة السريانية الموجودة في تلك الأزمنة حتى توصلت إلى توسيعها وترجمتها ثانية وأصبحت لغة عظيمة وواسعة. ووجدوا أيضاً بين الكنعانيين أحرف هجائية ألفائية... وبواسطة الكنعانيين انتشرت هذه الأحرف واستفاد الآراميون وال עברانيون وكذلك بقية الشعوب المجاورة.



إنَّ الخواص العامة بين البابليين والكنعانيين أكثرها متشابهة خاصة باللغة والعوائد والديانة والرئاسة والأخلاق، وهكذا فإن أفكار البابليين بضمائرهم وبياناتهم. أما الكنعانيين فكانوا يفكرون

(*) المقصود بالبحر المالح، البحر الميت (المراجع).

بالروحانيات والمدنیات، ولهذا السبب كان البابليون يضعون آلهتهم بين الكواكب في أعلى الفضاء ويهتمون كثيراً بالسعي والتربية الحسنة للنفس وروح الإيمان والتأديب والاعتقاد بالحياة الأبدية، إذ يستحق الإنسان بحسب أعماله على الأرض، إما تعذيبه في جهنم أو خلوده في النعيم وملوكوت السماء. أما الكنعانيون فكانوا يصنعون مواضع آلهتهم في أعلى الجبال الضخمة. وكانوا يعتقدون أن آلهتهم تعتنى بزراعة الأرض وخصبها والخيرات الجيدة من الحنطة والشمار الجديدة، ولأجل هذا اهتم الكنعانيون عنابة فائقة بالصناعة وزراعة الأرض وبسبب موقع بلادهم في الوسط بين بلاد بين النهرين وببلاد مصر تنسى لهم أن يتقدموا في التجارة. وبهذا زادت ثروتهم وغناهم ومدنيتهم وكثير من الكتاب اعترفوا بأن الكنعانيين أول من اكتشف أو عرف الزجاج والأصباغ المختلفة الألوان وكان لهم مهارة في الصياغة وطلي الحلي والبناء، وبناء القوارب والسفن وعلم الحساب والعدد. وأضافوا إلى هذا كله أحرف الهجاء (ألف باء) التي أخرجوها من الأحرف الصوتية والمسمارية الخاصة بالأثوريين والبابليين، ومن خلال معرفتهم بهذه الأحرف انتشرت عند جميع الشعوب التي أعقبتهم، وبدأ زمن النور والعلم الحقيقي الشرقي والغربي وفي جميع الشعوب. أما الشعب الذي ورث أكثر مخلفات الكنعانيين هم العبرانيون، لأن هذا الشعب بعد أن خرج من بابل كان حاملاً طابع المدنية البابلية.

في بلاد كنعان زادوا على معرفتهم مدنية بابل وتعاليم الكنعانيين ومعارفهم وخاصة ديانتهم وإيمانهم فمنهم وبواسطتهم تنسى للعبرانيين أن يكون لهم ديانة سماوية معروفة وأصبحت خميراً حقيقياً للمسيحية أيضاً.

هكذا كان اللفظ الكنعاني مكتسباً عظيماً للفظ العبراني القديم في زمن آباء للشريعة القديمة، ولهذا السبب كانوا يعتبرون أن ألفاظ العبرانيين من ألفاظ الساميين غير أن اللفظ العبراني هو نوع من أجزاء خاصة باللغة الكنعانية.

كما أن هذه الألفاظ قد انتشرت إلى جميع لغات الجيران. وأن اللغة البابلية الأثرية انتشرت أكثرها ضمن اللغة الكنعانية. ومن امتزاج اللغتين تكونت لغة بابل الأخيرة، ولكن مع هذا كله فإن مهارة الكنعانيين من المخلفات الخاصة من كتابة الألفاظ والهجاء لم يسعوا في وضع علومهم في كتابتهم التي كانوا يعرفونها. فكانوا مجتهدين ومجددين وخصوصاً في علم الحساب والزراعة والتجارة.

لم يتركوا لهم آثاراً لحروبهم وأخبارهم وقتالهم كما سبق وفعل أخوانهم البابليون والأثوريون الذين كتبوا لنا مفصلاً وبأسهاب عن كل عمل فعلوه غير أن الكنعانيين كانوا مؤلفي الأشعار بأعداد قياسية واستعملوها أكثر من جميع الشعوب السريانية. ولو لم تكن الشعوب الأخيرة كالعبرانيين واليونانيين والرومانيين قد كتبوا لنا عن أخبارهم لكننا قد فقدنا أخبارهم وأحوالهم ومن كتب التاريخ. كما أنهم أهملوا وحدتهم وانقسموا وكانوا طوال الوقت في حرب وقتل وكان هذا سبب تأخرهم. وكانت القبائل الكنعانية الساكنة في بلاد سوريا ولبنان وفينيقيا وفلسطين والأردن غير موحدة ومن أجل ذلك لم يتمكن الكنعانيون من أن يكون لهم مملكة واسعة ودائمة في البلاد التي أقاموا فيها كما فعل الآثوريون والبابليون، ومحل سكناهم كان في وسط الشعوب السريانية القديمة في آشور وبابل الذين كانوا دائماً حرصاء على المحافظة على حريتهم.

أما سكان مدينة قرت حدش (قرطاجنة) الذين هم القسم الثاني من الكنعانيين الفينيقيين الذين اتجهوا نحو الغرب والذين ابتعدوا من مصدر الأمة السريانية والذين دعتهم الحاجة إلى إقامة مملكة عظيمة وقوية في شمال أفريقيا حيث بناوا مدينة كانت مقرًا للدولة هي مدينة قرت حدش. بعد توسيعهم في العالم واختلاطهم مع الشعوب الغربية دعتهم الحاجة أيضاً إلى أن يتوحدوا هناك فقويت شوكتهم ووصلت فتوحاتهم حتى بلاد إسبانيا وإيطاليا وبقية سواحل قارة أوروبا الجنوبيّة. وقام منهم أبطال محاربون في الحروب الحاسمة ضدّ شعوب أوروبا وخاصة مع الرومانيين أيام الحروب الفينيقية، وظهر عند هؤلاء الكنعانيين نزعة القتال غير أن الكنعانيين القاطنين في سوريا ولبنان وفلسطين كانوا يهملون هذه الحالة ولا يهتمون بذلك ولهذا السبب تعرّضت بلادهم لحروب كثيرة ولعمليات قتال ونهب من الشعوب الغربية، وكانت الأمة السريانية معروضة لخطر الهلاك والدمار لعدم الاتحاد بين هذه القبائل وأصبحت مهدّدة لحروب عالمية، حيث إن ضعف تلك القبائل وعدم اتحادها مكّن قبائل فلسطينية قادمة من جزر البحر المتوسط من الاستحواذ على بلاد الكنعانيين حيث أقاموا لهم مملكة واحدة. ولهذا السبب اضطر الكنعانيون أن يقوموا بحروب دائمة مع قبائل العبرانيين الذين خاضوا حروباً كثيرة معهم وكانوا سبباً لإبادة الكنعانيين كلياً من طرف ضفاف نهر الأردن. فلما رأت القبائل الآرامية بأن شوكتهم قد قويت اضطروا أن يتّحد معهم الكنعانيون من حيث الجنس واللغة والقرابة التي بينهم، وعندئذ اختلفى فكر الكنعانيين من العالم ولم يعد يُعرف الاسم الكنعاني بعدئذ وتلاشى ذكره.

لكن الكنعانيين أي الفينيقيين قدّموا للعالم خدمات عظيمة من حيث الإيمان والديانة وكانوا سبباً لاختلاف الأديان والعقائد في

زمن حمورابي عن المعتقدات البابلية ومعارفها، حيث إن ديانتهم كانت أحسن من الديانات القديمة، وعلى ذلك كان يقال في بعض أماكن أخرى بأن العبرانيين قد بنوا أسس ديانتهم على الديانة البابلية ومعارفهم. ومن يمعن النظر أو يطالع الديانة العبرانية يجد أنها تتطابق تماماً مع عوائد ومعتقدات وتعاليم دينية سماوية في العالم اليوم تشابه الديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية وكما يعتقد بعين بصيرة فإن ديانة الكنعانيين أو الفينيقيين جوهرها واحد ومصدرها يتشابه.

كما أن اللغة الكنعانية هي اللغة السريانية بنوعها الثاني إذ كانت تعيش وسط اللغة البابلية والأرامية حيث لم تكن لغة ما سبقت اللغة البابلية ولغة كاملة كاللغة الأرامية. وبسبب هذا التشابه بين اللغة الكنعانية وبين اللغة الأرامية، فإن كثيراً من المطلعين على العلوم القديمة اعترفوا وقالوا إنّ اللغة الكنعانية والأرامية هي واحدة، وعلى هذا تحقق لدى مؤلفي أيامنا بأن تلك كانت غلطة عظيمة، ومن حيث أن لكلّ من اللغتين خواصها فإن شبهها كلياً يوجد بين اللغة الكنعانية واللغة العبرانية القديمة ما قبل الجلاء البابلي. فكانت اللغة الكنعانية بذاتها. إن هذه الفكرة يظهر أنها أقرب للحقيقة، إذ نذكر أن إبراهيم الأب المعروف لأحدى القبائل العبرانية (إسرائيلية ويهودية) هو المؤسس الأول لتسمية هذه الشهرة باسم "عبر أبو إبراهيم" وكان إبراهيم قد خرج من أور الكلدانين بعد أن سقطت بابل تحت سلطة الكنعانيين الذين كانت لغتهم قد انتشرت آنذاك قبل مدة لغتهم في بلاد بين النهرين وإرجاع اللغة البابلية القديمة إلى سامتها، وهكذا لما خرج إبراهيم من أور الكلدانين وعبر نهر الفرات وسكن في أرض الكنعانيين التي هي فلسطين فقد جاء بلغته التي كانت مستعملة في

أرض بين النهرين والتي كانت لغة مختلطة باللغة البابلية والكنعانية. ولما سكن في أرض الكنعانيين فمن الطبيعي أن تكون اللغة العامة لغة كنعانية، وعليه حصل اختلاف زائد أخذ بلغته نحو اللغة الكنعانية حتى تبدلت تماماً بصورة عامة إلى اللغة الكنعانية في الأزمنة التالية. ولكن مع كل هذا فقد دعيت لغة إبراهيم ونسله باسم اللغة العبرية لكي تميز اللغة والشعب من الأمة السريانية الكبرى. أما لغة قرت حدش فقد كانت فرعاً من فروع اللغة الكنعانية أي الفينيقية، وافترقت عنها بسبب بعدها من البلاد السريانية، ودخل عليها أيضاً بعض الاختلافات من حيث تداخلها مع الشعوب الأفريقية المجاورة. ولكن مع هذا كله لم يحدث اختلاف كبير يستحق الذكر بين لغة الكنعانيين ولغة الفينيقيين سكان قرت حدش (قرطاجنة).

بعض الممالك الصغيرة للKennanites والفينيقيين نشأت في سوريا ولبنان وفلسطين إلا أنها كانت ضعيفة. وأنذاك ظهرت قبائل الآراميين وبعدهم الكنعانيون ثم العبرانيون، فلذلك التزم الكنعانيون أن ينحصروا في الحدود على سواحل البحر في البلاد من الجهة الشرقية للبحر المتوسط حتى انحصروا أيضاً في الجهة الجنوبية الغربية أي من حدود أنطاكية وتركوا المنطقة الممتدة من عكا إلى غزة لقبائل الفلسطينيين الذين جاؤا من جزر البحر المتوسط ومن المحتمل أن الفلسطينيين هم من اليونان بالجنس. وبقي في الشرق من البلاد قسم غير قليل من قبائل الكنعانيين المعروفين بأسماء هي أموريون (عموريون) وعمونيون ومؤابيون وحاويون وكركوسيون وعبرانيون وفرزيون ويابوسيون هؤلاء الذين جاء ذكرهم في الشريعة القديمة. إن جميع هذه القبائل كانت تتكلم اللغة الكنعانية، وكانوا يتشابهون كثيراً. ولكن مع هذا كله كانوا يشنّون الحروب على بعضهم والقتال

كان دائماً يبنهم وينهبون ويسلبون بعضهم البعض ولهذا السبب لم يتمكن الكنعانيون أن يقيموا لهم مملكة كبيرة ومتحدة الأوامر حتى تقاوم الطامعين من الغرباء.

إن العبرانيين قد انسحبوا من المجتمع ومن التسمية وخرجوا من نطاق القبائل الكنعانية، وقد ذكرهم اليونان في كتبهم باسم واحد مع الفينيقيين من حيث أسماء مدنهم المشهورة كما يقال الصوريون، والصيادونيون والأرواديون وبني جبيل وهي نسبة إلى، صور، صيدون، وأررواد، وجبيل. كما أن المقاطعة الجنوبية للكناعانيين الذين كانوا يسكنون في فلسطين وفي أرض كنعان امتدت على جميع البلاد الواقعة تحت حكم الفرس مدة سنتين طويلة أثناء زمان السلام والراحة وكان السبب للنشاط والعظمية التي توصل إليها الفينيقيون والكناعانيون بواسطة تجارتهم وثروتهم.

في زمن اليونان والروم كانت الأمة الكنعانية قد وقعت في مصاب أليم، ولهذا السبب تأخرت أعمال الفينيقيين ونشاطاتهم التجارية المعروفة. إن الانتصارات التي أحرزها اليونان والروم كانت سبباً لتدور حرية الفينيقيين. اللغة الكنعانية التي كانت اللغة التجارية في كل العالم القديم دامت حتى الجيل الأول قبل الميلاد. ولما لم تختلط اللغة الكنعانية مع لغات غريبة كلفة اليونانيين والرومانيين، فالتأمت مع اللغة الآرامية واحتتها كما سترى ذلك في مكان آخر.

من أقوى المدن الكثيرة التي أقامها الكناعانيون والتي كانت أعظم من غيرها في ذلك الزمن هي مملكة قريت حدش (قرطاجنة) تلك التي تمكنت من الاستيلاء على رئاسة البحر المتوسط لقرون عدة قبل الميلاد. وبعدها انقرضت على يد الرومان بعد حروب قاسية

وقتال عظيم. وكان قد اشتهر في هذه الحروب الصعبة حنييعل^(*) وضميلقر البطلان العظام المشهوران وقد كان حنييعل من جملة الفاتحين العظام في العالم، وفي الحروب التي أقيمت بين الرومان والكنعانيين.

كانت هذه الحروب التي قامت على الشعوب السريانية من الشعوب الغربية هي حروب مصيرها إما الحياة وإما الموت لكلا الطرفين، ولأن الشعوب السريانية كانت من الذين قد تعبوا وأنهكت قواهم كثيراً من حيث الحروب المتواصلة التي قامت ضدهم، أخذ حكمهم بالانهيار مصدرأً حكم الإعدام على سلطة السريان إلى الأبد في الجهة الغربية. كما كان الدمار قد حلّ منذ زمن في الجهة الشرقية، وبعدئذ لم يقم لهم قائمة. وعندما انتهى الحكم والسلطان السامي حتى ظهور العرب في الجيل السابع بعد الميلاد.

ما يستحق الذكر هو أن الفينيقين كانوا قد اخترعوا الحروف الهجائية ألف بيت السريانية لدى الشعوب اليونانية والرومانية بنوعها الكامل ولهذا سميت الحروف الهجائية (فينيقية) وهم أوصلوها إلى الشعوب المجاورة. ومؤلء الآخرون جعلوا عليها حروفهم الخاصة وهكذا كل شعب كان يتلفظ حسب صوته أو لغته، وحتى الآن أكثر الشعوب والأمم كانوا يتسمون بألفاظهم السريانية أي حسب ألف بيت... إلخ.

يُظنُّ بأنَّ الكنعانيين في البداية كثيراً ما استعملوا الكتابة المسмарية

(*) أو (هانيال): قائد قرطاجي، هزم القنصل الروماني ديوبيليوس في ميلس (واقعة في أرض القرطاجيين) بمعركة زاما عام 260 قبل الميلاد، وتم اغتياله في أرمينيا (المراجع).

الآثرية والبابلية إلى مدة طويلة من الزمن حتى اكتشفوا منها كتابتهم وحرفهم الهجائية المعروفة حوالي الجيل العاشر قبل الميلاد.

من كتاباتهم القديمة فقد ظهرت في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد بالرموز المسماوية وكانت الرسائل المرسلة من الملوك الكنعانيين في فلسطين إلى فرعون ملك مصر أمينحوتب، ودامت هذه الكتابة حتى الجيل التاسع قبل الميلاد.

ثم وجدت أحرف هجائية كتبها الملك، عدا هذه الكتابات هناك كتابات أخرى كثيرة وجدت في مصر وبلاد اليونان وسيليقيا وجزيرة ملاطيا وسردانيا والتيمن وفرنسا وأسبانيا وريت حدش التي هي قرطاجنة من بلاد تونس والغاربيين بأيامنا.

من هذه الكتابات التي وجدت في بلاد الكنعانيين وفي باقي البلاد التي للشعوب الغربية، يظهر لنا أن نقارن بين اللغة الكنعانية واللغات الأخرى للشعوب السريانية التي انقرضت كالآثرية والبابلية فإن الذي يتمعن تماماً ويتفحص كتابة الكنعانيين والآثريين والبابليين يجد في اللغتين الأخيرتين بأن اللغة الكنعانية هي اللغة السريانية بدورها الثاني، وأن اللغة الكنعانية هي أقرب إلى اللغة الكاملة ولسبب اختلاطها الكلي مع اللغة السريانية لا يمكننا أن نعرف الفرق الحاصل في ألفاظ اللغة الكنعانية، وكثيراً ما نتذكّر أن أصحاب هذه اللغة كانوا يهملون الأحرف الصوتية في كتابتهم ومؤلفاتهم حيث إنهم كانوا يكتبون كلماتهم بالأحرف الصامتة فقط، وكانوا يتذكّرون حقيقة القراءة لفطنة القارئ. أما بالخصوص العامة لم تكن تختلف اللغة الكنعانية عن بقية لغات الشعوب السريانية حيث كانت مبتعدةً عن اللفظ البابلي، لم تكن أقرب أكثر إلى اللغة الآرامية. فكان الكنعانيون يكتبون مثلاً

كلمة بيت هكذا (بت) وكلمة صيدون (صيدن) وكلمة كهنة (كهنم)
إذ يهملون الأحرف الصوتية ويزيدون حرفًا مهماً في الكلمة الجمع
المذكر.

كان للكناعيين ثلاثة أنواع من الكتابة بالحروف الهجائية وهي الكتابة القديمة والكتابة الحديثة وكتابه قريت حدش أي قرطاجنة. وكان لهم أكثر من اثنين وعشرين حرفاً هجائياً في ثمانية وعشرين لفظاً وفي هذه الأحرف نرى أن الكناعيين حافظوا على جميع الألفاظ الطبيعية الموجودة في لغتهم وأيضاً موجودة في أكثر اللغات السريانية القديمة التي في تلك الأرمنة ولم يهملوا شيئاً من الألفاظ الصوتية التي في لغتهم كما فعل البابليون والآثوريون وكما وجده القارئ في فصول مرت ذكرها آنفاً.

عند ظهور اللغة الآرامية كانت اللغة الكنعانية قد انقرضت تماماً بكليتها وترك الشعب استعمالها لسبب أن اللغة الآرامية كانت قد تغلبت على جميع لغات السريانيين الأخرى لبساطة حروفها واختصارها للألفاظ.

ونجد أن ندوة هنا بعضًا من كتابات الكنعانيين وذلك للمقارنة

استناداً لثقب إن اللجنة الدائمة كانت قد تضمنت على جميع لفات السياقين التالية
ولمود أن تكون هنا بعض عناوين كتابات الكشا شنب وذلك للقارئة
الكتابية الكتابة الكتابة ١-٣ لتلقي الكتابة كتابة كتابة الكتابة ٣-٦ لفترة
التدبر الذهاب تضمنت السياقية الروف بالمعنى
٤-٥ لـ ١-٢ لـ ٣-٤ لـ ٥-٦ لـ ٧-٨ لـ ٩-١٠ لـ ١١-١٢ لـ ١٣-١٤
٦-٧ لـ ٨-٩ لـ ٩-١٠ لـ ١٠-١١ لـ ١١-١٢ لـ ١٢-١٣
٧-٨ لـ ٩-١٠ لـ ١٠-١١ لـ ١١-١٢ لـ ١٢-١٣
٨-٩ لـ ١٠-١١ لـ ١١-١٢ لـ ١٢-١٣
٩-١٠ لـ ١١-١٢ لـ ١٢-١٣
١٠-١١ لـ ١٢-١٣
١١-١٢ لـ ١٣
١٢-١٣

٤	٦	٢	٣	١	٥	٧	٩	٨	٦	٤
٥	٧	٣	٩	٥	٦	٨	٧	٩	٦	٥
٦	٨	٤	١	٣	٥	٩	٧	٨	٦	٤
٧	٩	٥	٢	٤	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٨	١	٣	٦	٤	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٩	٢	٤	٧	٥	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٠	٣	٥	٨	٦	٦	٩	٧	٨	٦	٤
١	٤	٦	٩	٧	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٢	٥	٧	٩	٨	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٣	٦	٨	٩	٧	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٤	٧	٩	٩	٨	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٥	٨	٩	٩	٧	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٦	٩	٩	٩	٨	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٧	٩	٩	٩	٧	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٨	٩	٩	٩	٨	٦	٩	٧	٨	٦	٤
٩	٩	٩	٩	٧	٦	٩	٧	٨	٦	٤

وَمَنْ حَلَّ لِأَهْلِهِ مِنْ حَلَالٍ وَمَا حَرَامٌ
وَمَنْ حَلَّ لِأَهْلِهِ مِنْ حَلَالٍ فَلَمْ يَكُنْ لِأَهْلِهِ حَرَامٌ
وَمَنْ حَرَمَ لِأَهْلِهِ مِنْ حَلَالٍ فَلَمْ يَكُنْ لِأَهْلِهِ حَلَالٌ

- اللقة التهانئية** نزارا باللغة البرالية مقترنة بالعربي
 ١٤ ألم يجد العصر بكم ما يرى في حده تماهى وهمج
 عي لعنه للرحمه لما يرى جديدا واعلامه اددا ومعلم انت فضالك لا يتصالب اليم
 ملعا حاددها مع امه.
- ١٥ من ابناء البر
 ساف حضره امامه حضر
 في على مجيء ريكدر في
 انت بعد لحده داره حده ولا سمعها عدم مع حن (اوه) التناير هذه نسان
 المتعه لامه حضره امامه وبذاته اسلامه دعوا عاليه الشجاعين له بغزوته
 ونادوا لمحوا وافتتحوا الارض بذاته وسب الورار لدمجزه مر
- لعنونه ولهذا وحدة لا وصفب المتعه
 لعنونه امها ولهذا ولهذا ولهذا ولهذا ولهذا ولهذا
- ١٦ مسحة صو: امسحة امسا يمسا حمض ادم داسن في بربط بعل صور
 وف العلا ريداء لحن: لعنونه دللاه دللاه واللهم وحيحة الذي هر بعل .
- ١٧ مسحة ذات دللا سمع امسحة لعنونه دللا سمع وبرب راس بعل وان
 لعنونه وبحال اللام دللاه واباه، وصعد دره وتح الذي هو بيته ورب
 الاحلااحا. ايل بيل طيت

عليكم

ويشهد اينما ذكره امير الملك صاحب ملك حصل الذي كان قد حضر لها في زمز ما بينها مني
 راه من الناس لجعل ربته البطل المقيم بليل حصل لا اراد ان يبارك عليه وتنبيه عليه
 البرمات والجلات وكفع مبهه في نسب التعب اپنابيله، وبعد لعنونه بقاض ربته
 شيئا على بيان الذي صنع مقابل حانيا الملك هذه .

٤٠- الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَمَلَ الْجَنَاحَ لِأَعْدَادِهِ (١) ،
وَحَمَلَ حَمَالَ الْجَنَاحَ لِأَعْدَادِ الْجَنَاحِ - ٢ - هَذَا أَبْرَاجُ الْجَنَاحِ وَهُوَ مِن
عَدُوِّي مَلَائِكَةٍ وَلَا (أَنْ يَحْتَمِلَ) حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ سَعْدِي
لِأَعْدَادِهِ وَهُوَ كَذَافَةٌ (٣) أَعْلَمُ أَعْلَمَ الْجَنَاحِيْنِ - ٤ -
فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَصْوَاتُهُ سَمِيَّةٌ . (٥) أَعْلَمُ دُنْدُنَاتِ الْجَنَاحِيْنِ... أَعْلَمُ أَعْلَمَ
كُلِّ أَبْرَاجِ الْجَنَاحِ - ٦ - سَمِيَّهُ حَمَالُ حَمَالَ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ حَمَالِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ٧ - مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
سَمِيَّهُ حَمَالُ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ٨ - حَمَالُ حَمَالَ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ حَمَالِ
لِأَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ٩ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١٠ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١١ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١٢ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١٣ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١٤ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ
أَعْدَادِ حَمَالَ حَمَالَ الْجَنَاحِ - ١٥ - وَهُوَ مَعْلَمُ مَلَائِكَةِ الْجَنَاحِ لِأَعْدَادِ

صورة الكتاب المسمى باللغة السريانية

اذا مسألهم هل لنا بخلاف ذلك سورة ملائكة الله - . - اذا بحثوا اياه وهم
(محببيا) وصلوا (الحمد) وهم (صلوة حمدنا واصولهم) ملائكة الله
ومنها انا لذين دنا في حمدنا لذينا وهم ملائكة لهم احبها انا لذين دنا - . -
صلوة حمدنا لذينا واصولهم سمعوا وسمعوا واصولهم وهم ملائكة لهم
والله لا يغفر لعنة (اذدنا) وعلمه (اذدنا) وعلمه (ذى دن) وعلمه (ذى دن) وعلمه
ملائكة (ذى دن) وعلمه (ذى دن) وعلمه (ذى دن) (علمهم) وعلمه (ذى دن) وعلمه
وابدا المحبه واصولهم احبها انا لذين دنا لهم حمدنا لذينا وصلوة
حمدنا اصحاب ايات من ذي دنهم حمدنا لذينا - . - ملائكة لهم احبها
لهم ملائكة ملائكة حمدنا لذينا الله ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة
لهم ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة ملائكة

حصورة الكتابة المتماثلة باللغة العربية

اذا سماكم الله بحاله بهذه الحاله نعم - . - . - . - . - . - .
الحاله (الحاله) و (الحاله) ملائكة حماله و (الحاله) ملائكة حماله
و من يد ابا ابي ذئب (الحاله) و (الحاله) له ولد اجها ابا ابي ذئب - . - .
ملائكة حماله (الحاله) و (الحاله) و سعيا (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
وايه (الحاله) و (الحاله) (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
الله اعلم (الحاله) و (الحاله) (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
وابط المرضعه و (الحاله) اجها ابا ابي ذئب (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
ملائكة حماله (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
لهم (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)
لهم (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله) و (الحاله)

وَهُنَّا حِلَّةٌ أَبْحَاطَ مِنْهَا حَدَّتْ الْجَمَاهِيرَ حَلَّتْ لَهُمْ وَرَبِّوْا
أَنْجَادًا (١٦١، ١٦٢) وَمِنْهَا وَحْيًا وَأَنْجَادًا (١٦٣) وَمِنْهَا حَلَّتْ حَلَّانِيَا
أَمْنًا وَهُنْ هُنْ دَلَالِيَا وَخَلَقَهُمْ دَلَالِيَا وَهُنْ حَسَنًا وَهُنْ حَدَّهُمْ حَدَّهُمَا
وَيُوَدِّهُمْ دَلَالِيَا وَهُنْ دَلَالِيَا وَهُنْ دَلَالِيَا (١٦٤) - إِنَّ دَلَالِيَا سَهْ دَلَالِيَا ...
كَجْ لَعْنَهُ دَلَالِيَا دَلَالِيَا لَعْنَهُ دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا
وَهُوَ الْمَلِيَّةُ دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا دَلَالِيَا
لَرَهُ وَهُنْ عَمَاهُ دَلَالِيَا (لِرَحْمَمِ لَهُمْ) رَاهِي سَادِرَهُ مَعْرِيَّهُ لِرَطْلَعِهِ عَلَيْهَا الْقَبَلَيِّ
أَنَّهَا يَأْتِي مَلِكَ مَلِكَهُ جَسَرَهُ سَهْ مَعْلَمَهُ بِلَكَ بِلَكَ جَسَرَهُ بِلَكَ الْمَلِكَ

وإنني سادوّنها هنا معرّبة ليطلع عليها القارئ الكريم:

"أنا حايا ملك ملوك جبيل بن تيهر بعل ببر ملك ملوك جبيل الذي هو من عمل البعلة (إلهة) الكبرى إلهة جبيل التي ملكتني على جبيل ودعوت أنا إلى إلهتي إلهة جبيل حتى سمعت صوتي وصنعت أنا لربتي إلهة جبيل هذا المذبح النحاسي الموجود في هذا الفناء وزينته بالذهب الموجود من جهة المفتاح (الباب) هذا وطليته بالذهب الذي هو موجود على حجر في هذا النحت الذهبي وهذه (المقصورة) وسكنها هـ، الموجود عليهم وصنعت أنا حايا ملك ملوك جبيل لسيدتي إلهة جبيل كما دعوت أيضاً إلهة جبيل وسمعت صوتي وصنعت مع الإحسان وباركتنى إلهة جبيل. حايا ملك ملوك جبيل من سبب أن هذا الملك سعيد وصالح فأعطت له الإلهة الكبرى ربة جبيل الرحمة الرحمة بعيني الإلهة وبعيني شعب هذه الأرض (هذه البلاد) ومحنة شعب الأرض.. وكا، ملك وكا، إنسان

الذى يزيد على البناء والغرفة المذبح المزين باواني الذهب. والغرفة هذه المعروفة. أنا ملك حايا ملك...
عمل هذا الوعد وأن أنا لم أضع وأن **٥** هذا الموقع
هذه الغرفة والعمارة هذه الكبيرة الإلهة جبيل فتلعن
الإنسان هذا ونسله (انتهى).

وعدا هذه الكتابة الخاصة للملك حايا ملك جبيل. كان حايا في الجيل الخامس قبل الميلاد. وقد وجدت كتابة أخرى على قبر (ضرير) الملك تبنت ملك صيدون بلغة كنعانية، وفي هذه الكتابة يوجد بعض الفاظ هيروغليفية المصرية تظهر أنه قد وجد في زمن هذا القبر فيبلاد مصر وقد كتبت هذه الكتابة حوالي سنة 300 ق.م.

كتابه تمنت ملكه صرسون بلغة كفارنه

١- ایں ۷ احادیث میں حکم و حکما۔ ۲- مسلم نے مسلم احادیث کا ملکہ نو تعلیم حاصل
 ۳- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔ ۴- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔
 ۵- فخر حنفی اب ابوجعین سنتی۔ ۶- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔ ۷- احادیث
 ۸- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔ ۹- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔ ۱۰- مسلم احادیث
 ۱۱- مسلم احادیث کا ملکہ نو حکما۔

نثريها باللغة (المرانة)

١- الـ اـ حـلـاـ دـهـ دـاـ وـ حـلـاـ دـهـ ٢- مـلـمـ يـبـرـهـ دـ اـ عـطـلـهـ دـ الـ حـلـاـ وـ بـرـهـ ٣- وـ حـلـهـ دـاـ وـ حـلـهـ دـاـ ٤- حـلـكـاـ (وـبـلـ) ٥- اـنـاـ حـلـاـ اـنـاـ وـ حـلـهـ دـاـ اوـنـاـ ٦- ٧- لـاـ اـعـلـمـ اللـهـ (عـصـنـ) وـلـاـ فـيـ جـلـهـ لـمـ يـعـصـمـهـ مـلـمـ وـ حـلـهـ ٨- دـلـامـدـ وـبـصـ وـ تـهـاـ وـ حـلـهـ دـهـ دـهـ اوـنـاـ ٩- لـمـ اـعـلـمـ اللـهـ وـلـاـ فـيـ ١٠- دـاـهـ تـاـحـلـاـ وـ حـلـاـ دـهـ ١١- وـ حـلـكـاـ قـلـسـ اللـهـ وـ مـهـمـهـ وـ فـيـ ١٢- لـمـ يـرـعـ اـلـهـ (وـنـخـاـلـهـ مـتـاـسـهـ حـلـهـ) ١٣- وـ لـمـ مـهـمـهـ وـ حـلـهـ ١٤- اـمـانـ الـقـةـ الـعـرـسـ

أما في اللغة العربية فترجمتها

- 1 - أنا تبنت كاهن الإلهة عشتروت.
- 2 - ملك صيدون ابن اشمنعزر ملك صيدون نمت في هذا الجرن.
- 3 - لعنتي تأتي على كل إنسان يخرج هذا الجرن.
- 4 - لا لا تفتح قبري ولا تغضبني حيث لا يوجد لنا فضة ولا ذهبا.
- 5 - وكل ذي ثمين النائم في هذا الجرن لا.
- 6 - لا تفتح قبري ولا تغضبني وتشير عليك غضب عشتروت.
- 7 - إذا فتحت قبري وأغضبني فلن يكون لك نسل بين الأحياء تحت الشمس.
- 8 - ولا مكان قبر بين الأموات.

كتابة أخرى لاشمنعزر ملك الكنعانيين ابن الملك تبنت المذكور آنفًا ويمكن كتبته هذه الكتابة حوالي الجيل الثالث قبل الميلاد وتشبه بوضعها الكتابة المار ذكرها، ويوجد كذلك بعض كلمات غير مطابقة كثيراً، ولكن أكثرها فهي بسيطة لدى القارئ الذي يتقن السريانية.

إن اسم هذا الملك مركب من اسمين أو لفظتين من شمن أو شمشن الذي هو اسم أحد آلهة الكنعانيين، وإن هذا الإسم ذكر في سفر الملوك الثاني 17:30. اشميأ وكلمة عزر وتفسيرها عقلياً عاد أي شيمنعماد وهذه الكتابة لاشمنعزر.

وأن **هذا الملك** مركب من **اسعى** أو **لقطني** من **شن** أو **شنن** الذي هو **ام** **احد** **الله**
الكتفما **شنب**. و**أن هذا الاسم** ذكر في سفر **ملوك** **التابع** . ١٧ - ٤٠. **بينما** **وكلمة** **عز** **روز** **نفيرا**
عمقلنا ، **عادر** ، **أبي شعنمار** . **وهذه الكلمة** **لا** **تشتمل** .

وَالْمُهَاجِرَةُ مُحَاجَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَمْعِدُهُمْ عَنِ الْأَمْرِ
فَيَقُولُونَ إِنَّا هُوَ مُنْهَى وَمُهَاجِرٌ إِذَا فَلَغَ الظَّلَّامُ
وَهُنَّ مُهَاجِرُوا إِنَّمَا يَمْهِلُهُمْ اللَّهُ أَوْ لَهُ مُلْكٌ
وَهُنَّ مُهَاجِرُوا إِنَّمَا يَمْهِلُهُمْ اللَّهُ أَوْ لَهُ مُلْكٌ

وهذا تعریف النصر:

1- في شهر بيل السنة الرابعة عشرة من حكمي أنا الملك اشمنعزر ملك صيدون.

- 2 - ابن ملك (تبنت) ملك صيدون. قال الملك (اشمنعزر ملك صيدون انتقلت قبل زمني وأنا مسكون).
- 3 - ابن أيام قليلة ويتيم ابن أرملة نمت أنا في هذا الصندوق في هذا القبر.
- 4 - الموجود في هذا الخزف الذي صنعت وأقسم على كل ملك وكل إنسان أن لا يفتح هذا القبر (هنا).
- 5 - ولا يفتّش على شيء غالٍ الثمن حيث لا يوجد عندي لا خزائن في منامي ولا شيء.
- 6 - (يتنتقل) إلى منام آخر وإن أجبرك أحد لا تسمع لكل ملك ولا تسمع كلامهم.
- 7 - وكل من يفتح أو ينقل تراب قبر هذا.
- 8 - إلى قبر آخر لا يكون له قبر بين الأموات ولا يقبر في قبر.
- 9 - ولا يكون له ولد ولا نسل وأسلمه يد الآلهة القديسين ملك الظلم.
- 10 - يحكم عليهم وبهلك وجه الملك أو إنسان الذي يفتح قبر مكاني أو أي إنسان ينقلني.
- 11 - من هذا التراب من كان ملكاً أو إنساناً لا يكون له نسل.
- 21 - وقطع من تحت أصولهم ومن فوق ثمارهم ولا يرى نور الشمس بين الأحياء ومن سبب أنا متُ قبل أواني.

- 31 - مسكين ابن أبيامي قليلة ويتيم ابن أرملة.
- 41 - من سبب أنا ملك اشمنعزر ابن ملك تبنت ملك صيدون وأمي أم عشتروت.
- 51 - كاهنة عشتروت سيدتنا ملكة بنت ملك اشمنعزر ملك صيدون (نحن) أبناء هذه البيوت.
- 61 - إلهة بيت عشتروت في صيدون والصيادونيون أرض بحر وجعلوا فيها عشتروت ليتعظم اسمها.
- 71 - ونحن أولاد البيت لم يسمعوا الله في فناء هيكله المقدس فطلبنا منه وأخذناه على أيدينا وجعلناه هناك بالأكرام ليتشرف اسمه.
- 81 - ونحن ببنينا بيتاً في صيدون للالهه في (مدينة) أرض البحر بيتاً لبعض صيدون وبيت عشتروت اسم بعل وأعطانا أدوناي (بعل) ملکوم (الإله).
- 91 - دور (أرض) يوفي أرض داغون المباركة التي هي في حافة شارون عوضاً لنا عن عملنا.
- 20 - وزدت على حدود الأرض لتكون ملكاً لصيدون إلى الأبد. فاقسم على كل ملك وكل إنسان أن لا يفتح قبري.
- 21 - ولا يرفع غطائي ولا ينقلني من هذا المكان ولا يحول التابوت أو التراب من القبر ولا يغيرك الآلهة القديسون إلى الدينونة ويكسرنون قوة الملك والإنسان ونسلهم إلى الأبد. (انتهى)

غير هذه الكتابات التي مر ذكرها أعلاه توجد كتابات أخرى كثيرة في أماكن مختلفة متنوعة الأوضاع وكثير هي المكتوبة على الحجارة ومقابر من أنواع اللغات والألفاظ وتشبه بعضها البعض كثيراً ولغة قريث حدش (قرطاجنة) تختلف قليلاً في اللفظ عن اللغة الكنعانية بواسطة دخول كلمات غربية من الألفاظ الأفريقية وبقية الشعوب، والكتابات التي وجدت باللغة القرطاجية سابقاً تعود إلى حوالي الجيل الرابع قبل الميلاد والأكثر جدة منها تعود إلى سنة 150 قبل الميلاد والتي تظهر بأنها آخر لغة كنعانية لقريث حدش من اللغة السريانية وسندرج هنا نوعاً منها.

اللغة الكنعانية في قرطاجنة

لـنـحـ ماـنـاـقـ حـدـشـ . . . لـاـوـ لـحـلـلـسـمـ اـحـ . . . لـزـبـ هـلـنـاـحـ هـ
سـلـلـمـ سـعـهـ هـلـمـخـدـهـ . (لـاـدـ حـمـدـاـ) هـ وـبـمـ اـهـمـاـ بـسـعـ وـهـ
هـافـنـصـاـ . + . مـاـيـبـاـلـاـ بـالـفـرـارـيـةـ +
اـلـنـحـ مـاـلـاـقـاـ (اهـنـاـ) وـحـلـاـهـ لـاـوـهـ سـ(هـنـمـاـ) حـلـلـاـ وـسـعـاـ . . . وـبـدـهـ .
حـدـهـ هـلـنـاـدـ سـلـلـمـ هـ وـحـلـلـمـ هـ وـلـخـدـهـ .

بالعربية:

- 1- إلى سيدنا (تنت) صورة بعل
- 2- والأدوناي (الرب) بعل شيمان.
- 3- الذي نذره ملقرث ابن حملقت الذي سمع صوته وباركه.

وكثير مثل هذه الكتابات وجد في بلاد غربي أفريقيا وإسبانيا وفرنسا وببلاد إيطاليا وجزر البحر المتوسط وببلاد اليونان. فأظهروا

عظمة حكم الكنعانيين وكيف امتدّت وانتشرت مدیتھم وثقافتهم السریانیة بین امم غربیة.

من المعلومات التي طالعها القارئ يمكن أن يظهر له كيف كان الکنعانيون يستعملون حرف (Q) عوض في العریبة وفي لغات الکنعانية وبقیت هذه العلامۃ أي الحرف (Q) مستعملة عندهم حتى أيامنا، حيث يظهر من قولهم للأرض Q وهي الأرض باللغة العریبة.

إن الألفاظ الداخلة في اللغة الکنعانية هي من العمورية والفينيقية والعبرانية والعامونية والمؤابية والأدومية والعرب ولغة بني إسماعيل وبني مدين ويترتب والعمالقة وشعوب أخرى كانت تسکن جنوب فلسطین والأردن. فإن أكثر هذه القبائل تتكلّم باللغة الکنعانية وكانوا يستعملونها حتى ظهور اللغة الآرامية، وكانت اللغة الثانية بعد اللغة السریانیة وهي أحد أعضاء الجسم الكبیرة من اللغة، وكانت اللغة الکنعانية مستعملة مدة طويلة وعندھا انقسمت إلى قسمین كبيرین. فواحد من الأقسام اتجه نحو الشرق ودُعى باللغة العمورية، والقسم الثاني اتجه نحو الغرب وسمى باللغة الفینيقیة: أما في القسم الجنوبي من بلاد فلسطین فقد احتفظت باسمها الکنعانية المشهورة العامة ولكن المتعارف أن كل قبیلة أسمت لهجتها باسمها على حدة.

في بلاد بين النهرين خصوصاً كانت اللغة الکنعانية قد امتنجت باللغة الآثاریة البابلیة. التي أخفت قسماً من الألفاظ الصوتیة التي كانت خاصة باللغات السامیة.

إن الکنعانيين من حيث إنهم لم يهتموا بضبط الحكم وتأسیس

ممالك عظيمة جبارة كما فعل الآثوريون والبابليون من ممالك عظيمة. كانوا قد اهتموا بالتدابير العالمية والزراعة وتربيّة الماشية والتجارة، ولقلة احتلاطهم لم يفقدوا تماماً خواص لغتهم السامية، فالكنعانيون وقريث حدش وشمالي أفريقيا فقط، عرفوا واشتهروا بفتحاتهم وحروبهم مع اليونانيين والرومان.

في أجيال أخيرة قبل الميلاد اشتدت العداوة والبغضاء بين سكان الشرق وسكان الغرب أي بين الكنعانيين والروم، وبعد حروب قاسية انتصر الغربيون على الشرقيين. وغلب في النهاية الجنس السامي من السريان وتمكن الرومان في الغرب من الحكم والاستيلاء على جميع العالم القديم ووقع أكثر العالم السرياني تحت سلطتهم وغابت شمس السريانيين إلى الأبد وبعده لم يقم لهم قيمة. وهكذا البقية من القبائل الكنعانية سقطت وتلاشت وانقرضت تماماً وباتت كبقية الشعوب السريانية الذين انفروا كالآثوريين والبابليين والكنعانيين من سكان آسيا.

أصبحوا جميعهم تحت حكم الأمم الغربية مثل فارس واليونان في الشرق والروم في الغرب الحالة التي ساعذتهم كثيراً على مخالطتهم مع الأمم الغربية بالجنس واللغة، ولكن قبل حدوث جميع هذه التحولات العالمية وقبل أن يخرج الحكم والسلطة والرئاسة من أيدي الشعوب السريانية ظهرت لغة حديثة عرفت باللغة الآرامية بين جميع الشعوب السريانية ولدى أكثر العالم الموجود آنذاك؛ إذ كانت تدریجياً تنتشر في كلّ البلاد وتمتدّ إلى جميع الأقطار وكان قد أباد جميع اللغات السريانية التي قبلة، وإن هذه اللغة الآرامية استحوذت على كل لغات السريانية التي قامت سابقاً. وامتزجت فيها بالكلية وبواسطة هذا

الاختلاط العظيم عرفت اللغة السريانية، وفي الفصل الآتي سيظهر
للقارئ كيفية الاختلافات اللغوية.

الفصل السادس

عن اللغة الآرامية وانقسامها إلى الشرقية والغربية

إذ يتذكر القارئ العوارض الكبيرة التي حلّت في الأجيال القديمة. فسيجد أنه حوالي سنة 3800 قبل الميلاد، عرفت القبائل الأولى وفاتحة الشعوب السريانية تحت رئاسة الملك سرجون الأول الأكدي إذ إنه من لغة تلك القبائل خرجت أو تكونت اللغة الكلدانية أو البابلية وبعدها اللغة الآثرية وبعدئذ امترجت اللعтан ببعضها لسبب تقاربها، وعرفت باللغة الآثرية البابلية، وبعد هذه العوارض ب نحو ألف سنة أي حوالي سنة 2800 ق.م. ظهرت القبائل الكنعانية وظهرت معها اللغة الكنعانية والفينيقية التي بدأت تدريجياً تنتشر في بلاد السريان بأجمعها، وخاصة في بلاد بين النهرين واختفت اللغة البابلية الآثرية وبقيت محفوظة داخل الكتب وأصبحت لغة مقدسة لدى الشعب وأخذت محلها طبيعياً اللغة الكنعانية إذ كانت أوسع وأشمل. فبقيت اللغة المعروفة في ما بين النهرين وسوريا وما يجاورها، وبعد ألفي سنة أي حوالي 1800 سنة ق.م. ظهرت اللغة الآرامية وتغلبت

على اللغة الكنعانية وأخذت الزعامة على جميع لغات السريان القديمة الذين مروا سابقاً.

في مدة قصيرة ومن دون صعوبة انتشرت اللغة الآرامية في جميع بلاد الشرق كما قيل مثلاً بأنه في كل عشرة أجيال أي كل ألف سنة كانت تظهر بين الشعوب السريانية لغة جديدة، وفي كل واحدة منها يكون لها كمال وتعديل وثقافة حسنة. فما هي إذن هذه العوارض في اللغات السريانية ومكانتها وثباتها الحقيقي فمن غير المعروف حتى الآن سوى أن هذه اللغات جميعها صيغتها وموضوعها واحد وتبيّن عن إدراك وعقل السريانيين من حيث الديانة والثقافة والعلوم، وهذه الخواص الحسنة أصبحت خميراً لتقدم الإنسانية في الأزمنة التالية.

شيء آخر يجب أن يتذكره القارئ الكريم، بأنه الإنسان لن يستطيع معرفة الأزمنة أو أن يحدد بالضبط وقت ظهور تلك اللغات السريانية التي مر ذكرها ولا بد أنه يوم ظهرت اللغة الكنعانية كانت اللغة الآرامية أيضاً موجودة. فعليه إذن أن اللغة أيضاً تنتشر عندما يستولى أصحابها على البلاد.

سبب انتشار اللغة الأمورية هو استيلاء الملوك الأموريين مثل حمورابي ملك بابل العظيم إذ كانت القبائل الآرامية أيضاً موجودة. فعليه إذن أن اللغة أيضاً تنتشر عندما يستولى أصحابها على البلاد وكانت القبائل الآرامية آنذاك قليلة وضعيفة وكما يقال في دور الطفولة، وبعدئذ قليلاً قليلاً وتدريجياً لما تمكّن الآراميون وقضوا على زمام الحكم والتجارة العالمية والغنى العظيم والثروة التزمنت جميع الشعوب الآرامية باستعمال لغتهم وتبدل اللغات القديمة التي مضت كالآثوريين والبابليين والكنعانيين وأن يتخدوا اللغة الآرامية

التي انتشرت في جميع البلاد، وكما وقعت هي أيضاً تحت ضغط لغة أخرى بحجة اللغة القديمة وتدخلها في تلك البلاد واحتلالها مع اللغة الآرامية، ولهذا السبب ظهرت عندئذ لغات كثيرة في اللغة الآرامية وانقسمت إلى الشرقية والغربية كما سذكر ذلك بالتفصيل فيما يلي من الكلام.

إن الآراميين كبقية الشعوب السريانية ذُكرروا وهم الجزء الثالث من الأمة السريانية، وقد جاء ذكرهم مع إخوتهم الآثوريين والبابليين، ولكن هؤلاء أحْبَّوا الرئاسة والتَّدِير وتوحدوا بالحكم المدني مدة طويلة من الزمن أمام قوة الآراميين، ولو أن اللغة البابلية الكنعانية كانت قد انتشرت بين السريانيين، ولكن لما ظهر الضعف في حكمهم الزمني ولما ثبتت اللغة الكاملة الآرامية وملأت النواقص الموجودة في موضوع الثقافة عندئذ أصبحت مستعملة في جميع المدن والبلاد حتى تغلّبت على جميع اللغات أخواتها، وازدهرت بمحاسن العلم وكانت اللغة العامة لدى جميع السريان والمحظيين بهم من بقية الشعوب السريانية. كما أن هؤلاء الآراميين أولًا كانوا وسط البلاد السريانية التي تمتد من البلاد الفارسية حتى البحر المتوسط ومن بلاد مصر حتى حدود بلاد الأرمن مع قسم كبير من أراضي آسيا الصغرى وبلاد قيليقيا، وإذا نظر أحد في طبع هذه البلاد يجد فيها انقسامات واحتلالات وأقاليم متفرقة كثيرة طبيعية كالعرب الأقحاح وعرب فينيقيا والجبال الشامخة المغطاة بالثلوج كجبال قردون وطوروس ولبنان والأنهر والبحيرات والبلاد الخصبة وأماكن خصبة ذات خضراء، وعلاوة على ذلك لسبب اتساع أرضهم وكثرة البلاد السريانية لم يكن لهم حدود معلومة لكي يصنعوا لهم حصوناً وقلاعاً محصنة ليقوموا في وجه الأعداء الفاتحين

الغرباء، ولهذا السبب كانت الشعوب السريانية في تدبيرها المدني ضعيفة وقد سقطت عظمتهم وقوة بأسهم فوقعوا حالاً أو سريعاً تحت احتلال الغرباء وصلوا إلى الهلاك والدمار.

كذلك حتى الآن لم تعرف المكانة الخاصة التي كونت اللغات الرئيسية للشعوب السامية الشمالية الذين هم الشعوب السريانية وهم الأكثريّة، ويُتفق على أن لغاتهم المختلفة ظهرت أولاً في بلاد العرب حتى تكونت اللغة الأكديّة والكنعانية والأراميّة ومن توحّدهم ظهرت اللغة السريانية.

إن هذه الأفكار تحتاج إلى التروي، ولكن بحسب آراء العلماء فإنه ليس جميع الساميين وفي مقدمتهم السريان الذين مر ذكرهم آنفاً، قد خرجو من وسط بلاد العرب وساروا إلى البلاد الخصبة لتربيّة مواشيهم حيث إنهم كانوا رعاة سابقاً قبل أن يصبحوا مزارعين وفلاحين وكانوا مجتهدين في مهنتهم كثيراً ولما رأوا أن بلاد سوريا وبين النهرين أكثر خصوبة (الحزام الأخضر) بدلو حالتهم من قبائل رحل وبدوا إلى المعيشة في المدن العظيمة: وقاموا بأعمال جسيمة من الصناعة الفاخرة كبناء المدن الكبيرة في الشرق مثل مدينة بابل وأثور ونيروى والرها ونصيبين وصور وصيدون... إلخ فإن المنطقة الخصبة العاشرة كانت تمتدّ من حدود فلسطين الجنوبيّة وتصعد نحو الشمال إذ تعبر الجهتين من عبر الأردن وببلاد سوريا وفيتنقيا ولبنان كله حتى تصل إلى الحدود الشمالية لبين النهرين، وتعبر إلى جبل طوروس والجهة الشرقيّة من آسيا الصغرى في تركيا الجديدة ثم تعبر بشكل قوس نحو الشرق وتنزل متوجهة نحو الجنوب حيث تعبر بلاد طور عبدين وجبار

حيقار وجميع بلاد آثرور حتى تصل إلى بلاد بابل القديمة التي تدعى الآن العراق، وبعدئذ إلى ساحل بحر فارس، وسميت المنطقة المقوسة (القوس الخصب) (الهلال الخصيب) بسبب تقوسها تقوساً طبيعياً، وكانت خصبة لكثره خيرها وكثرة سكانها التي تنقلون فيها من دون انقطاع وفي بلادها من دون تردد وكثرة البلاد التي يتراحمون عليها ويكترون تسمياتها، فمنهم شبّهها بالقوس الخصب ومنهم بالميزان ومنهم الحق بها بلاد مصر. فشبهوا بابل ومصر بكفي الميزان وطRFي القوس الخصب شبهوهما بقياطين (جبال) الميزان وشبهوا بلاد حران والرها وجبال آثرور وحدود الشمالية لحدود بين النهرين بأنها تيجان للقوس الخصب وبعمود الميزان ويقال لها مؤخراً الهلال الخصيب.

لما رأت شعوب الساميين القدماء بأن شعوب السريان الأولى في بلاد القوس الخصب ينتقلون فيها من دون انقطاع وينقلون خيمهم كلما وجدوا في مكانهم نقصاً أو ضعفاً من السكان السريانيين القاطنين في بلاد القوس الخصب وقد كان يخرج منهم قبائل جديدة وأمم قوية من وسط بلاد العرب وهم يحملون صفات الساميين من القوة والبطولة والشجاعة والثقافة، وكان دمهم السامي يغلي في حياتهم الطبيعية وكانوا يتقدمون ويستولون على البلاد التي حولهم ومدنها.

إن الشعوب القديمة من السريان كانوا يعرفون في الأزمنة القديمة الأكادية ومنهم البابليون والآثوريون، وبعدهم الكلعنانيون والفينيقيون والأقوام المتفرّعة عنهم هم الشعوب الآرامية المتساوية معهم بالجنس واللغة ولم يكن بينهما سوى فرق طفيف في اللغة الخاصة بكل قبيلة.

ففي هذا الفصل سيكون كلامنا عن الآراميين وانقساماتهم ولغاتهم،

وأننا نشبّه اللغة السريانية بزمن بابل وأثرور بدور الطفولة وبزمن الكلعنانيين في صغره وبزمن الآراميين في زمن الشباب وعرفت لغته باسم السريانية في زمن كهولته.

إن الآراميين كبقية الشعوب السريانية كانوا معروفيين منذ زمن وجودهم في البلاد منذ عهود غير معلومة وقبل أن تثبت لهم ممالك كبيرة وصغيرة في بلاد بين النهرين وسوريا كانوا معروفيين في جميع الأقطار الشرقية، ولم يعرفوا حديثاً إلا منذ حوالي أوائل الجيل العشرين قبل الميلاد وكانوا هم الجزء الثالث والأخير من الأمة السريانية وكانوا أيضاً النهاية لظهور شعوب حديثة في السريانية في العالم الحالي.

اشتهر الآراميون وخصوصاً حوالي سنة 1500 ق.م. وكانت لهم لغتهم الخاصة التي عرفت باسمهم، ويوجد بعض المؤرخين قد أخطأوا إذ خلطوا اللغة الكلعنانية باللغة الآرامية واعتبروها واحدة، حيث وجدوا بين اللغتين تشابهاً كثيراً وتقارباً وذلك لسبب أن منبعهم واحد، وأنه لسبب الفرق الحاصل بينهم هو من حيث المدة الطويلة التي مرّت بين هذه وتلك وكل لغة عرفت بلفظها وخصوصها. إذ إن اللغة الكلعنانية كانت مختصرة، أما اللغة الآرامية فكانت واسعة وكاملة في تصريفاتها ونظنّ نحن أن الآراميين قد خرجوا من بلاد العرب في كسل وتأخرروا في فتوحاتهم لبلاد السريانين، كما أنّ قوة وبطولة ومدنية وتدابير إخوتهم البابليين والآثوريين كانت سبباً في تأخيرهم عن الاستيلاء على مدنهم وبладهم، ولما كانت لهم الغلبة والاستيلاء على البلاد وانتشروا في جميع الأقطار، دخلت جميع اللغات التي للسريانين السابقة والقديمة في اللغة الآرامية حتى اتسعت وكبرت

وأصبحت لغة واحدة عامة فاقت غيرها وكملت الاحتياجات العلمية كلها.

كلما أرادت بعض الشعوب الآرامية أن تتقدّم نحو البلاد المحاذية كان ملوك الآثوريين يردونهم إلى الوراء في هذه الحالة تأثّر الآراميون مدة طويلة من مدّ سلطتهم إلى البلاد. إلا أنه لما ضعفت تحرّر البابليون في الجنوب ومكث الآثوريون في الشمال بواسطة خروجهم من آسيا الصغرى مع الحثيين الذين دخلوا إلى بلاد سوريا الغربية والشمالية.

أخذ الآراميون يقصدون بلاداً أخرى فدخلوها من جميع جوانبها، وتمكنوا أن يمزجوها أماكن كثيرة، وإن الحروب الكثيرة التي أقاموها على الحثيين وأبادوهم بالكلية سببت ضعفاً في قوة الآثوريين وذلك في نهاية الجيل الحادي عشر قبل الميلاد، عندئذ تمكّن الآراميون أن يقيموا لهم ممالك (دويلات) صغيرة في وسط العالم السرياني، وإن الدولة الآرامية الكبرى التي عرفت كانت الدولة التي قامت في درمسوق (دمشق)، وبعدها المملكة التي في الشمال من سوريا، وهاتان المملكتان الآراميتان تقاسمتا بينهما بلاد سوريا من طوروس حتى فلسطين، وعدا هاتين المملكتين كان هناك دول أخرى صغيرة كثيرة هنا وهناك، ولا بدّ أن إخوانهم الآثوريين كانوا قد غمضوا عيونهم عن تحركات الآراميين هذه لقاربتهم الجنسية واللغوية ولعدم تداخلهم مع الحثيين الغرباء حيث إن خطر الآراميين السريان لم يكن مخيّفاً للآثوريين السريان، كما كان خطر الحثيين الغرباء على جميع الشعوب السريانية وجنسيتها ولذا إن الآراميين كانوا يساعدون الآثوريين على الحثيين.

ظهر من الكتابات المسمارية أن القبائل الآرامية كانت سابقاً قد عرفت باسم (سوتي) وكانوا قد نزلوا من أواسط بلاد السريان واستولوا على درمسوق حيث أقاموا مملكتهم المعروفة.

كما أن الآراميين سكنوا أيضاً في الحدود الجنوبية على نهر الفرات بالقرب من مدينة أدنه الفارسية حيث قد تجددت وقويت مملكة بابل الثانية التي كانت قد عرفت بملكه الكلدائين إذ كان من الضروري للآثوريون وملوكيهم أن يجتهدوا لكي يخلصوا ويفكوا (يحرّروا) البلاد من خطر الآراميين لكي لا يفقدوا مدنיהם العالية وتلاشى إلى الأبد.

إن الآراميين كانوا قد دخلوا ومنذ زمن في جميع البلاد، وكانت قبائلهم تتنقل على الحدود الآثرية من الثقافة وتقوّت أيديهم في جميع الأماكن وانتشروا واحتلّطوا بين القبائل الأخرى من السريان الساميين إخوانهم في بين النهرين وسوريا، ولم يكتفوا بهذا فكان الآراميون يتقدّلون في جميع البلاد التي يحتلّها الآثوريون والبابليون إخوانهم حيثما كانوا انتشرت تجارتهم فقط للآثوريين السريانيين كذلك لغتهم الآرامية دائماً كانت تسير مع سير الآثوريين في زمن فتوحاتهم.

أخيراً إن أحظى الحثيين والآراميين بدت لدى بعضهم في الجيل الثاني عشر قبل الميلاد وكان خوفاً عظيماً على إبادة ثقافتهم السريانية الشهيرة.

فاعذر عندئذ المحاربون الآثوريون لكي يتخلّصوا من أعدائهم الأصلين، وفكّروا لكي يهلكوا الحثيين الغرباء أعدائهم، وكانوا جميعاً

الآراميون والآثوريون يتعاونون لإبادة الحثيين الذين هم أعداؤهم اللدودون، فسابقاً وقدি�ماً قبل أن يتوسط الآثوريون ليهلكوا أعداءهم تسلط الحثيون أولاً وفتحوا البلاد حتى انتشروا في جميع البلاد ما بين النهرين وسوريا ووصلت فتوحاتهم حتى حدود شبه جزيرة سيناء وأخيراً تمكّنوا أي الشعوب السريان باتحادهم أي الآثوريون والبابليون والآراميون أن يضربوا ضربتهم الكبيرة والأخيرة لشعب الحثيين ومعهوا اسمهم إلى الأبد من بين الأمم ومن على وجه الأرض بعد حروب قاسية ومريرة دامت مقدار مائة سنة، ولما أخذ الآثوريون الغلبة على الحثيين عندئذ نفّذوا بلاد السريان من جنس الحثيين الغباء.

فإن موافقة الشعوب السريانية للحروب مع الحثيين كانت سبباً لتأسيس الممالك الآرامية حتى الجيل العاشر قبل الميلاد فقويت يد الآراميين في كل سوريا وببلاد فلسطين عندما اصطدموا مع شعوب صغيرة من العبرانيين الذين بدأوا يشكلون لهم دولة صغيرة في بلاد كنعان وأخذت دولة العبرانيين تتقوى حتى أيام داود الملك حسبما فعل سابقاً الكنعانيون والفينيقيون بملك صغيرة. إن أخبار الحروب التي حدثت بين ملوك الآراميين وال Urianiين مذكورة في سفر الناموس قدّيماً، ومن الآراميين الذين اشتهروا أولئك الذين في الشام الذين في صوبا التي بأرض حران والذين في حوريب التي على نهر اليرموك، وكذلك الآراميون الذين في معكا التي في جبل حرمون والذين في الشمال، وكان الآراميون الذين في كركم والذين في تدمر والذين في النبط وهؤلاء جميعهم هم الآراميون الغربيون. وكذلك كان الآراميون الذين في بين النهرين بالجهة الجنوبية المعروفون باسم آرام نهرين. أما الآراميون الذين في الجهة الشمالية لبين النهرين والآراميين المعروفون باسم مدعانيين (مندائين) أما الآراميون الشرقيون هم

الآراميون الذين جاءوا في الأجيال الأخيرة قبل المسيح وسكنوا في أقليم ميسان بالعراق وتسمى بيت آراماً.

فعلى هذه الحالة انتشرت اللغة الآرامية في جميع الأقطار من بلاد السريانيين فتغلبت على بقية اللغات القديمة ففرضتها. أما الأكثرية من تلك اللغات فقد امترجت في اللغة الآرامية إذ كانت لغة الفاتحين الآثوريين أي البابليين والكنعانيين وانحصرت اللغات القديمة للآثوريين والبابليين والكنعانيين في الكتب والسجلات (مخطوطات) واللغة الآرامية كانت تسير برفقة الجيوش الفاتحين المصلحين الخاصين في الآثوريين.

إن جميع هؤلاء الفاتحين للبلاد والجيوش الآثرية البابلية كانوا ناصرين للغة الآرامية. لكن إن الخطأ الذي فعله الآراميون هو انقسامهم على ذاتهم ورغبتهم في الرئاسة القبلية. ولهذا السبب لم يتمكّن الآراميون أن يوحّدوا قواتهم ضدّ الغرباء ليقيموا لهم ممالك قوية عالمية كما فعلت بابل وآشور ولم يتمكّن أحد من رؤساء الآراميين أن يقوم بتوحيد جميع القبائل الآرامية تحت راية واحدة للأمة وبسبب ذلك وعدم التدبير المفید حدث الضعف في صفوف الآراميين، حتى إنهم لم يستعملوا الحروب العظيمة ولذلك عوض أن يكون لهم مملكة واحدة كبيرة موحدة الأوامر والأسس، فقد أقام الآراميون لهم دواليات صغيرة كثيرة كما مر ذكره آنفاً، وإضافة إلى ذلك كان عندهم الانقسام القبائلي وكانوا يقيمون حروباً قاسياً مع بعضهم، وعلى هذا طُبع الآراميون، وكان هذا سبباً لضعفهم وانهيارهم.

أما ما فعله الآراميون من حسن الأعمال الوحيدة محافظتهم وعنايتها بلغتهم ونشرها في جميع البلاد مع القراءة وحرفوها التي

أخذوها عن إخوانهم الكنعانيين حتى إنهم حصلوا عليها لهذا السبب لما وقع الآراميون من درجتهم وحكمهم في سوريا لم تنس لغتهم أو يفقد استعمالها بين الأمم والشعوب القريبة منهم، وإن اللغة الآرامية كانت تستعمل في بابل وأثور وفارس وكذلك في بلاد اليونان والروم حيث كانت قد انتشرت منذ أزمنة بعيدة بثقافتهم وحضارتهم، وإن اللغة الآثرية كان انتشارها في البلاد المجاورة للبحر المتوسط وامتدت في كل الشرق الأوسط بأعجوبة وفي ظل قوة بابل وأثور وأصبحت لغة عامة في جميع بلاد السريانيين وكل مدينة العالم القديم.

أما اللغات السامية فتنقسم إلى قسمين كبيرين بسبب المكان والبلاد. فالقسم الأول في الجهة الجنوبية والثاني الجهة الشمالية. ففي الجهة الجنوبية عرفت اللغة العربية والحبشية وبقية اللغات السامية التي ظهرت في جزيرة العرب وأفريقيا، وفي الجهة الشمالية يظهر فيها اللغات السامية السريانية التي مر ذكرها آنفاً كاللغة الآكادية وفروعها البابلية والآثرية واللغة الكنعانية والفينيقية واللغة الآرامية وأنواعها، ومن هذه اللغات الشمالية ومن مزوجهم بعضهم تكونت اللغة السريانية المعروفة في أيامنا.

اللغة الآرامية انقسمت إلى قسمين رئيسيين شرقية وغربية، ضمن القسم الأول أي اللغة الآرامية الشرقية منها: العربية والبابلية والمذعية (المندائية) وبين النهرين الشمالية أي آثور وحران والرها.

والقسم الثاني أي الآرامية الغربية من ضمنها الآرامية الشمالية ودرمسوق (الشام) وتدمير وفلسطين والجليل، وثم اللغة الآرامية النبطية وطورسينا، وكان الفرق بينهما بسيطاً وليس إلا ألفاظاً غربية من الشعوب الغربية المجاورة لبلاد السريان، كالفرس واليونان

والمحريين، ويوجد أيضاً فرق آخر عقلياً أو اجتماعياً كما يظهر في الحياة البيتية بشكل جزئي أو معنوي. أما اللغة العامة فهي واحدة ومع تماذجي الأجيال الكثيرة تسلسلت هذه الاختلافات اللغوية بين الشرقيين والغربيين حتى أيامنا، وعرفت منذ زمن ما باسم لفاظ النسطوريين أي الكلدانيين ولفظ اليعقوبي. ويتكلّم في اللفظ القديم السريان في منطقة وأن، وأورميا، وأذربيجان، والموصل، وجبل حيقاري وزكا وفي اللفظ الغربي اليعقوبيين ويتكلّم به السريان في طور عابدين (جبل آثور) وسكان القرى القرية من الدراسوق (الشام) كسكان معلولا وصيدنaya وبيت تبنا وسريان جزيرة سوريا التي في أيامنا والسريان المارونيون.

كما كان في الأزمنة القديمة يوم تدينهم بالديانة المجوسية منقسمين أي السريان المتكلمين باللغة الآرامية إلى ممالك وأجزاء كثيرة لا تُحصى فهكذا أيضاً فإن الذين خلفوهم في زمن اعتناهم المسيحية تخلّقوا إلى طوائف كنسية كثيرة والتي أكثرها باقية حتى أيامنا. أما الشعوب الذين اتبعوا كنائس عديدة والذين تمسّكوا باللغة السريانية هم السريان الكلدان والسريان النسطوريون والسريان الأرثوذكس أي اليعقوبة والسريان المارونيون والسريان الجدد أي السريان الكاثوليك الملكيون الذين قرب الشام المار ذكرهم سابقاً. وتبع هؤلاء اليهود الذين في العراق، وقسم قليل من العرب.

إن الآراميين الغربيين كانت بينهم عداوة وحسد عظيمان وبين الإسرائيليين الذين كتبوا عنهم شروحاً طويلة وعن كثير من الحروب التي كانت قائمة بينهم ودامت طويلاً، وقد وصل إلى زماننا بقايا من تلك الكتابات الكثيرة المختلفة التي منها تمكناً معرفة اللفظ للغة

الآرامية القديمة التي في زمن مجوسيتهم (وثنيتهم)، وكثير من هذه الكتابات كانت قد حضرت على حجارة هيكل معابدهم وقواعد أصنامهم وحجارة أخرى، وجميعهم لا يساعدون متبعي الأخبار أن يجدوا أو يتمكّنوا من جمع جميع خواص اللغة الآرامية التي في زمن المحوسبة.

من الكتابات الشهيرة للأراميين هي التي خلفها لنا الملوك، هدد، وبنهدد، وبنامو وبركبي من الجيل الثامن قبل الميلاد وبقيت أيضاً كتابات أخرى وجدت متفرقة في آسيا الصغرى، وفلسطين وفي مصر وفي بلاد العرب وفي شمال أفريقيا وفي إسبانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا، وإن أكثر هذه الكتابات وتبدّلها في بلاد مختلفة وأقطار بعيدة هي دلالة لتوسيع هذه اللغة الآرامية وانتشارها لدى الأمم الكبيرة في العالم القديم وحتى الآن نجد استعمال اللغة الآرامية ليس فقط بين لغات الساميين عامة بل أيضاً في لغات كثيرة أوروبية وأفريقية.

كان الآراميون قد تعلّموا الكتابة إذ أخذوا من إخوانهم الكنعانيين الأحرف الهجائية بعد أن أدخلوا عليها بعض التحويرات الخطية حتى توصلوا إلى كتابتها بعدة خطوط، إذ كل بلد كانت تدخله لغتهم كان يُجري بعض التعديلات على الكتابة والخط والأراميين بتغيير اللفظ الخاص فصار لهم اثنان وعشرون حرفاً هجائياً وثمانية وعشرون لفظاً صوتياً، وسنذكر هنا ثلاثة أشكال من الكتابة الآرامية القديمة العهد للاطلاع عليها. الخط التدمري والخط النبطي وخطنا الحالي. وبمعرفة أسماء الأحرف الهجائية الآرامية ثبت لدى أكثر العلماء بأن هذه الأحرف من دون شك هي التي تسلّلت من الآراميين الكنعانيين، ومع تمادي الزمن والأجيال طرأ على الأحرف بعض الاختلافات

حسبما تقتضي ظروف الزمان والمكان ومصلحة اللغة ومع هذا كلّه وكل هذه الاختلافات قليلة هي حول اللغة سوى أن الخطوط الخاصة بقيت جميعها وأكثريتها كانت قريبة من الأحرف الأساسية للكناعيين.

الكتابة التي سارت سيراً حسناً وكاماً هي الكتابة النبطية، ولكن لم تكمل الكتابة السريانية بحسن الخط وجودة الحروف إلا في الأزمنة الأولى لدى اعتناق أهلها المسيحية والتي كتب فيها كثير من الكتب المقدسة والديانة الحديثة المعروفة باسم الكتابة الأسطرنجيلية التي تفرعت منها الكتابة اليعقوبية والنسطورية (الكلدانية) بأيامنا.

من جميع الكتابات الآرامية المتفrقة في شتى بلاد العالم القديم لم يتمكن الإنسان أن يجمع كتاباً واحداً كاملاً يحتوي على كل أنواع الألفاظ والقواعد والصرف والنحو للغة الآرامية الموجودة في زمن المجموعية (الوثنية) ولهذا السبب حدث هذا النقص.

وبسبب قلة الكتابات والقصص في المعلومات في الكتابات القديمة التي بقيت من وضع القدماء، لم يعرف أيضاً سبب تنوع المذاهب في اللغة الآرامية ولم يتبدّى بصورة كاملة تبيّن نوع كامل للغة الآرامية وتعرّف عن حياتهم وأعمالهم وتاريخهم الكاملة للأراميين واتحاداتهم مع القبائل المجاورة لهم.

أما الكتابات الآرامية التي بقىت حتى أيامنا والأكثر صحة هي كتابات الخاصة لابن راكتب (فاحـ) ملك شمال الذي عاش في الجيل الثامن أو حوالي 745 سنة - 725 ق.م. وقد وجدت كتابة لابن راكتب في تل نجيرلي قرية بين أنطاكية ومرعش سنة 1891 ق.م. ووُجدت مع الكتابة صورة ملك آثور وهو ماسك بيده وردة واحدة

أرابيَة الديزِيَّة بطبَنَةِ المُجَبَّلَةِ سَيِّدَةِ مَهْرَوْمَهْرَادَاهَا.

مع هذه الكتابة يظهر لنا بأن المملكة الآرامية التي في غرب سوريا في أزمنة هذا الملك كانت أيضاً واقعة تحت حكم عمومي للأثوريين. فإن مملكة الآراميين الشماليين جاء ذكرها كثيراً في كتابة مسمارية من زمن شلمنصر 934 - 825 ق.م. وفي كتابات الملك تغلات فلاسر 734 ق.م. وفي كتابات آسرحدون 668 - 688 ق.م. وفي زمن آشور بانيبال 626 - 686 ق.م. وأن لفظة هذه الكتابات هي لفظة اللغة الآرامية الغربية القديمة، ويظهر أنه دخلت عليها لفظة اللغة الكنعانية، ومن هنا يمكننا أن نجد أن اللغة الآرامية كيف دخلت عليها الألفاظ المختلفة، وكذلك معرفة أصلها وكيفية قيامها وقدمها وعن تجددها ودخول كثير من الألفاظ من اللغات السريانية القديمة للسريانيين القدماء والذين سبقوها ومضواها كالبابليين والأثوريين والكتناعيين وفروعهم.

كتاب ابن رامب ملك النيل الراوي

فَهُمْ هُنَّا مُهَمَّةٌ

من كتابات قبائل الآراميين الغربيين يوجد أيضاً كتابة أخرى تشبه التي سبقت في مقدمتها أعلاه، وهي كتابة ششتزار ابن الكاهن سهر وجدت سنة 1891 م بالقرب من مدينة حلب ومع هذه الكتابة صورة الكاهن ششتزار وهو باسط يديه نحو السماء في وقت الصلاة، ومثل كتابة ابن راكب هذه الآرامية الغربية وهي شكل اللغة الآرامية المذكورة في التوراة للعبرانيين، وكلغة هذه الكتابة يمكن للقارئ أن يطالع سفر أرميا غزرا وفي الأصحاح الخامس (الخمسة) من سفر دانيال، وأشكال كثيرة توجد في التوراة تشبه اللغة الآرامية المذكورة هنا. ومثل اللغة واللفظ لهذه الكتابة وجدت كتابات أخرى كثيرة في مصر وقد كتبت في الجيل السادس قبل الميلاد. وأكثر هذه الكتابات هي سجلات الزواج وكتب الطلاق.

حسب اللهم الدرامية

ششار حنده مصريه حنده داده رجهده (أونه نده) مع لاما نده بعده رجهه
 (أونه نده) مم احجزه مصريه (محظها) لحاله نعم بحصه عجم (احجزه) مم سع
 مه المسره معهم (ممه) مسها بجهه اونه دم (لاني رجهها) (أونه نده) ابس ملم
 لـ لـ

تدبرنا في السرية

ششار حنده مصريه (أونه نده) بعده حنده داده رجهده (أونه نده) (أونه
 بعده لامه لجهده داده نده مصريه (أونه نده) مصريه (أونه نده) لحاله نعم بحصه
 عجم (احجزه) ستار حمحتا لمهم (احجزه) داده نده (لهم) (لهم) لحاله
 ملهها استار (لهم) (لهم) (لهم)

ومن كتابة ششنار وذكر أسماء المهنة يظهر لنا أن المدينة والثقافة المبينة في التوراة تشبه حياة الآراميين ولاختلاط كلا الشعوب، وهذه كتابة ششنار كاهن كمر سهر تعريبها: ششنار ابن كاهن سهرا (القمر)

مات بالرب وهذا بسمه (تابوته) وأنت إذا أخذت هذه العجنة والتابوت من مكانه القمر والشمس نبيل ونشك (آلهة) سيمحون اسمك ودارك من بين الأحياء ويقتلونك في القبر ويهلکوا نسلك وإن حافظت على التابوت، ينصروك (يحفظوك).

فإن الشعب العبراني حفظ لنا مؤلفات وكتباً باللغة الآرامية في زمن الوثنية أكثر من الكل. وكثير من الكتاب والمؤلفين والأكثريات أنياء الشعب وضع كتبه باللغة الآرامية الغربية، وبقيت محفوظة بين العبرانيين هذه الكتابات إلى يومنا.

حتى مجيء الآراميين كان العبرانيون يستعملون لغتهم الخاصة التي هي جزء من اللغة الكنعانية وكانت تعرف باسم لغة العبرانيين القدماء، ولدى سلطة اللغة الآرامية التي انتشرت بأعجوبة في كل بلد وقطر، وبأعجوبة أيضاً قضت على جميع اللغات التي صادفتها. وخاصة اللغات القديمة السريانية كالبابلية والأثرية والكنعانية والفينيقية ومعهم أيضاً العبرانية وجميعهم احتلوا ببساطة وطبيعة باللغة الآرامية؛ وحتى الكهنة والرؤساء العبرانيين الإسرائييليين أي اليهود، اجهدوا جداً لحفظهم اللغة العربية القديمة وقاموا ضد اللغة الآرامية، ولكن من حيث إن قوة اللغة الآرامية وانتشارها لغويًا ولهجة راسخة خاب أملهم وفشلوا غایتهم بمضادة في قبائل اللغة الآرامية، وبعد مدة قصيرة هي كذلك كبقية اللغات الغربية والسريانية وقعت العربية واختفت مقابل الآرامية حيث كانت قد فاقت على جميع اللغات القديمة وخاصة أن استعمالها تجدد في الجيل الثاني قبل المسيح، فامتدت حيثيات اللغة الآرامية الخاصة في بلاد شبه جزيرة سيناء وفلسطين وعبر الأردن وتسلطت بالكلية على اللغة الإسرائيلية فهناك تفرع فرع باللغة الآرامية حتى الجيل السابع بعد المسيح،

وفيها وضعوا مؤلفاتهم الكثيرة. هؤلاء أكثر من غيرهم يتكلمون الآرامية، وقد حافظوا على بعض هذه المؤلفات. فإذا طالع القارئ كتبهم لوجد أوضاع كثيرة غالباً أثمن من الآرامية.

من مؤلفاتهم الشمينة في اللغة الآرامية كانت مجلة تدعى تعنيث وكانت مجلة أو قائمة لمعرفة الأعياد والصيام عند اليهود وقرابنهم أي ذبائحهم وقد ظهرت كتابة هذه المجلة في الجيل الأول قبل الميلاد. مصدر بعده كتاب *لأنجح مهد الحلم* ترجمة أنفلوس وهو ترجمة التوراة من العبرية إلى اللغة الآرامية. وثم كتاب *لأنجح مهد مهد* ترجمة يوناثان وهذا أيضاً ترجم بعض أسفار من كتاب الشريعة القديمة إلى اللغة الآرامية. وكتاب آخر وهو مجلد أنطيوخيوس الذي كان يقص الحروب الكثيرة التي بين اليهود واليونان (السلوقيين) للجيل الثاني قبل الميلاد، وكثير من الكتب مثل التلمود الأورشليمي كتب باللغة الآرامية. وفي هذه اللغة الآرامية كتب يشوع جواهر حكمته الإلهية للعالم كله، وسار تلاميذه على أثره وكتبوا كتاباً في الأجيال الأولى للمسيحية وفيها دعوا العالم كله، وسار تلاميذه على أثره وكتبوا كتاباً في الأجيال الأولى للمسيحية وفيها دعوا العالم إلى طريق الخلاص والحق والحياة الصالحة في الاطمئنان والسلام.

كما كان البابليون والآثوريون بفتوحاتهم العظيمة للعالم القديم وتعليم الثقافة الصالحة، هكذا كانت قوية وعظيمة اللغة الآرامية بفتحاتها، وبسبب صحتها وتنسيقها وكمالها من حيث القواعد واللهمجة اللغوية المنطقية. تمكنت أن تفوق جميع اللغات التي سبقتها وخاصة نشرت في جميع أنحاء العالم أثمار مدنيتها وثقافتها وقواعد السريانيين القدماء.

ما سبق يظهر لنا أن اللغة الآرامية بعدما امتنجت فيها جميع اللغات السريانية القديمة، البابلية والآثرية والكنعانية والفينيقية وكملت نوافصها في القواعد الخاصة باللهجة كما أصبحت لغة عالمية امتدت أصولها إلى الحدود الغربية لأفريقيا وشرقي آسيا، وخاصة كانت معززة لدى ملوك فارس، وكانوا يتكلمون بها في زمن حكمهم على شعوب كثيرة مختلفة ولغات متعددة كانت ضمن مملكتهم العظيمة ولهذا السبب تُركت اللغة الخاصة لمملكة البرθين والساسانيين حتى أوائل الجيل السابع بعد الميلاد، ودامت اللغة الآرامية في جميع أرض بين النهرين وسوريا وفلسطين حتى ظهور اللغة العربية في الجيل السابع بعد الميلاد.

وهكذا تمكنت اللغة الآرامية أن تبقى حية مدة طويلة إلى ما بعد سقوط الحكم وزواله من يد السريانيين إلى الجيلين التاسع والعشر بعد الميلاد.

وهكذا قبل مجيء السيد المسيح كانت اللغة الآرامية قد وحدت جميع أوصي الأمم السريانيين. وعند مجيء اليونان بزعامة الإسكندر المقدوني في أواخر الجيل الرابع قبل الميلاد كانت اللغة الآرامية واحدة لدى جميع السريانيين وكلهم يتكلمون بها، ومن حيث لم يكن حدود طبيعية وقوية لبلاد السريانيين، التزموا أن يكونوا خاصتين أي مجموعتين أو قسمين ليكونوا حذرين وأقوىاء في حكمهم، ولذلك نشروا لغتهم ليتمكنوا من مساعدة بعضهم ولو لا ذلك لكانوا قد هلكوا ولذا فكروا أن يكونوا قسمين، إذا هلك قسم بقي الآخر، وهكذا كان هذا الأمر نوعاً من قوتهم وعظمتهم حكمهم وعليه نشروا لغتهم مع انتشار جيوشهم، وإذا سأله القراء عن أخبار السريانيين في الأجيال

القديمة وسبب عظمة حكمهم وغناهم ومقتنياتهم الدنيوية وتقدمهم تدريجياً بإقامة ثقافتهم ونشرها نجد أن سبب ذلك كله هو امتهانهم للتجارة في البلاد السريانية أي بين النهرين وسوريا وفي بلاد العالم القديم وأسيا، وأفريقيا وأوروبا ومسيرة قوافل التجار في زمن سفرهم وتنقلاتهم بين الشرق والغرب كانت سبباً لكسبهم وغناهم العظيم ونشر مدنيةهم الحقيقة. وأنها كانت أيضاً سبباً لنشر لغتهم الآرامية. ولكي يحافظوا على عظمتهم من حسد الحاسدين كان من الضروري أن يكونوا مقاتلين ومحاربين أقوياء. الجهة الواحدة لجعل بلادهم حرّة وهم أحرار. والجهة الثانية أن يكون لهم الحرية الكاملة في تجارتهم العالمية أي في العالم وتتنقل بين الشرق والغرب دون معارضة أو مضادة. ولهذا السبب وبواسطة هاتين الخاصيتين تغلبوا على جميع ممالك العالم القديم. إذ من جهة ترتيب حكمهم وأن بواسطه قوتهم أو من حيث رواج تجارتهم، ولهذا السبب فإن الآثوريين والبابليين بواسطه حروبيهم وفتحاتهم كانوا يتتصرون. أما الآراميون فبواسطه التجارة أصبحوا معروفين ومحفوظين وهي آلة عامة التجارة إلى اللغة العامة فوق الكل فوق كل اللغات الآرامية الخاصة حتى أصبحت اللغة الآرامية لغة تجارية رئيسية في الأزمنة القديمة، وإن التجار الآراميين كانوا يسيرون وراء الجيوش الآثرية، وإنما كانت تحل تلك العساكر كان البحارة الآراميون أيضاً يقيمون. ويوجد صور للملوك الآثوريين والفاتحين العظام في ألواح مكتوب عليها أخبار الآراميين وتصاويرهم. والكتاب الآراميون كانوا يكتبون كل القضايا والحوادث وأخبار الحروب وما يصادفونه من الأحوال والعوارض وانتصاراتهم.

الآراميون كالكتنانيين كانوا مولعين بجمع الثروة والمال وفي سبب اهتمامهم هذا العظيم في التجارة الزمانية لم يهتموا أو يفكروا بأن

يقيموا لهم ممالك كبيرة كما كان عليه إخوانهم البابليون والآشوريون، سوى أنهم أقاموا لهم دويلات صغيرة والتي بقيت بعد المسيح أيضاً، ومن هذه الدول: مملكة أخرى صغيرة هي مملكة تاموز ولغة هذه الممالك لا بد أنها كانت الآرامية التي منذ الجيل الثامن عشر قبل الميلاد وحتى الجيل الثالث بعد الميلاد، وقد دانت دول كثيرة للآراميين وسقطت في بلاد بين النهرين وسوريا. أما اللغة الآرامية فقد دامت ما يقارب الثلاثة ألف سنة. وفي الجيل التاسع بعد الميلاد ظهرت على اللغة الآرامية علامات الانقراض إذ قل استعمالها بين العامة من الشعب وانحصرت مؤخراً في بعض أماكن خاصة وبقيت على شفاه البعض الذين كانوا يرغبون في اللغة الآرامية كما ذكرنا آنفاً أو كما مر ذكره آنفاً.

من جملة الدول الآرامية الصغيرة التي قامت في الجهة الغربية مملكة تدمر الواقعة في وسط البلاد بين العرب والفينيقين ومن الجهتين كان القوس الخصيب. وتمكنت أن تحافظ على كيانها وحكمها إلى أجيال طويلة وبعدها قامت الدولة النبطية.

غير أن شهرة التدمريين كانت قد وصلت إلى بلاد الهند وفارس وبين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر وأوروبا، وكانت تدمر عاصمة المملكة تقع في الشمالي الشرقي لمدينة درمسوق (الشام) وكانت مركزاً للتجارة منذ عهود قديمة غير معلومة. ومن خلال ثروة التدمريين تمكّنوا من تشييد مبانٍ كبيرة وضخمة وهيأكل فخمة وعظيمة مزينة ومتقدنة البناء وعمارات عجيبة وساحات واسعة وجميلة وأعمال مدهشة يتتعجب الناظر إليها، وكانت مملكة الروم تقدر التدمريين ويحبونهم وكان ملوكهم يقدمون لملوك تدمر الهدايا والعطايا لتمتين

أواصر الصداقة الأخوية بينهم وخاصة في أيام هدريانوس^(*) قيصر ملك الرومان، وهكذا أيضاً كان التدمريون لدى الفرس والغربيين والسبب أن موقع تدمر كان بين هذه الدول وحيث كانت هناك قوى عالمية عظيمة، تمثلت في مملكة الروم ومملكة فارس، وكان التدمريون ملزمين بإظهار المودة والحياد بين الطرفين وللطرفين وحسن التدابير والمعاملات فكان بين التدمريين وهاتين الدولتين فطنة وعداوة.

أما الحكم القديم لدى التدمريين فكان ييد الشعب، ثم تطور الحكم عندهم وأخذ يتبدل قليلاً قليلاً بإقامة ملك عليهم تولى أمور الحكم في الشعب. ثم توصلت مملكة تدمر إلى الدرجة العليا وذروة مجدها الرفيع بين الدول من سنة 130 ق.م. حتى سنة 273 ميلادية وخاصة في زمن أذينة^(**) وزبدي وابنة زبدي المعروفة باسم زنوبيا^(***).

أما اللغة التي كان يتكلّمها التدمريون فكانت الآرامية الغربية اللهجة ولو دخل إليها بعض ألفاظ من اللغة الآرامية الشرقية، ولكنهم حافظوا على لهجتهم الغربية من الآرامية. وقد استعمل التدمريون الأسماء العربية. ووجدت كتابات تدمرية كثيرة تعود إلى الجيل الأول

(*) هدريانوس (أدريانوس): إمبراطور روماني (117 – 138 م) ابن ترايانوس بالتبني وخليفه في الملك. شجع الصناعة والأدب والفنون. أرخ باسمه الكثير من الآثار الرومانية الموجودة في الشرق الأدنى (المراجع).

(**) ملك تدمر وزوج زنوبيا. هزم الفرس على الفرات وتعقبهم حتى عاصمتهم برسوبوليس. أطلق عليه الإمبراطور غاليانوس عام 262 لقب إمبراطور الشرق. اغتيل في حصن عام 268 م (المراجع).

(***) أو الرباء، اسمها بالأرامية: باث زباي، مملكة تدمر، وسعت حدود دولتها حتى آسيا الصغرى. غزا أحد قادتها مصر عام 270 م. ضُربت النقود باسمها. أسرها أورليانوس الروماني فسارت مقيدة بسلسل ذهبية في موكب الإمبراطور في روما عام 274 م (المراجع).

الميلادي وحتى أواخر الجيل الثالث وكانت قد تفرقت في البلاد الأفريقية والرومانية في شرق أوروبا في بلاد المجريين وبريطانيا، وكان الآراميون التدمريون يتبعون أثر الجيوش الرومانية، ولهذا السبب دخل قليل من الألفاظ اليونانية والرومية في لغة التدمريين.

وكانت كتابتهم قريبة من خط الأسطرنجيلي المعروف. وللإطلاع
ندون هنا بعض من الكتابات باللغة التدمرية الآرامية.

حصہ بے ۵۰٪ ایک میونگ میں قائم ہے اور دسائیں ایک میونگ میں قائم ہے۔

١- جذب ملايين (1)

دَعْوَةٌ مُّكَفَّأَةٌ	دَعْوَةٌ مُّكَفَّأَةٌ
حَمَلَهُمْ ٥٥٥٠ دَرَجَاتٍ دُولَتَهُ	حَمَلَهُمْ ٥٥٥٠ دَرَجَاتٍ دُولَتَهُ
كُلُّمَا ٥٥٥٠	كُلُّمَا ٥٥٥٠
لَادِلَهُمْ دَنَّ مَنَّ دَنَّ هَمَبِعَهُ دَنَّ	لَادِلَهُمْ دَنَّ مَنَّ دَنَّ هَمَبِعَهُ دَنَّ
سَبَنْ ٥٥٥٠	سَبَنْ ٥٥٥٠
فَلَسْمَتْ ٥٥٥٠ وَسَمَدَهُ ٥٥٥٥	فَلَسْمَتْ ٥٥٥٠ وَسَمَدَهُ ٥٥٥٥
وَسَلَتْ ٥٥٥٥ لَتَفَوَّهَ	وَسَلَتْ ٥٥٥٥ لَتَفَوَّهَ
فَهَفَمْ بَعْفَوَهُ ٥٥٥٥ (لَعْفَوَهُ)	فَهَفَمْ بَعْفَوَهُ ٥٥٥٥ (لَعْفَوَهُ)
وَبَيْبَدَهُ) لَالْتَهَا حَفَلَهُ وَهُوَ	وَبَيْبَدَهُ) لَالْتَهَا حَفَلَهُ وَهُوَ
(لَامَبِعَهُ رَلَثَعَهُ). لَامَبِعَهُ ٥٥٥٥	(لَامَبِعَهُ رَلَثَعَهُ). لَامَبِعَهُ ٥٥٥٥
حَسَصَهُ مِنَهُمْ عَدَدًا ٤٥٠ (بَسَّتَهُ)	حَسَصَهُ مِنَهُمْ عَدَدًا ٤٥٠ (بَسَّتَهُ)

ترجمتها في العربية: جماعة واحة صنعوا تمثلاً لاعيليمي بن حران بن مقيمو بن حران قرية، وحران والدهم أحب مدحاتهم وخاف آلهتهم ومن حيث أحسن عليهم (سكان المدينة) والآلهة بكل حال، أقاموا تمثلاً لأمرائهم في شهر نيسان سنة 450 يونانية^(*).

من مفهوم هذه الكتابة يظهر لنا أنه لم يكن آنذاك ملك للشعب والحكم كان بيد الرؤساء ومختارى الشعب، والحالة تبين أن الحكم كان آنذاك بيد الشعب لا ملوكياً كما كان عليه الكنعانيون وقريث حدش.
(قرطاجنة)

(٢) هبّادا / سنا و ملبوهه / ه ملبوهه

(ابن سما) ولها بيه وبملبوهه ه ملبوهه احبها ه مفعده د
احبها دعوهه حبها ه مفعده د ه انتهه ه عيناً وبسم دعوهه للارحامه
لجمعهه حبلاً بمفعده د ه حنس ليصي ه د ه سـ ٥٥٥
(ضم سما) ولها ه ملبوهه ه ملبوهه احبها ه مفعده

ه احبها دعوهه حبها ه مفعده د ه انتهه ه ابسنه دعوهه للارحامه
للبيههه ه ه بجههه (محـ ٦٥١) ٨٥٥ . حنس ليصي ه د ه سـ ٥٥٨ (١)

وهذه ترجمتها في العربية:

هذا تمثال يوليوس زبيدا ابن مقيمما ابن زبيدا عشتوريبيدا
أقاموه له تجارة بني مدينة (عبد طبنا) لإحسانه عليهم في شهر نيسان
سنة 558 يونانية^(**):

(*) يقابلها سنة 139 ميلادية (المراجع).

(**) يقابلها سنة 247 ميلادية (المراجع).

١) اعما عدا و ميبلدا سوا حبليس و حبلاً داحتلا و هتاهما.

وهذه كتابة أخرى لستيميوس أديث ملك الملوك يظهر من محتوياتها بعض التبدل الجاري في البلاد، إذ إنه صدر عن شيوخ الشعب وكباره أن يقام لهم ملك تكون بيده الأمور وتدابير الشعب ودام الوضع حتى أقيمت لهم الملك إلى الأيام التي سقطت مملكة تدمر على يد الجيوش الرومانية، وقد مرّ سابقاً أن ملك تدمر الحاكم يُدعى ملك الملوك بشكل خاص. حيث إنه قد امتد حكم تدمر في زمن ما إلى بلاد السريانين، ووصلت فتوحاتهم إلى شمال آسيا الصغرى وإلى حدود مصر في زمن زنوبيا (بنت زبدي) وأن حكمهم هذا لم يدم كثيراً فلم يستحق الذكر بل دام مدة قصيرة لمحاربة الروم لها ودمروا تلك العظمة.

وكتابه أخرى من تدمير هذا نصها بالتدمرية والسريانية.

(3) يَاهُوَهُ وَإِلْيَاهُ مَسَأَ / مَنَا لَوْدَهُمْ

وهذا ترجمتها بالعربية:

تمثال سنتيميوس أذينة ملك الملوك وبيانى جميع هذه المدينة سنتيميا زبیدا القائد العظيم وغلب جيوش تدمر التي أقام سيدهم في شهر آب سنة 582 يونانية^(*).

بعد وفاة أذينة جلست على كرسي المملكة في تدمر زوجته بنت زبیدي التي تعرف باسم زنوبية، وكان يقوم بمساعدتها ولدها عبد اللات. ففكرت بأن تنزع عنها نير مملكة الروم، ولهذا السبب جمعت زنوبية جيشاً عظيماً وقوياً وكثير العدد، وسارت إلى جميع بلاد سوريا وفتحتها فأصبحت كما كانت عليه سابقاً. فخاف الرومان من فتوحاتها فأرسلوا مرقوس أوريليوس قيسار نفسه لمحاربتها، وبعد قتال وحروب قاسية وصعبة بالقرب من مدينة حمص انكسرت الجيوش التدمرية فلجلأت زنوبية إلى الفرار من أمام أوريليوس فطاردها حتى مدينة تدمر؛ وبعد حصار شديد وطويل سقطت المدينة فاحتلتها وخرابها وأخذ زنوبية أسيرة إلى روما، وماتت هناك. وهكذا في سنة 272 بعد الميلاد سقطت تدمر كما سقطت قبلها أخواتها بابل ومدينة نينوى، وكان سكان تدمر قد أقاموا تمثلاً للملكة زنوبية قبل موتها وكتبوا عليه هذه الكلمات باللغة التدمرية:

لعن عجهة مسا	(4) لعن ابا مينا
لعن عجهه بعضا حنا احبا وبننا اه بعدها مدلهه بعضا احبا وبننا قد سللا ودا احبا ود سللا باود جهه اه مدن من لصمهه اه بعده دعمناهه احاد شهنا بعنه 584 يوم شتا.	لعن عجهه بعضا حنا احبا وبننا اه بعدها مدلهه بعضا احبا قد سللا ودا احبا ود سللا وبها اه مدن من لصمهه اه بعده دعمناهه احاد شهنا بعنه 584 يوم شتا.

(*) يقابلها سنة 271 ميلادية (المراجع).

وبالعربية هذه ترجمتها:

تمثال ستيتيميا بنت زبدي العاقلة والصالحة ملكة ستيتيميا زبدي
قائد قوات الكبير وزبي قائدة قوات تدمر أقاموا لسيدتهم في شهر آب
سنة 584 يونانية^(*).

بعد خراب تدمر انقرضت منها اللغة الآرامية من حيث إن
التدمريين بدأوا يختلطون مع العرب حتى استعربوا جميعهم.

عند موته زنوبية ملكة تدمر الآرامية ماتت معها جميع الأفكار
والرغبات والأعمال المشكورة للسريانين من زمن شميرام الملكة
العظيمة لآثر وبابل، والكتب التاريخية للسريانين كانت تبني
وتعرف بأنه لم يقم بين نساء العالم اللواتي أخذن الشهرة والعظمة
والانتصارات والمجد مثل الملكة شميرام والملكة زنوبية. وقد كتب
اليونان والرومان كثيراً عن هاتين الملكتين السريانيتين اللتين قاما في
زمن الوثنية حتى أصبحت قصصهن أساطير خيالية.

قبل أن ننهي كلمتنا عن اللغة الآرامية الغربية، لنا أن نتكلم عن
الآراميين النبطيين الذين يسكنون في شبه جزيرة سيناء ويمتدون حتى
الأردن من حيث إن هؤلاء النبطيين أيضاً كانوا يتكلّمون باللغة الآرامية
مثل التدمريين، وكانوا يشبهون إخوانهم التدمريين في أكثر الأشكال.
وكانت مدينة مملكتهم (العاصمة) تدعى مدينة سلع ودعّيت فيطرة^(**)

(*) يقابلها سنة 273 ميلادية (المراجع).

(**) أو البتراء (سلع) موضع في الأردن، كان عاصمة الدولة النبطية (القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي). يُنذر إليه من مدخل جبلي مرتفع وضيق يدعى الشق. ازدهرت بفضل موقعها على طرق القوافل بين الجزيره العربيه والشواطئ السوريه. احتلتها تراجان الروماني عام 106 ميلادية. ثم أصبحت مركز أسقفية مسيحية حتى الفتح الإسلامي، وقعت في أيدي الصليبيين عام 1100 م. من آثارها الخزنة والقصر والدير والمسلاط والقبور. اكتشفها بوركهارتات سنة 1812 م (المراجع).

(الحجر) من قبل اليونان لأن أكثر دورها وبيوت سكناها كانت مقورة في صخر الجبل ومن الصعب الاستيلاء عليها.

مع أن النبطيين أيضاً كانوا متسطلين على الطرق الرئيسية التجارية الواقعة بين آسيا وأفريقيا، وكانوا قبل ذلك بزمن غير يسير قد امتدوا إلى عرب فونيقي ودرمسوق والبلاد أخرى التي على شواطئ نهر الفرات الكبير من الجهة الشرقية. وفتح النبطيون (أجزاء من) بلاد العرب واستولوا على كل (أجزاء من) الجهة الشرقية في الجزيرة، ولكن أخبارهم قبل الجيلين الرابع والخامس قبل الميلاد ما زالت مجهلة لا يعلم بها أحد حتى الآن، وقد جاء ذكرهم في كتابات اليونان في حوادث سنة 312 ق.م. عندما حاربوا جيوش ديودور اليوناني بعشرة آلاف نبطي. ولما قويت شوكة النبطيين وكثروا في الأجيال الأخيرة قبل الميلاد، حاربت عساكرهم مع شعوب كثيرة من الذين حولهم كالعرب والبرانين وغيرهم وتوصّلوا في فتوحاتهم إلى بلاد الفرثين في الشرق، والروم في الغرب.

أما القضية التي ضايقتهم فهي الحروب التي شنت عليهم في زمن طرايانوس، وبعد أن سقطت مملكتهم تحت ضغط وضيق شديدين من قبل الروم سقطت أيضاً عظمتهم سنة 104 ق.م. ومنذ ذلك الحين ضعفت قوة النبطيين واضطروا أن يتلقوا مع الرومان لكي يحافظوا ولو قليلاً على حريثهم العامة إلى سنة 106 ميلادية.

غير أنها إلى الآن لا نعرف من أين جاء النبطيون وسكنوا في جزيرة سيناء غير أنه من المعروف لدينا بأن لهم كتابات آرامية تشبه الكتابات التدمرية وعرفت باسم الكتابة النبطية، ومن هذه الكتابة (يعتقد أنه)

خرجت الكتابة العربية، وأحسن الأزمنة التي عاشهها النبطيون كانت في أيام الحارث الذي وصل بفتحاته حتى بلاد الشام، وأخيراً لما ضعف النبطيون وفقدوا حريتهم هم أيضاً مثل الآراميين التدمريين، فإنهم تركوا أيضاً اسمهم وكتيتم السريانية واختلطوا بالقبائل العربية حتى أصبحوا كلهم عرباً تماماً.

ووُجِدَت كِتَاباتٌ كَثِيرَةٌ لِلنَّبَطِيِّينَ فِي الْحِجَازِ وَفِي طُورِ سِينَاءِ وَفِي
مِدِينَةِ بَصْرَى الشَّامِ الَّتِي كَانَتْ إِحْدَى مَدِينَهُمُ الْكَبِيرَةِ. وَلِلْمَقَارَنَةِ نَدَوْنَ
هُنَا بَعْضُ الْكِتَابَاتِ النَّبَطِيَّةِ الْأَرَامِيَّةِ الْأُولَى:

أولها كتابة "أب ابن مقيما" التي كتبت حوالي السنة التاسعة بعد الميلاد في النواحي الشمالية من بلاد العرب وهذا نصها باللغة النبطية وشرحها بالسريانية:

وهذه ترجمتها باللغة العربية:

هذا تمثال أبي قبر "أب ابن مقىما ابن مقىما" الإله الذي بني له أبوه في شهر أيلول السنة الأخيرة لملك النبطيين.

وكتابه نبطية أخرى وجدت بأم جمال في الأردن، وهذا نصها

باللغة النبطية وشرحها بالسريانية:

لَا هُوَ سَمِيعٌ	لَا احْتِفَأُ
لَا هُوَ مُهْمَدٌ لَا هُوَ مُلْكٌ لَا هُوَ مُلْعَنٌ	لَا هُوَ يَقْرَأُ لَا هُوَ دَهْرٌ لَا هُوَ مَلْكٌ

وتحت جمتها بالعربية:

"هذا هو قبر فهرا بن شللا حربي كديمث ملك تنوخ". إن المدينة المسماة أم جمال حيث وجدت هذه الكتابة تقع في الأردن، وكانت تابعة لبلاد حوران المدينة النبطية الفخمة، وفي زمن الفتوحات العربية خربت المدينة ووُقعت من رفعتها وأقام العرب فيها ما أرادواه.

من الكتابات النبطية الأخرى التي بقيت حتى أيامنا هذه الكتابة التالية التي تبيّن كيف أن الآراميين النبطيين بدّلوا لغتهم تدريجياً إلى اللغة العربية وهي كتابة "معبرا ابن عقرب" وجدت في حلقت من أعمال حوران. ويوجد من النبطيين من كتبوا قضاياهم بالعربية، ولهذا أخطأ الكثيرون من الكتاب والمؤرخين العرب والمستشرقين الأوروبيين وجعلوا النبطيين عرباً بالجنس، وهذا ليس صواباً وحقيقة لأن الحقيقة ظهرت لدى استعراب فئة من النبطيين الآراميين وكتبوا كتاباتهم بالخط النبطي إلا أنه باللغة العربية، وبذا ترك جميع النبطيين جنسيتهم الآرامية وأصبحوا عرباً فكتبوا بالعربية وافترقوا عن الآرامية إلى أيامنا هذه وأصبحوا جزءاً من الأمة العربية، ولكن قبل أن يستعرب الآراميون بالجنس واللغة.

كتابة معبرا بن عقرب:

فلمبجا، مدبوا ده حفظ

مِنْهَا	لَهُمَا
أُولَئِكَ هُنَّ حِلٌّ لِّيَوْمٍ يَوْمًا يَوْمًا مُّدَدًا مُّدَدًا	إِنَّمَا سَعْيَهُمْ بِمَنْهَا كُلُّهُ مُغْنِيٌّ بِهِ
مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ	كُلُّهُ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ
مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ	مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ مُغْنِيٌّ بِهِ

وهذه ترجمتها باللغة العربية:

هذا المذبح لنورا، صنعته معبرا برعقوب في بيته أسوأ إله الإلهة
في السنة السابعة لهدرينبوس قيصر.

وكتابه أخرى وجدت في أم جمال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صورة	نحو
أنا مصري، أنا بحبر، أنا بحبر، أنا بحبر لحلال مصر (لله مصر) لله مصر حمله... لعلهم يستمعوا بمحاجة.	إذا مصري، إذا بحبر، إذا بحبر، إذا بحبر لحلال مصر لله مصر حمله... لعلهم يستمعوا بمحاجة.

وهذه ترجمتها باللغة العربية:

هذا مسجد عبد عبيد بن اطيق لبعل شمان (آله السماء) إله متناسبة.... لملك ملوك النطيرين:

وأخيراً إذا قارن القارئ هذه الكتابة ظهر له جلياً اتحاد النبطين مع العرب.

وهذه كتابة أخرى:

وَهَذِهِ تَرْحِيمَتُهَا بِالعُرْبَةِ:

هذا دار (بيت) أمي وطاقاته بناها تيما بن لدرشدا وبقية الإلهة البصريين.

بعد أن تكلّمنا قليلاً وباختصار عن اللغات الآرامية الغربية نرجع الآن إلى اللغة الآرامية الشرقية ليميّز القارئ ويعملومات عامة عن اللغة الآرامية في أزمنة الوثنية.

إن اللغة الغربية التي بينا قسمًا منها ليست كلها آرامية الذين ظهروا في الأجيال والأزمنة القديمة الكثيرة. فقد ذكرنا التي عرفت أكثر من غيرها والتي ترك لنا أصحابها كتابات بها، وحتى الآن لم نجد من كتاباتهم ولم نكتشف تلك الكتابات كلها والتي تركوها لنا تحت أنقاض المدن الخربة والقرى والقصور والمقصورات التي بناها ووصفها السريان، فعندما نكتشف ذلك حينئذ تكمل وظهور الحقيقة للناس عن ماهية اللغة الآرامية الكبيرة التي خدمت البشرية بالثقافة والمدنية (الحضارة).

إن اللغة الآرامية الشرقية كان يتكلّم بها الأكثريّة من سكان بلاد النهرين، من الحدود الشماليّة إلى الحدود الجنوبيّة، وأضف إليها بلاد فارس، ولكن متى باشرت اللغة تنتشر بهذه البلاد، في الحقيقة لا يعلم أحد ذلك ولم يتوصّل إليه، لأنّه منذ الأجيال الأولى كانت اللغة الآرامية الشرقيّة منتشرة وثابتة الأسس في بلاد بابل وأثير، لأنّ الملوك والشعوب كانوا يتكلّمون فيها، ولكن كتاباتهم كانت باللغة القديمة لبابل وأثير وكانوا يستعملونها للكتابة فقط ولهذا السبب لم يبق من الكتابات باللغة الآرامية إلا القليل وكذلك لم تبق في العالم بسبب السيي البابلي للعُبريين، ومن تلك الكتب كتاب التلمود البابلي وهو ترجمة للترجمة من اللغة العبرانية القديمة. وفي هذا الكتاب أظهر اليهود ويبيّنوا جميع الخواص الإنسانية والتفسير الموجودة في تلك الأزمنة. وقد كتبوا بالتفصيل عن التعليم والدين والتأديب... إلخ. والأمور الخاصة بتعاليمهم في تلك الأزمنة، وهذا الكتاب "التلمود البابلي" هو الحجّة الكبرى الذي أثبت اليهود بها ديانتهم في جميع الأجيال التي أعقبت الديانة المسيحيّة ومنعتهم من اعتناقهم لها، وكان مانعاً قوياً مقابل المعتقد الجديد وبين اليهودية وفيها أي من اللغة الآرامية الشرقية.

كتب الصابئة كتبهم بالأّرامية وكانوا يعرّفون باسم المسيحيين المدعين المندائيّين. وهم في ديانتهم خلطوا ومزجوا اليهودية والمسيحيّة وكذلك لم يكن لهم تأليف يستحق الذكر ولكن ذلك يظهر أن لغتهم آرامية وأكثر شبهها بالأّرامية وليس فيها أي مزج من ألفاظ اللغات الغربيّة. والأخص أنها لم يختلط فيها شيئاً من اللغة اليونانيّة والروميّة وأنّ لغة هذا الشعب أكثر تشابهاً بالأّرامية القديمة

من جميع اللغات الآرامية الحديثة الباقية، ولا بد أن هؤلاء المدعين هم من تبعة الإيمان الذي كان يكرس فيه يوحنا المعمدان الذي كرس بالمعمودية والتوبة وكانوا يدعونهم سابقاً (بالأنقياء)، وكانتوا يعتقدون أن يوحنا بن زكريا هو المسيح المخلص وكان اسم نهر الأردن مقدساً عندهم. ويؤمنون بالاغتسال والمعمودية. واعتقاد الشعوب السريانية بالاغتسال والمعمودية قديم جداً منذ زمن البابليين والآثوريين القدماء ولهذا دخلت في معتقدات العبرانيين وشريعتهم ورتبتهم الدينية في زمن الجلاء البابلي بسبب اختلاطهم بالشعوب السريانية في بين النهرين ومنهم أيضاً وصلت إلى المسيحيين. وكان لهذا الشعب أيضاً عوائد أخرى كالامتناع من أكل اللحم ومحبوب عندهم الامتناع عن الزواج وحفظ البتوالية. إن المعمودية كانت معروفة لديهم وأن رؤساء ديانتهم كانوا يسكنون شواطئ الأردن وبالقرب من سواحل البحر المالح. والتابعون لهم (أمتهم) كانوا يسكنون بأكثرتهم في جميع البلاد الغربية من الأنهار كالشام وبابل. لما خرب الرومان أورشليم خربوا جميع أماكنهم، ولم يبق من أماكنهم سوى التي في بين النهرين، ولما ظهرت المسيحية في سوريا وفلسطين اعتنقوها ولم يتأثروا بمعتقداتهم (ديانتهم) ولم يبق سوى سكان بين النهرين على ديانتهم وإلى اليوم يؤمنون بأن يوحنا هو المسيح المنتظر، ولكن فقدت من بينهم اللغة الآرامية ولم يبق سوى كتبهم المكتوبة باللغة الآرامية الشرقية.



أما في الجهة الشمالية لبلاد بين النهرين فمنذ آلاف السنين ومن أجيال سحيبة لا تُعرف، عرفت اللغة الآرامية الشرقية كلغة، لعامة بلاد. من حدود آسيا الصغرى حتى بلاد فارس، وفي القسم الشمالي لبلاد السريان أعطت اللغة الآرامية ثماراً صالحة وثقافة إنسانية بالمعارف

والعلوم والأداب الدينية، وكانت هذه المدنية الآرامية بانتشارها العظيم في مدينة الرها وفي حران مع البلاد المحيطة بها، وفيها اجتمعت ثمار الحكمة اليونانية في الغرب مع ثمار الحكمة السريانية وظهرت بشباب المجد آنذاك اللغة الآرامية بالكمال الواجب وفازت على جميع الأداب الموجودة وثقافة العالم القديم، وهنا لمع النور المضيء في المدنية والديانة العالمية، ومن الديانة القديمة للأراميين في زمن وثنيتهم، وقد ولدت الديانات الكبرى في العالم كما انتشرت في بابل وأيضاً في نينوى لمحبتهم في العلوم، وهكذا أيضاً في حران والرها اللتين وصلتا الدرجة الكبرى للعظمة والافتخار والعلوم والمعارف، وفي حران والرها قد كملت اللغة الشرقية، وحيثئذ فاقت على جميع البلاد الذين يتكلمون اللغة الآرامية وانتشرت لهجتها حتى فاقت بالغلبة على جميع اللغات الأخرى، وسميت الرها أوديسة بواسطة اليونان باسم أم الملك سلوقيس نيقاطور سنة 312 - 280 ق.م. وبعض المؤرخين القدماء كانوا يظنون بأن الرها (أورهي) سميت على اسم أورهي ابن حوبا أحد ملوك الآراميين السريان. وقد ذكرت الرها في الكتابات المسماوية الآثرية باسم رواوا وتُعرف الآن باسم أورفي (أورفة).

إن ما يستحق الذكر هنا أولاً أن الشعوب التي تتكلم الآرامية سميت باسم السريانيين. واليونان من دون تمييز أطلقوا اسم السريانيين على جميع الأمم والدول القديمة من الكلدانيين والبابليين والآثرىين والكنعانيين والفينيقيين والأراميين باسم واحد عام والاسم أخذ من اسم آشور بسبب العظمة والفاخر الذي كان للمدعويين بهذا الاسم أكثر من الأسماء والصفات الأخرى للأمة وبسبب قرب جميع الشعوب السريانيين لبعضهم البعض، إذ كان صعباً على اليونان التمييز بين تلك الشعوب المختلفة الكثيرة، ولهذا السبب من دون تمييز أو تفرقة أعطوا

الاسم للجميع ودعوهم آسوريين. وبقي هذا الاسم مستخدماً لكل جنس وشعب من دون تفرقة حتى ظهور البشارة بالديانة المسيحية، إذ كانت هذه الديانة قد انتشرت بينهم واعتنقوا المسيحية الديانة الجديدة. ولكي يُميّزوا عن إخوتهم (الوثنيين) وضعوا اسم الآراميين وجعلوه خاصاً بالذين بقيوا على وثنيتهم وأعطوا للذين اعتنقاً المسيحية اسم سريان أو سورايايا المشتق من آسorين المنسوبة إلى اسم آشور. وهكذا سميّ الآراميون باسم جديد سورايايا، لكي يعرفوا أنهم مسيحيون. كان صواباً أن جعلوا اسم سورايايا للذين آمنوا بالمسيح، وأن اسم السرياني ليس لشعب وجنس واحد فقط إلا أنه أيضاً للغة الآرامية، علماً أنه حدث هذا الاختلاف الأسمى أي على اللغة الآرامية، وقد سميت اللغة السريانية بهذا الاسم الجديد للأمة التي أصبحت مسيحية.

إن الكتب التاريخية القديمة تذكر بأنه لم يطرأ أي تبدل منذ سقوط بابل بيد الفرس، فقد حافظ السريانيون على ممالكهم الصغيرة الكثيرة المنتشرة في البلاد الخاصة بهم، ولما انقسم العالم إلى معمكريين عظيمين الفرس واليونان وأيضاً الفرثين والرومانيين. فقد كانت الشعوب السريانية بالنسبة إليهم محترمة ومكرمة وحرّة في هذه الممالك (الدوليات) السريانية. ففي الجهة الجنوبية كانت ممالك النبطيين والتدمريين، وهكذا أيضاً كانت في الشمال مملكة الراها وحدياب^(*) مع ممالك أخرى صغيرة في بين النهرين.

كان سكان مملكة الراها يتكلمون اللغة الآرامية الشرقية منذ أجيال كثيرة، ولكن كانت مملكة الراها صغيرة لكنها كانت باللغة

(*) هي منطقة بين الزابين ودجلة بها يسمى اليوم محافظة أربيل شمال العراق، شرق الموصل (المراجع).

والمدنية والعلم قد حققت عظمتها العجيبة، وتمكنت أن تديم لغتها الآرامية الحسنة عند الشعوب السريانية، بعد أن كملت وحسنت واستحقت أن تكون لغة كبيرة للمسيحيين في كل الشرق. وهكذا تركت جميع اللغات التي للشعوب السريانيين وانحصرت في لغة السريان الراهاوين، وهكذا أصبحت اللغة السريانية كاملة في كل تراكيبيها وخواصها حتى أصبحت لغة واسعة جداً وكاملة وواسعة بالمرادفات والمعاني والكتابة.

خلاصة الكلام أنه منذ القدم كانت الممالك السريانية وأول فاتحة كانت الممالك الكبيرة مثل مملكة بابل وآشور، والأكثر أن ممالك صغيرة كانت منتشرة في كل قطر ومكان ثم تلتها الممالك الآرامية قبل الجيل الخامس عشر ق.م. وهكذا أيضاً الاسم الآرامي كان معروفاً منذ القدم مع الاسم الآشوري. وكان الشعب الآرامي متفرقاً ومتنتشرًا في كل الأقطار الشرقية. والأكثرية في بلاد كنعان وفونيقى وسوريا وبين الهررين وببلاد فارس، وقوافل الآراميين كانت تتجوّل دائمًا وبدون انقطاع في بلاد فارس وأسيا الصغرى وجزيرة العرب قبل الأجيال التي ذكرناها سابقاً وقبل خروج إبراهيم من أور الكلدانيين وذهابه إلى حرّان عندما عبر النهر الكبير. وفي زمن انشغال الأثوريين بحروبهم مع الحثّيين، انتهز الآراميون الفرصة وأقاموا دويلاتهم الصغيرة. وعرفت باسم آرام نهرين ثم أقاموا لهم دولة أخرى في سوريا وكانت تمتّد من حدود حلب حتى جبل طوروس وعرفت باسم شمال (اسم أيل: شمال) والآن تقول مكانها مدينة زنجرلي. وفي الجيل العاشر قويت يد الآراميين كثيراً واستولوا على جميع البلاد المجاورة لهم وامتدّ حكمهم إلى الشام (درمسوق) حيث تأسست دولة بني هدد ملوك

الآراميين؛ هؤلاء الذين اشتهروا في حروبهم الكثيرة مع العبرانيين، حتى تمكّنوا من الاستيلاء تماماً على المنطقة المحيطة بهم، وتمكنوا أن يحصلوا على التجارة والثروة في العالم القديم. ولما عادت قوة الآثوريين من جديد في زمن مملكتهم الثانية، تمكّنوا من القضاء كلياً على مملكة الحثّيين الكبرى. ثم وجّهوا أنظارهم نحو الآراميين كي يخلّصوا مدنهم من الدمار. وفي مدة قصيرة دخلت القبائل الآرامية جميعها تحت نير الآثوريين. فسبوا ونهبوا كثيراً من أماكن الآراميين وببلادهم. وبواسطة هذه الانقلابات انتشرت اللغة الآرامية أكثر في البلاد، وأخذت مكان جميع اللغات السريانية القديمة التي سبق ومررت وعُرف هذا العمل باسم السبي الآثوري، وإن تبدّد و تفرّق الآراميون على وجه الأرض انتشرت بهذه العملية لغتهم بين الشعوب المجاورة لهم وكتابتها. ويسبب مهارة الآراميين تمكّنوا من الحصول على المراتب العالية جميعها. فكانوا محبوبيـن لدى ملوك بابل وآشور. وانتشرت لغتهم بأعجوبة لا عند السوريان سكان بين النهرين فقط بل حتى بين الشعوب الغريبة مثل الفرس والمصريين وغيرهم. ووجدت صورهم مع صور الآثوريـين في أزمنة سرجون الثاني وسـنحاريب وأسرحدون وفي أسماء الأسفار (الكتب) الآرامية وتجارهم الذين وجدوا مع ملوك آشور الذين يأخذونها من الآراميين، حافظـي الأسرار (كاتـمي الأسرار) والكتـاب والمؤـلفين في آشور قبل سقوط نينوى. فكانت اللغة الآرامية لغة البلاد الداخلية. وهكـذا أيضاً في بـابل ولـما قدم الفرس واستولوا على بلاد السوريـانيـن سنة 538 قـ.م. وجدـوا اللغة الآرامـية دارـجة في كلـ الشـرق ليس فقط بينـ السـريـانيـين وحـدهـمـ، بلـ عند رؤـساء فـارـس ولـبسـاطـةـ الحـكمـ وـتـدـبـيرـ الـبـلـادـ التـزمـواـ أـنـ يـتـكـلـمـواـ بـهـاـ

كأنها لغة البلاد بل وتمسّكوا بها بقوة، إذ كانت لغة السريانيين كحزام قوي يضبط جميع أجزاء مملكة الفرس الكبرى الممتدّة من الهند حتى بلاد مصر.

في أواخر الجيل الرابع قبل الميلاد وقعت حروب وقتل وقتل وقتل قاسية بين الفرس واليونان وتبدّلت لغة البلاد الآرامية بانتقال أغلب السكان إلى إقليم دارا، وحيث إن تلك الفتنة والحروب طالت مدتها فقد خربت بلاد الآراميين. وهكذا فإن تلك البلاد وما يحيط بها من بلاد تعرضت لتلك الفتنة والقلائل والمنازعات ولأخطار وضيق فخرّبت البلاد وتعدّبت مدة ألف سنة منذ سنة 333 ق.م. حتى سنة 622 ب.م. أي إلى قدوم العرب الساميين. وفي كل هذه الأجيال الطويلة بقي الشعب السرياني ورثت الحضارة الآثرية البابلية والكنعانية والفينيقية والأرامية والكلدانية والفرس واليونان والرومان، الحالة التي أعطيت لهم مجاناً، حتى إنهم تثقّفوا وتسلّطوا من خلال العلوم والمعارف. وبواسطة هذا كلّه اكتسبت اللغة الآرامية العظمة. وبمحاجة بساطتها وبساطة الأحرف الهجائية تمكّنت أن تتغلّب على جميع اللغات والكتابات القديمة، وحلّت اللغة الآرامية في محلها. وكما قدم الآثوريون والبابليون القراءة والكتابة، هكذا أيضاً قدم السريانيون كتاباً ماهرين للفرس والعرب.

في زمن الفرس والفرثين كانت لغة السريانيين لغة رئيسية لجميع أنحاء العالم الخارجي الممتد من فارس إلى البحر المتوسط وغربي أفريقيا. كما كانت اللغة العربية لدى جميع الشعوب من دون امتياز ومنذ ذلك الزمان عرفت اللغة بشهادة عامة للعالم القديم. (انظر سفر الملوك الثاني 18:26 وسفر شعيا 36:11) وبواسطة مرور

الأزمنة المختلفة الطابع للحياة الإنسانية والتدابير لممالك وأمم العالم انقسمت اللغة الآرامية إلى جزئين رئيسيين. الأول شرقي والآخر غربي والتي سبق وتكلمنا عنها سابقاً باختصار. وفي الفصل التالي لنا كلام عن اللغة الرئيسية للجزء الثاني الشرقي الذي هو اللغة السريانية الراهوية التي فازت بالشهرة الرئيسية بمدة وجيبة على جميع اللهجات الأخرى.

قبل أن ندخل بالكلام عن اللغة الراهوية، لنا أن نتكلم بالاختصار مع القارئ ليتبين له أجزاء اللغة الآرامية الشرقية ف بهذه اللغة كان الآراميون الذين في بلاد فارس وما بين النهرين الداخلية، والأراميون اليهود في بابل والمسيحيون المندائيون المعروفون بالصائبة يستعملونها. أما الآرامية الغربية فقد كانت تستعملها الدولة الشمالية والأراميون في الشام والتدمريون والأنباط ويهود أورشليم والجليل والسamarيون.

في السنوات الأخيرة وجدت كتابات كثيرة في اللغة الآرامية التي كانت في زمن الوثنية، في خربات مدينة رنجبيرلي بالقرب من عين طب شمالي حلب. وكتابات أخرى وجدت مكتوبة في صخرة في كهف وفي المقابر والمغارات بالقرب من حلب أيضاً وأخرى في نجد وأخرى في الجزيرة العربية وأكثر هذه الكتابات تعبر عن الجيل الخامس قبل الميلاد. أما الكتابة الأكثر أهمية والتي تستحق الذكر هي التي كتبت بأمر الملك دارا الأول حوالي سنة 410 قبل الميلاد. وكانت قد كتبت على صخرة في جبل عالٍ يقع في الطريق بين بابل وهمدان في بلاد تدعى بالفارسية بهستان. وحفر الصخرة بثلاث لغات معروفة بالفارسية والبابلية والعيلامية، وفيها يذكر الملك دارا الكبير

أخبار جميع فتوحاته وغزواته وحروبها ليطلع عليها الناس في الأزمنة المستقبلية. ولكي ينشر أخبار انتصاراته في كل العالم. فأمر أيضاً أن تترجم الكتابة باللغة الآرامية الشرقية، وترسل نسخ منها إلى جميع الأقطار ضمن مملكة فارس.

ووُجِدَت إحدى هذه النسخ الآرامية في مدينة أسوان من أعمال مصر. ووُجِدَت كتابات أخرى باللغة الآرامية لكتاب ومؤلفين من اليهود في الجيل الخامس قبل الميلاد، متضمنةً في ما يقارب الثمانين مخطوطه وسجلات مختلفة أيضاً باللغة الآرامية في بلاد مصر أكثرها مكتوبة في زمن الوثنية ومنها الرسائل وكانت خاصةً بالزواج والتجارة وأخبار أخرى مختلفة أخصها قصة أحياقار الحكيم كاتم أسرار الملك سنحاريب الآثوري.

أما كتاب أسفار التوراة القديمة فتعود إلى الجيل الخامس مثل سفر عزرا وDaniyal. فقد كتبت أيضاً باللغة الآرامية. وهذا ما يدلّ على أن اللغة الآرامية كانت تستعمل حتى لدى اليهود. أما لدى الفرس وأجيالهم فقد كانوا قد جعلوا اللغة الآرامية مقدسة وخاصة بدياناتهم حيث كانت أيضاً منذ زمن قديم لدى السامريين، وأناس كانوا يسمون اللغة الآرامية التي كتب فيها الكتب المقدسة باسم الكلدانين وذلك بزمن المملكة الثانية البابلية الكلدانية.

في أواخر الجيل الرابع، وبعد مجيء الإسكندر بدأ الانقسامات المهمة الكبيرة في اللغة الآرامية الشرقية والغربية أيضاً كما ذكرنا ذلك آنفًا، وحتى أيامنا نجد أن اللغة الآرامية تستعمل في بلاد بين النهرين من النوعين الشرقي والغربي. وتتكلّم باللهجة الشرقية القرى القرية

من مدينة الموصل وقرب خربات نينوى وبلاد آذربيجان ووان وأورميا أي بلسان السريان النسطوريين الكلدائيين، والسريان اليعاقبة في الموصل وضواحيها والسريان الباباويين المعروفين بالسريان الجدد (الكاثوليك) وهكذا كان أناس قد اجتهدوا وكتبوا الكتاب المقدس بلغة هؤلاء السريان فتركـت واستعملـت في اللهـجة الغـربية والعـامية الشرقيـة.

أما القسم الغربي من اللغة الآرامية فيتكلـم بها الملـكيـون السـاكـنـون في قـرـى مـعـلـولا وـعـيـنـ تـيـنـا وـالـصـوـرـيـون وـبـالـقـرـبـ منـ مدـيـنـةـ الشـامـ وـحتـىـ إنـ اللـغـةـ الآـرـامـيـةـ دـامـتـ حـتـىـ أـيـامـناـ. إـلاـ أـنـهـ أـيـضاـ لمـ تـكـنـ خـالـيـةـ منـ لـهـجـاتـ غـرـبيـةـ حـيـثـ إـنـهـ قدـ اـخـتـلـطـتـ بـهـاـ لـهـجـاتـ عـرـبـيـةـ وـتـرـكـيـةـ وـقـلـيلـ منـ الفـرـنـسـيـةـ فـيـ زـمـنـاـ هـذـاـ.

لغة الآراميين الأخرى الغربية الذي لم نكتب عنها شيئاً هي لغة طور عابدين التي يتكلـم بها السـريـانـ المـعـرـوفـونـ بـمـسـتـقـيمـيـ الإـيمـانـ فيـ جـبـالـ آـثـورـ وـالـجـزـيرـةـ فـيـ شـمـالـ سـورـيـاـ الـحـدـيـثـةـ وـهـمـ منـ سـرـيـانـ الجـبـالـ المتـفـرـقـينـ فـيـ الجـبـالـ وـفـيـ فـلـسـطـيـنـ وـالـأـرـدـنـ، وـفـيـ أـمـيـرـكـاـ الشـمـالـيـةـ وـالـجـنـوـيـةـ وـتـرـعـفـ اللـغـةـ الآـرـامـيـةـ الجـبـلـيـةـ بـخـواـصـ غـيرـ مـعـرـوفـةـ لـدـيـنـاـ فـيـ اللـغـاتـ الآـرـامـيـةـ الـقـدـيمـةـ. وـمـنـ هـذـهـ خـواـصـ لـاـ بدـ أـنـ تـكـمـلـ إـحدـىـ النـوـاقـصـ الـمـوـجـودـةـ حـتـىـ الـآنـ بـالـلـغـةـ السـرـيـانـيـةـ الـكـتـابـيـةـ. وـمـنـ خـواـصـ اللـغـةـ الآـرـامـيـةـ فـيـ طـورـ عـابـدـيـنـ يـوـجـدـ أـحـرـفـ لـلـمـعـرـفـةـ مـثـلـ (ـاـلـ)ـ فـيـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـحـرـوفـ أـخـرىـ، تـضـافـ إـلـىـ الـكـلـمـةـ، وـإـلـيـكـ أـمـثـلـةـ عـنـهـاـ:

أولاً: أحـرـفـ لـلـمـعـرـفـةـ يـقـالـ بـمـوـجـبـ الـكـتـابـ وـالـكـتـابـةـ

مَجْلَسٌ بِهِ مَا وُدِّيَ أَجْلَسٌ بِهِ مَا احْتَدَى. (فِي حِدَابِهِ).

(١) { "بَوْنَا حَاجَّا" {بَوْنَا احْدَوْلَه (طِفْلَة).
صَلَّى مُوهَّبَه طَافَتْ سَارَ وَهَنَّمَا.

مثال: نونو رابو او خيل نونو زعورو (لغة الكتابة) إنونا رابا كاخل أنونا زعورا (اللغة الطورانية). أن حرف الأول أضيف في أول الكلمة علامه لتعريف المفرد المذكر.

إينونثا ربنا كاخلا أينونثا زعورتا (الطورانية) أضيف ألف بأول
كلمة الاسم للتعريف المفرد المؤنث.

أ nonzero رابي أخلين أنونا زعوري. (طورانية) أضيفت ألف بأول الكلمة للتصريف الجمع لكلتا النوعين المذكر والمؤنث.

ثم يضيف السريان الطور عابدين حرف (كـ) بأول الكلمة لتعريف زمن المستقبل، مثل أنونا راباكسامي لمحور عايبو. فالحرف (كـ) دخل في أول الكلمة سامي ليعرف أنه يقصد المستقبل. وأضاف حرف (هـ. سـ) كما يقال في العربية (سوف) ويقصدون بها المستقبل، ويضيفون أحياناً حرف (صـرـ خـ) في أول الكلمة للتعريف بالزمن الحاضر في تلك الجملة وتصادف من دون انقطاع كما يقولون. ويضيفون حرف (نـ) في آخر الكلمة الجمع ويقصدون بذلك مثل: أنونا تساحي بميـا يومـنـ، أو للمثني: أـيـثـ تـرـينـ كـبرـينـ. أو يقولون

طوريأيا. وعوض ما يقولون في الكلام قيمين واحلين وزمرین. يقولون قيمي واحلي وزمري. ويعوضون حرف (باء) بحرف (واو) فيقولون حلوا، وعنوا، وطاوا عوض ما يقولون حلبا وعنبا وطابا.

في اللغة الطورانية هذه يوجد اختلاط كبير بين أحرف وألفاظ اللهجة من اللغة الآثرية في هذه اللغة مما لا يوجد في اللغات الآرامية الأخرى إلا في اللغة الآرامية لطور عبدين. وقبل الحرب العالمية الأولى سنة 1914 كان في طور عبدين نحو ثلاثة ألف نسمة تتكلم باللغة هذه التي اندثرت، إذ دمر أكثر من نصف العدد المذكور وذبح بين سنتي 1914-1915. هذه اللغات الآرامية الثلاث التي تستعمل إلى الآن والتي مر ذكرها سابقاً هي الوحيدة التي بقيت حتى أيامنا من بقية اللغات الآرامية السريانية الشرقية والغربية، ويصل عدد المتكلمين بها حوالي المليون نسمة. وأكثر الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات لا تفهم على بعضها مطلقاً. فمنهم من يسكن بلاد فارس وبلاد بين النهرين الشمالية وتركيا الحديثة وشمال شرقي سوريا وذلك على نهر الخابور وفي قرى قرب مدينة الشام. ومن الشعوب التي تتكلم بالأaramية بمقدار كبير في سوريا، الكلدان النساطرة والسريان اليعاقبة (المستقيمو الإيمان) والسريان الجدد (الباباويون) والملكيون القاطنون في الشام ومقدار كبير من اليهود في الحدود الشمالية من بيت نهرин قرب الموصل وزاخو وما زالوا يتكلمون اللغة الآرامية الشرقية وعدا هذه الشعوب السريانية واليهود الذين يتكلّمون اللغة الآرامية يوجد أيضاً قسم قليل من العرب القاطنين بين هذه الأقوام التي مر ذكرها.

من يفكّر بخصوص هذه اللغات الآرامية الباقيّة حتى يومنا يجد أنه قد مر طابع واحد منذ مرور الأجيال وأصبحوا كالمرآة في عالمنا

هذا. فإن هذه اللغات الآرامية الشرقية وكذلك الغربية والتي تظهر فيها علامات الآلام والشدائيد والضيق والأخطار والمصائب التي أصابت الأمة السريانية من الخارج وفي الداخل فلهذا السبب تكلموا عنها ولكنها لم تكتب. ولو لا ثقافة الكثير من الناطقين بالأرامية في القلاع الحصينة والجبال العالية الواقعة حوالي الموصل وجبال آشور ومنها جبال حيقار (حكاري) وطور عبدين وكانت اللغة الآرامية قد انقرضت تماماً من التداول.

الآن نرجع في كلامنا إلى اللغة الآرامية الشرقية التي كان يستعملها ويتكلّم بها سكان بين النهرين في الجهة الشمالية والتي كانت قد أصبحت لغة عامة ورئيسية لجميع الشعوب الآرامية. ومن حيث إطالة هذا البحث،رأينا من الواجب أن نجعله فصلاً خاصاً تحت اسم اللغة السريانية.

الفصل السادس

اللغة السريانية

في الفصل السابق بينا للقارئ عن الانقسام الذي جرى على اللغة الآرامية وقسمها إلى قسمين كبيرين. قسم شرقي وقسم غربي. ثم تكلمنا باختصار عن كيفية تجزئة هذين القسمين وتركنا هذا الفصل لتتكلّم فيه عن الجزء الآخر الذي يتكلّم به سكان الراها والذي هو الجزء الخاص باللغة الآرامية الشرقية، وكان يعرف في الزمن القديم باسم اللغة النهرية أو المدعية (المندائية) وكانت منتشرة في المنطقة الشمالية لبين النهرين كلها الواقعة شمال نهر دجلة. وهكذا امتدّ استعمالها وبالأغلبية على كل الذين كانوا يتتكلّمون بالأaramية كما سيأتي البحث عنها وخاصة في الراها حيث سبقت وأخذت الشهرة باستعمالها اللغة الآرامية من الذين اعتنقو الديانة المسيحية، وإن هذه اللهجة الآثرية الراهاوية بعد أن انتشرت وغابت جميع اللهجات الآرامية الباقيه انقسمت أيضاً إلى قسمين كبيرين جديدين، شرقي وغربي وذلك لانقسام الأمة السريانية. فقسم من البلاد أصبح تابعاً لدولة فارس والقسم الآخر لليونان، ثم أصبحوا تحت حكم الفرس الفرثين والروم.

عند نهاية الحكم الفارسي من البلاد السريانية في سوريا وبين

النهرين جاء اليونانيون المقدونيون في أواخر الجيل الرابع قبل الميلاد، وهنا اكتملت الأزمة الآرامية القديمة، وابتدأت الأزمة الحديثة حينئذ وبسبب انقسام البلاد إلى قسمين وإدارتين كبيرتين، تحت حكم الغرباء أي الفرس واليونان.

أصبح في اللغة الآرامية اختلاف قليل من حيث صيغة بعض الألفاظ التي دخلت عليها من كلمات عادات وحكمة وأداب اليونان التي اختلطت بعقول السريانيين وانتشرت نحو الشرق من بلاد فارس.

أما في الغرب فلم تتمكن من أن تعبّر حدودها خارج الحدود القديمة بسبب ممالك اليونانيين. إلا أن اللغة اليونانية انتشرت في بلاد السريانيين الذين عاشوا على شواطئ البحر المتوسط والمدن التي بناها اليونان السلوقيون ومنها سلوقيا^(*) في بلاد بابل ومدينة أنطاكية في سوريا ومدن أخرى بنيت في فلسطين وعبر الأردن. وبواسطة هذه الحالة اختلطت الثقافة اليونانية بالثقافة السريانية، ومن هذه الاختلاط نتجت ثقافة جديدة دعيت الهيلينية وبحسب آراء الكتاب والمؤرخين إن هذا الاختلاط كان نتيجة الديانة المسيحية التي وحدت أفكار الطرفين للعقيدة الجديدة فتعلّم اليونان الفاتحون العلوم والمعارف والحكم من السريانيين القدماء. ومن هذا يتضح لنا بأن الفرس واليونان بواسطة حروبهم فتحوا بلاد السريانيين. هؤلاء الذين التزموا أن يحصلوا على الآداب والثقافة ففتحوا بلاد الشرق جميعها وكذلك الغرب.

من علامات الغلبة وانتصارات كورش الملك الفارسي الكبير،

(*) مدينة أنشأها سلوقيس نيكاتور على ضفة دجلة اليمنى سنة 307 قبل الميلاد، وجعلها عاصمة لملكة سوريا قبل الانتقال إلى أنطاكية. استولى عليها الفرثيون عام 140 قبل الميلاد (المراجع).

وكذلك الإسكندر المقدوني اليوناني أنهم وضعوا الأختام أي السجلات الثقافية للسريانيين ومظاهرها ما زالت حتى الآن ظاهرة في المسيحية وثقافتها وقد تمكّن بها كل العالم الغربي.

فلما جاء اليونان إلى الشرق في نهاية العجيل الرابع قبل الميلاد، لم يتمكّنوا أن يفرقوا بين الشعوب السريانية المختلفة التي تتكلّم الآرامية من بابليين وكلدانيين وآشوريين وكنعانيين وفينيقيين وآراميين بسبب شبههم بعض في اللغة والجنس والعادات والديانات، إذ كانت طبيعية، واتفقوا على تسميتهم باسم واحد (سريانيون) إذ كان الاسم معروفاً لديهم وسمعوا عنهم بأن اسمهم الخاص بالآشوريين أو الآشوريين كما سماهم الكتاب اليونان القدماء مثل هيرودوتس. وإذا لم يكن في لفظ اللغة اليونانية حرف (شين: هـ. شـ) قالوا آسور عوض آشور ثم أضافوا (بوت: حـ: يـ) وحرف (نون: نـ) في آخر الاسم بحسب التصريف النحوي في لفظهم اليوناني فصار الاسم: آسورين.

كما أن الآراميين يضيفون (عـوـهـالـحـ) (عـ.ـيـ.ـاـ) فيقولون عوض آرم (عـوـصـ) آرامي (عـوـصـ) وأشور آشوري (عـوـفـ) ومن بابل حـلـلـاـ بابلي حـلـلـاـ فقالوا حـلـلـاـ حيثـنـ من آسور، آسورين وأهمـلـواـ الأـلـفـ الأولى من بدء الاسم (أول الاسم) وقالوا سوريا (حـمـهـ فـ) وحتى أيامنا يسمون باللفظ الآرامي سوريا (حـمـهـ فـ)، وإن النساطرة والكلدان والسريان اليعاقبة سكان طور عبدين يسمون بعضهم البعض باسم حـمـهـ قـرـقـتـ ولكن بتواли السنين بنوع ما يسيط أو خطأ (احسبت حرف (عـوـهـ: يـوـثـ) كحرف أساسـيـ للإـسـمـ وأـضـافـوـ عـلـيـهـ (عـوـهـ: يـوـثـ) الثانية فقالوا سورياـاـ (سورـيـاـ) فأـضـحـىـ حـرـفـاـ لـلـجـنـسـ وـالـاسـمـ وـالـشـهـرـةـ ولـهـذاـ

سميت هذه الأحرف من الحروف الآرامية وتعرف إلى أيامنا هذه باسم **حصه قم** (سورايا) ولهذا قبل الجيل الرابع كانوا اليونان يسمون الآشوريين باسم السريانيين عندـ إلا أنه لم تكن هذه الشهرة خاصة بجميع المتكلمين بالآرامية إلا بعد فتوحات المقدونيين وفي زمن اليونان السلوقيـن.

كانت لغتهم تسمى على اسمهم الجديد أي اللغة السريانية وساعد الآراميون المؤمنون بال المسيحية في الأجيال القديمة على نشر الاسم الجديد أعني السريان، حتى أصبح اسم جزء واحد اسمـاً للجميع، أي اسم آشور لجميع الشعوب السريانية الرئيسية التي ذكرت سابقاً في الفصول السابقة من البابليـن والـأثوريـن والـكلدانـيين والـكنعانيـن (عموريـن وـفينيـقيـن) وأـرامـيـن مع أـقـاسـمـهـمـ المعـروـفةـ.

هؤلاء الشعوب هـمـ أـمـةـ وـاحـدـةـ، سـرـيـانـيـةـ كـبـيرـةـ، ولـغـتـهاـ سـرـيـانـيـةـ وكـذـلـكـ ثـقـافـهـاـ. إنـ هـذـهـ شـعـوبـ الـكـثـيرـ وـالـكـبـيرـ دـخـلـتـ فـيـ التـجـرـبـةـ. أيـ الاـختـبارـ وـالـامـتحـانـ كـالـذـهـبـ بـالـنـارـ وـتـكـوـنـتـ مـنـ اـنـصـهـارـهـاـ فـيـ بوـتـقةـ وـاحـدـةـ "الـأـمـةـ السـرـيـانـيـةـ" وإنـ لمـ يـوـافـقـواـ عـلـىـ هـذـهـ التـسـمـيـةـ فـيـ أـوـلـ اـمـرـ إـذـ كـانـتـ جـدـيـدةـ. فـلـمـ اـعـتـقـواـ إـيمـانـ الـمـسـيـحـ، وـتـبـدـلـواـ بـكـراـزـةـ الـمـسـيـحـ. فالـتـزـمـواـ طـبـيعـيـاـ حـيـثـيـذـ بـأـنـ يـوـافـقـواـ عـلـىـ تـسـمـيـتـهـمـ الـجـدـيـدةـ لـكـيـ يـمـيـزـواـ عـنـ إـخـوـانـهـمـ الـأـرامـيـنـ الـوـثـنـيـنـ. وـبـعـدـئـذـ تـدـرـيـجـيـاـ سـمـيـ باـسـمـ السـرـيـانـ كـلـ مـنـ كـانـ يـتـكـلـمـ الـلـغـةـ الـأـرامـيـةـ مـنـ دـوـنـ تـفـرـيقـ، وـهـكـذـاـ تـمـتـ وـحـدـتـهـمـ السـرـيـانـيـةـ بـالـلـغـةـ وـبـالـثـقـافـةـ وـإـيمـانـ. وـمـنـذـ تـلـكـ الـأـزـمـنـةـ وـهـنـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ عـرـفـ الـجـمـيـعـ باـسـمـ السـرـيـانـ وـتـرـكـتـ الـأـسـمـاءـ الـقـدـيـمـةـ إـلـىـ الـأـبـدـ، وـلـمـ يـقـ لهاـ أـثـرـ أوـ ذـكـرـ إـلـاـ بـيـنـ دـفـاتـ الـكـتـبـ وـالتـارـيـخـ وـعـنـدـ

الشعوب الغربية كال الأوروبيين الذين يعرفونهم باسم أسيرين أو سورين وسورين ويقولون أيضاً أسيريو وسيريو... إلخ.

لمّا توصل حكم اليونان إلى النهاية، استولى الروم على بلاد الشرق فوّقعت تحت حكمهم هؤلاء الآخرين بلاد السريان أيضاً، ومنها بين النهرين وسوريا وفلسطين، غير أنّ بين النهرين خرجت من سيطرتهم وحكمهم بسبب حروبهم الكثيرة مع الفرس الفرثيين وقويت العداوة الكبيرة بين الفرس والروم وحدثت بينهم حروب طويلة الأمد خربت من جرائها بلاد السريان. ولكي ينجوا من الهلاك أقام السريان ممالك صغيرة، فحبذوا الروم عملهم وكذلك الفرس، لأنّ هذه الممالك الصغيرة للسريان تقوم بخدمات كمعسكرات متوسطة تقوم بين القوتين الفارسية والبيزنطية المتحاربتين في الشرق والغرب. ومن هذه الممالك السريانية الصغيرة والتي اشتهرت أكثر من بقية الممالك، مملكة الآراميين في الشام، ومملكة الأنباط ومملكة تدمر، ومملكة الراها والفرثيين في أرض النهرين الجنوبية، هذه التي تكلمنا عنها آنفاً. إنّ هذه الممالك التي ذكرناها تتكلّم جميعها باللغة الآرامية أي السريانية، واعتنى مملكة الراها أكثر من بقية الممالك الأخرى بالأدب السرياني وبسبب ذلك تمكّنت من أن تكون الأولى بين الممالك الأخرى. وتمكّنت من الحصول أيضاً على الزعامة الغوية. وكانت اللغة السريانية الراهوية لغة عامة لجميع شعوب السريانين وممالكهم المختلفة واستحسنها الجميع وقبلت أكثر من بقية اللغات أخواتها بسبب بساطتها وصياغتها وكمالها في الأبواب اللغوية جميعها وأضاف السريان عليها رونقها وحسن أحرفها الهجائية وسهولتها وإتقانها.

ولم ترض اللغة السريانية الراهوية بفوزها وترأسها على أخواتها من اللغات (اللجهات) الآرامية الأخرى فقط بل أصبحت لغةً عالمية ولغةً لثقافة للعالم القديم، ولغة التجارة والعلوم والأديان الوثنية وكذلك السماوية كاليهودية والسريانية المسيحية، واكتسب السريان ثقافة عالية لم يتوصل إليها أحد سابقاً في العالم، وجعلوا بلغتهم كتاباً وتاليف محترمة شريفة في جميع أنواع العلوم والمعارف. ولكن لسوء الحظ، فقد فقدوا أكثر مؤلفاتهم بسبب المسيحية التي اعتنقوها إذ دمروها بقصدمحو جميع المعتقدات الوثنية من بينهم ولم يبق لنا منها أي ذكر سوى كتابات قليلة لا تضرّ المسيحية والتعاليم الدينية، والمؤلفات التي استفادوا منها كشهادة حقيقة للتعاليم المسيحية.

ولهذا السبب، فإنه بعد الجيل الأول بعد الميلاد تبدلت الثقافة السريانية إلى الثقافة الدينية ووضعت أكثر مؤلفاتها بالطابع الديني. وبسبب اختلاطهم مع اليونان تعلموا منهم تنوع وترتيب مؤلفاتهم ووضعوها بحسب القول والفكر اليوناني وكتبوها بحسب أفكارهم وتفاصيلهم الفكرية وفي هذا العمل زادوا على اللغة السريانية تراثاً أدبياً وفكرياً.

يجمع الكتاب والمؤرخون بأن الديانة المسيحية قد ظهرت في الرها منذ أول جيل، وقال آخرون أن ظهورها كان في أول الجيل الثاني، ومهما كان فإن الرها في الجيل الثاني كانت مصدر الثقافة الدينية للسريان المسيحيين وهذا التقدّم الديني كان بفضل الملوك المؤمنين في الرها وخاصة الملك أبجر والذين تبعوه.

بسبب هذا التبشير بالإيمان الجديد انقسمت الثقافة في مدينة الرها إلى قسمين الوثنية والمسيحية، وفي هذا الفصل نتبين نوعاً من الثقافة السريانية في زمن الوثنية.

من المعلوم أنه في زمن سرجون الثاني ملك آشور، أخذ بنو إسرائيل بالنبي إلى بلاد آشور وهناك كانت الديانات السريانية والمجوسية قد اختلطت مع الديانة اليهودية وعرفوا الإله الواحد، وهناك في آشور وخاصة على الحدود الشمالية لبين النهرين، ازداد هذا الاختلاط الديني بين السريانين والبرائين والحكمة الفارسية والفلسفة اليونانية، ومن هذا الاختلاط والمزج المتنوع نتجت تهيئة لقبول المسيحية ساعدت على انتشارها بينهم. وإذا طالع القارئ مؤلفات السريانين في الأجيال الخمسة الأخيرة قبل الميلاد كمؤلفات (بابي) نبي حزان ومارا بن سرافيون وكتابات أخرى للكتاب السريان في تلك الأزمنة التي نجت من يد العابثين نجد فيها كثيراً من الأمثلة التي تتحدث عن البدء والخلقة والأسس التعليمية التي تقارب والأفكار المسيحية، وهناك كتابة تعد من أهم الكتابات التي عُثر عليها وبقيت إلى أيامنا إلا وهي كتابات أحياقار الحكيم كاتم أسرار الملك سنحاريب ملك آشور، وكان وزيره الأقدم والأفضل.

ووجدت كتابات أخرى منقوشة على الحجارة وعلى المقابر بالقرب من مدينة الرها، والتي كانت مناظر وأشكالاً حقيقة باللغة الآرامية المسممة لغة سكان النهرين والرها ومجاورיהם على ضفاف الأنهر.

من هذه الكتابات يظهر لنا أيضاً أن الشعب الذي كان يسكن في هذه البلاد من دون شك كان سريانياً باللغة والجنس. كما أن الملوك وكبار مدينة الرها كانوا سريانين، إضافة إلى سكان بلادهم وممالكهم.

في القرن الثالث قبل الميلاد، كانت بلاد النهرين قد انقسمت إلى قسمين إدارياً وعلمياً، ففي الجنوب كانت مدينة سلوقيا مركزاً، وفي الجهة الشمالية كان مدينة الرها مركزاً. وقد حدث هذا الانقسام

في الجيل الثاني قبل الميلاد حوالي سنة 132 ق.م. في زمن ظهور الضعف في مملكة اليونان. وفي أول ظهور حكم الروم تشكلت في مدينة الرها مملكة دامت حتى سنة 250 ق.م. واعتلى عرشهما ملوك سريانيين حكماء ماهرون، وهؤلاء بواسطة فطنتهم تمكّنوا أن يسيروا بأنباء دولتهم نحو مروج الحكم والثقافة والعلم وأبعدوا عنها الأخطار والدمار التي كانت تشمل جيرانهم من الفرس والروم، وكان ملوك الرها قد اعتادوا أن يكتبوا جميع الحوادث الزمانية التي تحدث في بلادهم لكي يكونوا حذرين من وقوع قواتهم بيد الأعداء القساة. وكانوا يحفظون تلك الأخبار بالمملكة في خزائن الملوك لتخليلها للأجيال القادمة كي يتذروا بها، ولكن لسوء حظ الآرامية أيضاً فإن كثيراً من الكتب المؤرخة في أيام ملوك الرها قد فقدت لوقوعها بأيدي الروم، وكذلك أيضاً من إنلافها من قبل المؤمنين في الأجيال الأولى عند انتشار المسيحية بينهم.

منها قصة الملك أبجر الأسود ملك الرها الذي كان قد أرسل إلى يسوع المسيح لكي يخرج من أورشليم ويذهب إلى الرها ويهرب من اليهود الحسودين له. فإن هذه القصة الشريفة معروفة لدى جميع المطالعين الماهرين في الكتب السريانية، وكما يظهر من القصة بأن الملك أبجر هو أول من آمن من السريان وترك الوثنية واعتنق المسيحية مع جميع أبناء مملكته.

من المؤلفات التي خلفها السريان الكتابات الخاصة لبابي نبي حران ومارا بن سرابيون وأحياقر الحكيم، والأخير كان أقدم من الآخرين الآنفي الذكر وهو معروف بحكمته وأقواله وقصته، وإن السريان الوارثين يفتخرن بهذا الإرث من المؤلفات ويفتخرون به.

وقد انتشرت قصة أحياقر الحكيم هذه بنوع عجيب لم يسبق له مثيل لبقية القصص. وكان لها طابع خاص وتأثير عام في الأدب القديمة، وقد ترجمت إلى لغات كثيرة، وعنها اقتبست قصة ألف ليلة وليلة، وهذا الكتاب قد انتشر في جميع أنحاء العالم أيضاً.

إن النسخة التي بقيت ووصلت إلى أيدينا والمدونة باللغة الآرامية القديمة وجدت مكتوبة على ورق البردى (پاپاريس) في فتنين بالقرب من مدينة أسوان من بلاد مصر مع كتابات أخرى باللغة الآرامية يعود قسم منها إلى يهود مصر الذين كانوا يسكنون بتلك الجزيرة وقد كتبت مع قصص أحياقر في الجيل الخامس قبل الميلاد.

إن مؤرخي اليونان أيدوا بأن قصص أحياقر الحكيم قد وضعت حوالي الجيل الخامس قبل الميلاد، فإن أقليميس الإسكندرى الذي عاش في الجيل الثاني قبل المسيح قد ذكر أن ديموقراطيس (*) الذي عاش في الجيل الخامس قبل الميلاد كان قد ألف كتاباً عن الثقافة والحضارة في بابل ودون فيه حكمه أحياقر وهكذا أيضاً كتب سترافيون وثاوفروسطيوس اللذان عاشا حوالي سنة (374 - 281 ق.م.) ودونوا قصص وأمثال أحياقر وزير سنحاريب ملك آثور وهناك بعض من المستشرقين يعترفون أن قصص أوسيب اليوناني على ألسنة الحيوانات هي من وضع أحياقر الآثوري الحكيم.

من يتمعن ويتأمل في حكم وقصص أحياقر يجد مشابهة أو تقارباً عظيماً بينها وبين بعض أسفار الشريعة القديمة كأمثال الجامعة وابن

(*) أو (ديموكريتس) (القرن الخامس قبل الميلاد) فيلسوف يوناني قال إن كل كائن مركب من ذرات لا تخلو، وإن السعادة تقوم بضبط أهواء النفس. يعتبر مؤسساً للفلسفه المادية (المراجع).

سيراخ وبعض المزامير والحكم، وهناك بعض المفكّرين يقرّون بأن مصدر حكمة ابن سيراخ هو حكمة أحياقر لأنها أقدم منها (من سفر ابن سيراخ) بسنين كثيرة.

في الإصلاح الثلاثين من سفر الأمثال لسليمان يوجد تقارب تام أو مشابهة كبيرة بين كلماته وبين كلمات أغور بن يقي وكلمات أحياقر الحكيم الذي بها ختم سفر حكمته والتي نراها نحن، فإنّ أغور المذكور في هذا الإصلاح ما هو إلا أحياقر نفسه.

يوجد شبه تام بين كتابات أحياقر وبعض المزامير، وإنّ أسرار أحياقر تشبه كثيراً أسرار داود المذكور في المزامير وإذا ما أمعن القارئ النظر والتفكير لوجد تماماً أنّ عقلية وأفكار المزامير - في بعضها - تتشابه كثيراً مع حياة السريانيين وخاصة الشعب الآثوري، ومثل هذه المشابهة نجدها أيضاً في سفر دانيال النبي لا بل إنّ لغتها متقاربة جداً.

إنّ كتاب سفر طوبيت (طوبيا) يظهر جلياً بأنه يرمز في مقدمته إلى قصة أحياقر. وسبب دخول حكمة أحياقر بين فصول الشريعة القديمة نقاوتها وأصالتها، وهكذا انتشرت تعاليمه في كل قطر ومصر حتى وصلت إلى وسط أوروبا، إذ يوجد في مدينة تارير التي تقع على نهر الرين في أحد أبراج المدينة صورة واسم أحياقر الحكيم مع اسم أحد التجار السريانيين المدعو معنا أو (معنو).

في قصة نادان التي قالها أحياقر، يوجد شبه كبير بما قاله السيد يسوع المسيح عن عبد السوء الذي أكل وشرب مع السكيرين وضرب العبيد والجواري، ولما رجع سيده عامله بقساوة؛ وأيضاً بين قصة

يهودا الأسخريوطى الذى سلم سيده وبين قصة نادان في قصة أحياقار وتسليمه فمات كلاهما موتاً مماثلاً وتوصلاً إلى نهاية شريرة. وهناك تشابه آخر يوجد بين قصة أحياقار عن الشجرة التي غرسها على حافة الماء وعن التينة التي أمر يسوع بقطعها بسبب عدم إعطائهما الثمر في وقتها.

هكذا في الرسالة الثانية لبطرس يوجد مثل واحد من أمثال أحياقار الذي ويَنْخُ فيه نادان الشرير قائلاً له: يابني، لقد فعلت كخنزير دخل مع الطيبين إلى الحمام ليسبحوا ولما خرجوا وجد الخنزير حفرة مملوئة بالوحل فنزل وسبح فيها، ومار بطرس أيضاً يقول: مثل الكلب الذي رجع إلى قيئه والخنزير الذي تمرغ بالوحل.

كما يوجد أيضاً في الشريعة القديمة أمثال كثيرة متشابهة مع تعاليم أحياقار بسبب أن العبرانيين وخاصة سكان الشرق ورثوها من هذا الحكيم. وتواصل هذا التعليم وأداب أحياقار حتى إلى الأجيال التي بعد ظهور السيد المسيح إلى حين زمن ظهور الإسلام في أوائل الجيل السابع، ويوجد بعض من الكتاب العرب والمسلمين يتكلّمون عن لقمان الحكيم والمذكور في القرآن والذي هو أحياقار إذ يوجد تقارب وتشابه كبير بين أمثال وحكم لقمان وأحياقار. فلقمان مثلاً يقول ما معناه كن حذراً في مشيتك واحفظ صوتك، فالصوت المزعج هو صوت الحمار (انظر سورة لقمان الآية 69). وقبله قال أحياقار: يابني اخفض رأسك واحفظ صوتك وكن مرحأ وسر بطريقك المستقيمة ولا تكن أحمق ولا ترفع صوتك في أوان الضحك من حيث إنه لو يبني الدار بالصوت المرتفع لكان الحمار يمكنه بناء دارين في يوم واحد.

من هذه المعلومات يتضح للقارئ بأن أحياقار ليسنبياً أو رسولاً

ولكن لقد ظهرت فيه حكمة عظيمة للسريانيين، ولم تظهر لإنسان آخر منذ القديم ولك يكن أحد بمثله فصاحة ومنطقاً مطلقاً بالحكمة حير عقول الحكماء بعده.

من مجرى قصته يظهر لنا بأن أحياقر لم يكن مشهوراً بحكمته فقط ولكنه كان أيضاً غنياً بالمال وكان أيضاً وزيراً للملك سنحاريب ملك آثور العظيم للمملكة السريانية. وكان أحياقر في أول رئاسته يؤمن بالله كثرين ولكنه اهتدى بعدها إلى الإيمان بالله واحد عظيم، وحيث إنه كان عقيماً ليس له ولد، وكان ضروريًا أن يجتهد كي يجد له وارثاً من نسله، وإذا كان يصلى إلى الله كي يهب له وارثاً ليirth عنه حكمته قيل له: خذ لك نادان ابن اختك وعلمه تعاليمك وحكمتك وثقافتك وأدابك. وحالاً أخذ أحياقر نادان ابن اخته إذ كان وقتها طفلاً رضيعاً، فرباه وأرضعه من ثمانين مرضعات حتى كبر بالقامة والجسم. فعلم القراءة والكتابة وجميع حكمته، وبعد مدة من الزمن لمارأى سنحاريب بأن أحياقر قد كبر وشاخ، أراد منه أن يخبره عن وارثه. فأجاب أحياقر: بأن وارث مهنته ومنصبه وأمواله هو نادان ابن اخته. فأمر الملك أن يأتي ويقف أمامه، ولما استأنس نادان ووجد رحمة في عيني الملك وقد فرح به فأراد أن يكون وارثاً لأحياقر الحكيم. ومنذ ذلك اليوم أخذ أحياقر يعلم نادان أكثر ومتى يتطلب منه وسيكون بحاجته إليه عند وقوع شدائد الزمان كي يعرف كيف يخلص منها بفطنته وحكمته. وعندما كان يعلمه ويهديه ويؤدبه كان يقول له هكذا:

بني، إذا سمعت كلاماً ما اتركه يموت داخل قلبك ولا تظهره لأحد غيرك لعله يكون عليك كالجمرة فتحرق لسانك وتعذّب جسمك وتجعلك مذوماً وعاراً لدى الله والناس.

بني، من الأحسن أن تحمل حجارةً ثقيلةً مع رجل حكيم، من أن تشرب الخمر مع جاهل، وإذا أكل غني حيةً يقال أكلها من أجل الشفاء، وإذا أكلها الفقير قالوا الشدة الجوع أكلها.

بني، لا تمنع ابنك من الضرب بالسوط، لأن الضرب للولد كالسماد للجنينة.

بني، إذا أرسلت حكيمًا بمهمة أو شغل ما، لا تكثر من الوصايا لأنه سيكمل إرادتك بحسب مبتغاك، ولا ترسل جاهلاً، بل اذهب بنفسك وافعل ما تريده.

بني، إن عصفوراً بيده خير من وزة في قدر غيرك. والخروف القريب عليك، خير من الثور بعيد، والعصفور الضعيف الذي بيده خير من ألف عصفور يطير في الفضاء.

لما تعلم نادان حكمة زمانه كاملة، أعطاه أحريقار كل شيءٍ في ملكه من أموال ومقننات وعيدي وجواري. ولم يترك لنفسه إلا شيئاً قليلاً. فلمارأى نادان هذا زاغ عن الطريق، وأخذ يعيش في البذخ حتى فقد جميع أمواله ومقنناته التي أعطاها له حاله، وقطع حاله الرجاء منه عندما رأى سوء تصرفاته. فاغتم كثيراً وفكّر أن يعامله بقساوة، وأمر بإعادة جميع ما كان قد بقي له من الميراث وحرمه منه، وأعطى البقية من أمواله لأخيه نبوزا ردان الذي كان أصغر منه.

فالتهب قلب نادان غيضاً وبعضاً نحو حاله أحريقار. فأخذ يفكّر بشّرٌ يلحقه به ويدير له مكيدة لكي ينتقم منه.

هنا يتبدئ النصف الثاني من قصة أحريقار الذي دُعى من قبل ملك

فارس وفرعون ملك مصر، وسنحاريب ملك آثور. فأرسل نادان لكل واحد من الملوكين الأولين رسائل باسم أحياقر مختومة بإيمان يده إذ رتب عليه كذباً وافتراءً وزوراً عن لسان أحياقر، على أن يأتوا إلى البلاد كلها ويحتلوها من دون حرب أو قتال. وأراد بذلك أن يظهر حيلته، لا قوته فقط إلا أنه أيضاً بموته وبمشورته تكون حجة لسوء نيته، واستلم الملوك الرسائل بأيديهم أي ملك آثور بحسب إرادته الخبيثة. ثم كتب أيضاً رسالة ثالثة من لسان ملك آثور إلى أحياقر حاله. إذ بأمره يجمع جيشه كلها باستعجال ويأتي ويحضر يوم الخميس في مكان المعرفة باسم نسرين ويأمر الجيوش أن تسير أمام رسول فرعون ليطلعوا على عظمة وقوة الجيوش، وفي هذا الشرك والمصيدة التي وضع لها وقع الحكيم الكبير وتعقل بحال الحيلة التي نصب لها فوقع فيها.

فسمعها كأنها كلمة صادرة عن الملك ولم يعرف أنها حفرة ليوقعه بها. فصدقها ملك آثور ولم يعرف أنها خبث وجعلها سوء نية من أحياقر عليه والذي كان بعيداً عن ذلك كل البعد. وحالاً أمر الملك أن يُلقى أحياقر في السجن، ثم بقطع رأسه وبأن يُلقى بعيداً عن جنته بمقدار مائه فرسخ (ذراع) وهكذا سلم أحياقر لحكم الموت بيد رجل كان قد صنع منه إنساناً آخر. فتذكري الرجل ذلك الإحسان الذي صنعه معه أحياقر، فتحنّ على حياة الحكيم وتشاور مع زوجته أن يخلصه فقام الرجل وقطع رأس إنسان آخر كان محكوماً عليه بالموت عوضاً عن أحياقر، واختفى أحياقر عن وجه الملك وسجن نفسه في سرداد تحت حديقة ذلك الرجل الذي حفظه وكان تحت حديقة في داره، وبواسطة هذه الحيلة، تمكّن من النجاة حتى رجع إلى مهنته وبعدئذ عاش بنعمة مدة من الزمن، وغاب ذكر أحياقر عن أفكار العالم.

أما المملكة فكانت يومياً يظهر عليها العجز والضعف لقلة الإدارة وسوء التدابير التي كان يدبّرها نادان وكادت تسير إلى السقوط والزوال.

وفي هذا الوقت انتهز فرعون مصر الفرصة، فأرسل إلى ملك آثور أن يختار واحدة من الاثنين:

إما أن يرسل له واحداً يتمكّن أن يبني له قسراً في الفضاء، وإذا قدر على ذلك سيدفع له الجزية لمدة ثلاثة سنوات، وإنما فإن ملك آثور يدفع الجزية لمصر. فجمع ملك آثور جميع العلماء والحكماء والعرافين والسحرة الآثوريين وحکى لهم القضية مع ملك مصر، ولما لم يتمكنوا أن يصنعوا شيئاً أراد من نادان أن يريه حكمته، ولكن هنا ظهر منه الضعف أكثر من غيره. فاغتم الملك وحزن كثيراً على موت أحياقر وندم كثيراً على عمله، فتألم عليه جداً. فلما تحقق لدى الرجل الذي أخفى أحياقر بأن الملك حزين جداً من كل قلبه ونادم عليه، دخل أمام الملك ووقف أمامه وأخبره بأن أحياقر وزيره ما زال على قيد الحياة. ففرح الملك فرحاً عظيماً، وأمر ليخرج أحياقر من مكان اختبائه ويأتي فيحضر مجلسه قدامه. فقام أحياقر ثانية بين يدي الملك وسلم عليه فقال له الملك عن طلب مصر.

قبل كل شيء طلب أحياقر من الملك أن يحكم على الخائن لكي يكمل أمر العدالة. فلبس أحياقر بزة العدالة والقوة والشجاعة والصبر وميزات الصلاح وحسن الخلق وأجل حكم العدالة حتى يرجع من مصر ويحاوب على أسئلة الملك فرعون.

ففكر أحياقر وتهيأ للسفر حالاً إلى مصر وأخذ معه نسرین

وشاين وحبلين من القنب طول كل منها مقدار ألفي ذراع، وبعد أن علم النسرين والشابين ما يحتاجون إليه من المعلومات المطلوبة سافر حلاً إلى مصر. فلما وصل ربط النسرين بالحبلين وركب الشابان على ظهريهما فطار النسران في الجو ولما ارتفعا أخذ الشابان يناديان على الملك وبقية المصريين الذين كانوا واقفين تحتهم وينظرون إليهما أعطونا الحجارة والطين لكي نبني القصر لملك مصر في الجو وكانوا يصرخان إليهم بشدة أعطونا الحجارة، أعطونا الطين فإننا مستعدان لنبني القصر للملك. فأخذ أحياقر والذين معه يصرخون على عبيد ملك مصر لكي يستعجلوا ويناولونهم الحجارة والطين لبناء السراي في الجو بحسب رغبة ملك مصر العظيم. فلما أرادوا ورأوا أن ذلك من المستحيل تعجب المصريون من حكمة أحياقر. ثم باشر ملك مصر يسأل أسئلة كثيرة إلى أن اعترف أخيراً بانتصار أحياقر الحكيم.

في اليوم الثاني قال فرعون لأحياقر: عندما تصهل خيل سيديك ملك آثور في الحصن فإن خيولنا من الإناث يطرحن. فأمسك أحياقر سنوراً كبيراً وأخذ يضربه بقوة وتساوية بالسياط، فلما رأى المصريون أحياقر يضرب السنور الذي كانوا يكرمونه ويحترمونه ويسجدون له شکوه إلى فرعون فأرسل بطلب أحياقر وأخذ يوبخه قائلاً: أما يكفيك شرك أيها الرجل القاسي. لماذا تضرب هذا الحيوانات التي لا منطق لها. فأجاب أحياقر وقال: إن سيدي ملك آثور أهدى لي ديكاً يعرف كل ساعات الليل والنهار. فذهب هذا السنور إلى نينوى وقطع رأس الديك ولم يحن عليه، ولهذا السبب حكمت عليه أن أجده بالسياط. فأجابه الملك فرعون وقال: كيف يتمكن هذا السنور أن يذهب في ليلة واحدة إلى نينوى ويرجع، حيث إنه يوجد بين نينوى ومصر مسافة أكثر

من ثمانية وستين فرسخاً، فأجابه حيتنـد أحـيـقـار، إذا كانت هذه المسافة البعيدة بين نينوى ومصر، إذن كيف تتمكن خيولك أن تسمع صهيل خيول سيدى ملك آثار.

فأراد أيضاً منه فرعون أن يصنع له حبلاً من رمل طويل ليحيط به حجر الرحى التي تكسرت إلى عدة قطع، فأعطى أحـيـقـار أيضاً لفرعون الجواب عن طلبه. فتعجب به فرعون وأحبه لحكمته العظيمة وأرجعه إلى بلاده بهدايا وخلع سنية كثيرة.

هكذا انتصر أحـيـقـار واشتهر أكثر في كل بلد وقطر، حيث إنه عاد إلى نينوى ووقف أمام سـنـحـارـيـبـ بـانتـصـارـ عـظـيمـ كالـذـي يـخـلـصـ بلـادـهـ منـ أـنـخـطـارـ الـحـرـوـبـ القـاسـيـةـ.

حيتنـد أـتـتـ سـاعـةـ نـادـانـ الشـرـيرـ وـالـخـائـنـ وـطـلـبـ أحـيـقـارـ منـ الـمـلـكـ أنـ يـسـلـمـ لهـ نـادـانـ مـقـيـدـ الأـيـديـ بـالـسـلاـسـلـ الـحـدـيـدـيـةـ وـيـلـقـيـ فيـ مـكـانـ مـظـلـمـ وـيـكـونـ طـعـامـهـ الـخـبـزـ وـالـمـاءـ فـقـطـ، وـأـخـذـ يـوـبـخـهـ بـأـمـثالـهـ وـحـكـمـتـهـ قـائـلاـ:

يا بني، من لم يسمع من أذنه فأسمعه من رأسه (اضربه على رأسه).

يا بني: أعلم إذا طـلـلـنا ذـيـلـ الـكـلـبـ وـالـخـتـزـيرـ عـشـرـةـ أـذـرـعـ وـكـانـ مـصـنـوـعـينـ مـنـ الـحـرـيرـ الـغـالـيـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـمـيـهـماـ ذـيـلـ الـحـصـانـ.

يا بني، أنت أصبحت كـقـمـلـةـ الـحـنـطـةـ لـاـ تـزـيدـ الـحـنـطـةـ، وـلـيـسـ مـنـهـاـ سـوـىـ الـخـسـارـةـ.

يا بني، صدقت كلمة من يقول إذا ولد لك ولد تدعوه ابنك، وإذا ربّيت لك ولدأً تدعوه عبده.

وأخيراً لما سمع نادان الغبي كلام حاله تحقق لديه أنه سينتقم منه وتكون عاقبته شرّاً، إن كان ذلك آجلاً أو عاجلاً فوق عليه ضيق وحزن شديد ووقع ومات.

وهكذا انتهت القصة.

لقد اتضح لنا من فحوى قصة أحياقر الحكيم هذه، التوبيخ والتمرد ولا بد أنها كتبت بالقلم المسماري باللغة الآثرية حيث كانت آنذاك هذه اللغة لغة كتابة المؤلفات في بابل وأثور. حوالي الجيل الخامس قبل الميلاد كانت الآرامية هي اللغة التي يتحدث الأكثريّة بها. إن قصة أحياقر نسخت باللغة الآرامية، ومن ثم نسخت من الآرامية إلى العبرية، وبعده نسخت بلغات الشعوب والأمم الأخرى في العالم القديم وأصبحت أساساً للحكمة، ومصدراً في الأدب والثقافة والتهذيب المثالي الذي وضعه أحياقر الحكيم الآرامي.

بعد هذا الجيل ظهرت الكتابة السريانية المعروفة وولدت من الكتابة الآرامية القديمة التي تدريجياً تقدّمت نحو التحسّن والإتقان، ومن هذه الكتابة ما عرف بالخط الأسطرنجيلي، ومنه النسطوري واليعقوبي الذي كان قديماً معروفاً بالكتابه (الخطوط). وقد كثرت أنواع اللهجات الآرامية واحتلت كثيراً وذلك بحسب المكان والبلاد، وكذلك أيضاً اختلفت الكتابات السريانية وتبدلّت كثيراً، ولكن على الرغم من هذا الاختلاف في الكتابات، كان التشابه بين الواحدة والأخرى موجوداً دائماً.

وصلت الكتابة إلى شعوب أخرى من السريانيين، ومنها إلى الشعوب الغربية ونتجت عنها أيضاً الكتابة الغربية، ومنها امتدت إلى أوروبا الغربية وإلى بلاد المغول وبلاد الصين شرقاً.

الكتابات السريانية نوعان رئيسيان هما الكتابة الكلدانية أي النسطورية، والكتابة اليعقوبية وتعرف في زماننا الكتابة الشرقية والكتابة الغربية، وكان الاختلاف بين الكتابتين فرقاً بسيطاً وأكثر القراء والكتاب السريانيين.

ربما يذكر القارئ كيف أن الآراميين أخذوا كتابتهم من الحروف الهجائية من أخوتهم الكلعنانيين حوالي الجيل الخامس عشر قبل الميلاد، وكانوا قبل ذلك التاريخ يعيشون في همجية. ومع تمايزي الزمن حدث تغيير قليل بكيفية الكتابة بحسب مقتضياتهم الزمنية وحاجة البلد حتى وصلت إلى نوع أحسن فنتجت الكتابة التدمرية والنبطية والحضرية ثم الأسطرنجيلية وبعدها النسطورية الشرقية واليعقوبية الغربية. ومن حروف التدمريين والنبطيين عرفت الكتابة السريانية أكثر الشعوب المتقدمة القرية والبعيدة وحتى الآن يسمون الحروف الهجائية باسم السريانيين لفظياً ومعنوياً.

إذا هكذا تحسنت الكتابة السريانية وكملت في جميع خواصها وألفاظها الصوتية بواسطة كتاب ماهرين. فأنجبت الأمة السريانية علماء وكتاب ماهرين ومؤلفين حكماء جمعوا بين حكمة الشرق وفلسفة الغرب.

بواسطة هذا الاتحاد العقلي العالي كانت البشرية مستعدة لكي تقبل الإيمان الجديد والأخوة العامة التي تفوق بكمالها جميع

الأديان القديمة التي سبقت وهي الديانة المسيحية، وعلى هذا بعض من الكتاب الكبار في أيامنا وخاصة المستشرقين منهم يقولون إنه في حران الراها أشرق أولاً نور الإيمان المسيحي، ولهذا كان الفضل السريان الراها ببشرارة ونشر الإيمان يسوع الناصري المدعو من قبل أبجر الملك الراهاوي.

أصبح السريانيون حاملين بشارة الناصري ومثبتين لكلمته استناداً إلى شواهد من الكتب الوثنية الذين عرف بعضهم باسم أنبياء ومعلميين وهؤلاء كانوا يبنّئون ويتكلّمون عن مجيء وحكمة يسوع الناصري. وقد عرف أحد هؤلاء الأنبياء في زمن الوثنية وعرف أكثر من غيره في أجيال سبقت المسيح وهو بأبي نبي حران الذي كتب مفصلاً عنه شخص اسمه أدي وذكره كتاب آخرون سريانيون في كتبهم مثل ابن صليبي وغيره.

عاش بأبي نبي حران في الأجيال الأخيرة قبل المسيح. وكان أحد مؤلفي السريان الحنفاء (الوثنيين) وفي زمن ما كانوا يسمونه الإله يخدمه السريانيون وفي زمن يدعونه كاتباً وفيلسوفاً، ولما قبلوا أي آمنوا بالإيمان المسيحي. مزقوا كل ما كان موجوداً فيه بما يخص الوثنية وجمعوا الكتب والتاليف المسيحية، ولم يسلم من التمزيق أو الإبادة إلا بعض من مؤلفات بأبي وغيره لأنهم كانوا يجعلونها شواهد تحقق الديانة الجديدة بسبب وجود رموز كثيرة في تلك المؤلفات تعرف بحقيقة الديانة الجديدة وبعض من الناس اتخذوا بأبي نبياً وابن صليبي يدعوه فيلسوفاً. وقال بعض الناس إنه ألف كتابين مملوءين من النبوات. ولم يكن يسكن في مران حتى أواخر حياته، وإن الآراميين

(الوثنيين) والسريان المسيحيين كانوا جميعهم يطالعون كتبه وأكثر من ثلثي الناس كانوا يدعونه نبياً، وكانوا يكرمونه ويلتجتون إليه ويتمسكون بأقواله ودراساته وآدابه.

قال ب أبي في كتابه الأول المعروف سابقاً باسم كتاب الإجهاز: إن التي لم أريد أن أقولها فسأقولها، وإنني سأعقب إن لم أرد كتابتها، وعلى تلك التي سوف تحدث، ولما تتحقق سيصير عویل وبکاء. إذ إنه لما تأتي النار على الأرض التي كانت قبل العالم وتظهر على الأرض بالجسم لن يعرفها الناس. ثم تعود فتصعد إلى مكانها الأعلى عند ذاك المجد الخفي عن الجميع. وإذا تكون هي في مكانها يأتي الذين يشبهونني وينتقمون من سكان حران، وسيقول أبناء مدينة سين (سهراء) أن جنون ب أبي حكمة. وحيث إنهم ستنقلون إلى آشور (آشور) وتكون محلأً للشهداء والباقين يكونون للمخجل.

وقال أيضاً في كتابه الأول:

إن شهرة هذه النار التي لا تموت وذبيحة لا تزول وضوء لا ينطفئ سيظهر على الأرض، إذ هو يسكن في السماء، ويأمر في السماء والأرض. وفيه حياة كل من يلتوجه إليه. وبنوا حران كانوا كذلكين، وكل ما كان وما سيكون (فيه كان) وكان قبل الكل، وفيه تحل وتسكن الحكمة، وخارج عن هذا النور لا يثبت شيئاً. أيتها الأرض لا تشربى الضلال، ولكن اعرفي النار التي ظهرت، وهي ثابتة لا تزول، هي التي تسمع في العلا وتصنع الكون على الأرض، ومدة قصيرة وتأتي الشرور على أنام الناس، وأرجلهم لا تثبت حتى يرون النور التي ظهرت. فحينئذ يسجدون له بالحقيقة.

وأيضاً من محتويات هذا الكتاب:

ويقولون كلمة طيبة هلموا فاجتوا على الأرض نسجد للإله الخالق، وسيكون على الأرض هيكلًا ومقدساً، وبقرب كل الشعب قرباناً للإله العالى بمحبة وإيمان.

وقد قال في كتابه الثاني:

سينظرون إلى النور الذي يشرق من موقع لا يظنون به، ومن بلالهم يظهر، وسيظهر بالعظمة التي تلقي به. ذاك النور العظيم الذي لا يدرك وجميع سكان الأرض يشعرون بوجود الضوء العظيم الذي هو خفي عنهم وقد ظهر لهم. ثم رأيت بالروح كما قيل لي. إن طفلاً من النور والنار ولد من الأرض لمكسب وخسارة وقيامة وسقوط كثيرين. فالويل والويل من أجل بعد زمن قصير أن بيت الله الذي في بذلك المجد والعالى كما هو البلاط في رومية لا يترك فيه حجر على حجر. وأنت يا مران لا تخافي ولا تفزعى لأن الكثيرين سينفرضون، والعظيمات تزول حينئذ ستعرفين النور الذي أشرق، من حيث إن الرب سيشرق علانة على الأرض.

ويكونون من دون آيات حتى طلوع (النور) فيأتي بنو فارس ويقدمون قرابينهم (هداياهم) للنور المجد بحسب أراده الهيئة. أujeوبة عظيمة ومعجزة كبرى تظهر على الأرض، وأنه أشرق وفوق أي ادعاء، وفوق العقل البشري.

لن يدرك أبداً ولا يمس، فعندئذ تكون الأرض بسلام وتنتبه مملكة الشرق وتصعد فتخرب مدينة اليهودية ويذهب في السبي العبور (العبرانيون) ويترفقون على وجه الأرض، وبابل تبقى في العبودية من

أجل الولد العجيب الذي أخبرت عنه. حينئذ تقوم ممالك الغرب وتأتي نحو بلادنا. وفي آشور (آشور) يذبحون ويقربون القرابين ويريدون أن يبطلوا الخوف ولن يستطيعوا أن يتكلموا بسبب أن آخرين سيتبعونهم ويعؤمنون ثم يملكون.

فإذا فكر القارئ وتأمل بأقوال أبي الآراميين الذي كان في حرّان، يتعجب من معاني كلامه القليل، ومعنى نبوته التي ترمز إلى مجيء السيد المسيح وبشارته. وإلى هذا كان المبشرون السريان يستندون في نشر المسيحية بين إخوانهم الوثنيين ويأتون في حواراتهم الدينية بشواهد منها لإثبات كلامهم بالاستناد إلى نبوة أبي النبي، ولكن البعض من الكتاب الغرباء يقولون بأن المبشرین السريانیین أضافوا كثيراً إلى أقوال أبي لكي يعتمدوها عليها في كرازاتهم بالmessiahية. ولكن مهما كانت فقد تحقق عندهم بأنه خلال الخمسة أجيال قبل المسيح كانت الأفكار قد تبلورت وتطابقت مع مفهوم نبوة أبي النبي التي ظهرت في جميع بلاد السريانيين وانتشرت فيها خاصة في بين النهرين بالجهة الشمالية. ويظهر ان مركز هذه الأفكار كان في حدیان التي على شاطئ الفرات وبين كل من النهرين الزاب الكبير والزاب الصغير وفي شرقى نهر دجلة. ومن هناك انتشرت هذه الأفكار والتنبؤات إلى بلاد مران والرها في الشمال الغربي من بين النهرين، أي في الجزء والأقليم الذي كان محاطاً في النهر الصغير ويصان الذي هو فرع من نهر بلخ. وفي كلا هذين الإقليمين من مناطق بين النهرين الشمالية الواقعة تحت حكم الروم بعد سقوط السلوقيين حيث قد أشرق نور علوم السريان أكثر من كل مكان آخر.

عند مجيء اليونان والروم، زين السريان أفكارهم بثياب جميلة

حسنة للفلاسفة القدماء ورتب شريفه للأخرين فتبدلت نوعاً ما عقليتهم السريانية التي كانت لدى آبائهم الآراميين حتى عرفوا الحكمة الحديثة المجموعة من حكمة السريانين وأجيالهم العابرة ومن ثم الفلسفه والرتب الأوروبيين وفي الأخير كان ظهوراً مسيحيه وبشارتها التي من سببها نذروا حياتهم المبشرون السريان ودعوا الشعوب والأمم إلى وليمة فاخرة بالعلم والحضارة العالمية ليكونوا أبناء لإله واحد وأب عام للجميع.

إذا اختبرت هذه الديانة بين السريان وفي كل بلادهم، امتلأوا من الغيرة وخرجوا يبشرون ويكرزون لدى جميع الشعوب والأمم لكي يخدموا العالم كما يجب ويسيرون به نحو ميناء الاتفاق والسلام، إذ وجدوا بأن عليهم واجباً أن يهتموا بالعلوم والمعارف حتى تخرج منهم حكماء وفلسفه كثيرون وبلا عدد وقد اشتهر من بينهم في الشرق والغرب الحكيم زينون الفينيقي الذي عاش في الجيل الثالث قبل الميلاد، ومارا ابن سرافيون الذي عاش في الجيل الأخير قبل الميلاد وأدرك البشارة المسيحية.

إن الحكيم زينون معروف بين جميع الحكماء والمتعلمين، وحكمته المشهورة معروفة باسمه وكانت أساساً للكرازة بال المسيحية في شعوب الشرق والغرب وكان يدعو الشعوب ويعلّمهم بأن خلاص النفس وسعادتها تكمل بآلام الجسد، فقام ضد هذا الرأي أناس من فلاسفة اليونان وعلموا بعكس ذلك وبيتوا بأن الإنسان يقتضي أن يتّعم ويتلذذ بالجسد الإنساني ثم يملك لنفسه السعادة، فالسريانيون ومن ثم باقي الشعوب في الشرق تمكّوا بأفكار زينون الحكيم وبلغوها وعليها ثبتو العادات والإيمان المسيحي وانتصروا أكثر من الجميع.

في الثلاثة أجيال الأولى قبل المسيح كانت أزمة وصلت الأديان السريانية القديمة إلى بلاد أوروبا. كما كانت الآراء الفلسفية اليونانية تنتشر بين السريانيين وكذلك الأفكار الدينية كانت تنتشر بين الأوروبيين والنتائج التي حصلت من تفاعل تلك الآراء كانت عظيمة. كما أن اليونان والروم انتصروا بفتحهم لبلاد الشرق، هكذا أيضاً السريانيون أمكنهم أن ينتصروا ويوصلوا آرائهم الدينية إلى كل العالم الغربي وحتى أيامنا هذه فإن مجمل تلك الآراء ما زالت متسطلة على حياة الشعوب. ولو لا خدمة السريانيين بهذا المجال لكان الغرب حتى الآن خاليًا من الحقيقة الدينية التي هي أساس المدنية (الثقافة) وكانت تخرج من مدينة الرها وأنطاكية جوقة من الكاروزيين المبشرين والملائكة وأصحاب المعارف إلى جميع أقطار العالم. وبواسطة الفلسفة اليونانية وحكمة الديانة السريانية وامتزاجهما اتحد الشرق مع الغرب مدة طويلة. ثم اتحدت أيضاً عقلية الأمتين فتشكلت منهما المدنية العالمية الكبرى تحت راية المسيحية وفتحت الغرب بواسطة ثورة إيمان الشرق. وترجمت كتب ومؤلفات كثيرة في أول ظهور المسيحية من اللغة الآرامية السريانية إلى اللغة اليونانية ومنها أسفار الشريعة القديمة التي عرفت باسم الترجمة السبعينية وبين اليونانيون مدنًا كثيرة في مناطق سواحل البحر المتوسط مثل مدينة أنطاكية ولاذوقيا وبيروت وقيسارية مع مدن يونانية أخرى بنيت داخل أراضي بين النهرين مثل مدينة سلوقيا وغيرها.

مع كل هذا التوسيع وانتشار اليونانيين بين السريانيين فإن اللغة الدارجة العامة لدى الشعب بصورة دائمة كانت الآرامية السريانية، إذ إن اللغة اليونانية بالأخص لم تخرج من نطاق المدرسي، ومنذ أن باشرت هذه الحالة التعليمية ومزج واختلط التعليم السرياني

واليوناني منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وامتدت هذه الثقافة المزججية (الهيلينية) حتى ظهور العرب المسلمين. ولما انتهى الحكم من يد اليونان عن البلاد وأصبح الحكم بيد الروم فحيثُنَّ استتبَّ الأمن والسلام في البلاد بواسطة القوانين الإدارية والتربية الصحيحة التي سنتها الروم. فحيثُنَّ ظهرت وتوسعت الديانة المسيحية التي انتشرت بصورة عجيبة في جميع العالم القديم المعروف بالقسم الغربي للبلاد السريانية أي في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وبين النهرين وفونيقي، وانتشرت في بلاد الشرق والتي كانت تحت حكم الفرس وبالتالي لم تنتشر الديانة المسيحية كما كان مطلوباً.

من الطبيعي أن يُركز بال المسيحية بين الشعوب السريانين، ولكن كثيرين منهم بقوا متمسكين بوثنائهم القديمة ولم يقبلوا الديانة الحديثة بسرعة ومن هؤلاء الذين ثبتوها في وثنائهم بقى لنا ذكر الفيلسوف السرياني مارا ابن سرافيون الذي هو واحد من الكتاب الكبار والمأهرين لدى السريانين والذي عرف بعظمة حكمته.

بووضوح صريح تظهر روح العقل والفلسفة اليونانية في الآداب السريانية وخاصة في كتب ومؤلفات مارا بن سرافيون وهذا دليل على انتشار اللغة اليونانية في الأماكن التي نبعث فيها الحضارة اليونانية، ولأجل هذا قد ألفوا بها كتباً كثيرة باللغة السريانية واللغة اليونانية. وكان رؤساء الشعب يتفاخرون جداً بحكمتهم وباللغة اليونانية.

ومن السريان الذين ألفوا كتباً كثيرة وباللغة اليونانية:

زينون ويونا فم الذهب، ولوقيان الشميشاطي في الجيل الثاني، وأوسابيوس القيسيري سنة 340 م. وطيطوس البصري سنة 371 م،

وساويروس الأنطاكي سنة 538 وغيرهم، ونهج أكثرهم نهج اليونان.

يوجد من مؤلفات مارا بن سرافيون رسالة واحدة باقية حتى أيامنا ويظهر فيها استعمال العقلية السريانية بحسب المدينة اليونانية. ويظهر أن مارا عاش في الجيل الثاني بعد الميلاد، وقد كتب مارا رسالته هذه إلى ولده سرافيون إذ كان وثنياً ولا بد أنه اعتنق المسيحية وذلك لورود تعبير تدلّ معانيها على كرازته بالمسيحية. حُفظت من فقدان من قبل بعض المؤمنين السريان وفي هذه الرسالة كتب مارا:

من مارا بن سرافيون إلى سرافيون أبني السلام:

إنه قد كتب لي سيدك ومربيك يخبرني بأنك مجتهد كثيراً في طلب العلم، وأنت ولد صغير بارك الله فيه، ومع أنك طفل صغير السن ومن دون مربي. فقد فكرت فكراً صالحاً، وهذا ما هو لي فرح منك، لأنك صغير السن وفكرك كامل وغاياتك صالحة. ففهمت كثيراً بالسرعة ما لم يكن أن يفهموه كثيرون، ولهذا السبب كتبت لك هذا لأذكرك بما فحصه في العالم.

أما أنا فكانت عندي معلومة حياة الإنسان، وتوصلت إليها وكيف أ sisir في العالم، وهذا كلّه من العلم الذي لليونان، وفي أثناء ولادة الأحياء فإنهم يفردون بالعالم. فكن مجتهداً يابني منذ الآن بما هو مستحق لبني الأحرار فأولاً تعلم القراءة وثم بعدئذ الحكمة للإدراك، وهكذا فكّر كي تتقوى بما باشرت بعمله، وكن متذكراً للأوامر، (١٠١، ١٠٢، ١٠٣)، اعتناء كإنسان أرسل إلى اقتباس المدنية (القراءة) عندئذ، (١٠٤، ١٠٥، ١٠٦)، ولكن مدة قليلة من الزمن تجدها صعبة، وإذا تمعنت بها، (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩)، لذىذه، أنا أيضاً كانت صعبة عليّ وإذا أحد ما توفي له شهادتان، (١١٠، ١١١)،

عائلته صنع له صورة (تمثال) واحتفظ فيها، ويصنع له ما يستوجبه ذلك الإنسان الفاضل، والمسمى برকه الله. والذي يرى شيئاً آخر يقاس بشخصية الشخص. أما الناس الذي يدعونهم للتعليم يطلبون أن يتخلصوا من الجهاد الزمني. فالذين يتمسكون بالحكمة فإنهم متصلون برجاء من العدالة والذين يلزمون الحقيقة فإنهم سيحصلون على سعادتهم والذين يدرسون الفلسفة فإنهم يتظرون أن يتخرجوها من عوacb العالم.

وأنت يابني بالحكمة كن كرجل صالح يريد أن يحيا حياة زاهية فتذكّر أن لا تضلّك الأموال والمقتنيات العالمية لأنّ كثيرين هم العطاشى إليها، ولكن ليكن اجتهاذاك الكلّي في طلب الحكمة، فإنّ البشر بواسطتها يكونون صالحين ولا يلزم لهم أن يقتنوا ما يشتهون إليه، فإنه كلما نراه في هذا العالم أنه سيزول كالحلم بعد مدة قصيرة من حيث حسب سير الزمن أنها تكثر ثم تنقص.

فمن الآن لا نفكّر بأن ذلك يفرح بكثرتها الناس، ولكن سريعاً ما تأتي الآلام خاصة في ولادة أبناء له أعزاء عليه، وهي ظاهرة في كلتا الحالتين محزنة لنا، ومحبة السعادة أيضاً تضيق علينا. ولكن العادة هي التي تدفعنا إليها، وتقول الناس وكأنّهم يعاتبون الزمن. إننا أصبحنا غرباء عن أبناء قبيلتنا وليس لنا مكان لكي نرجع إلى مديتنا ولرؤيه أقربائنا، ودور الهناء بمجد عظيم. وكان يلزم علينا أن نسمى ذلك اليوم يوم المصيبة. إذ فيه تسلط علينا فكرة وحساب ثقيل، فإنّهم بهذا أيضاً يتذكّرون آباءهم وأيضاً يكونون مشتاقين لأمهاتهم ويصعب عليهم فراق إخوانهم وبعدهم عن خطيباتهم.

عند سماعهم خبر رفاقهم الأولين بذهابهم إلى مدينة سلوقيا

يخرجون لموافقتهم وهنا تزداد مصيبة على مصيبة، يزداد القلق الفكري أيضاً. ثم يبدأون بالبكاء بسبب الهلاك الذي تلبدت كال العاصفة مصيبةنا واضطرب فكرنا. واحد منا لم يتمكن أن يدفع عنّا المصيبة التي أصابته. إلا أن كل إنسان يروم أن يعيش الحياة الخيالية، والآلام والموت. فيا له من سوء ظن، فلقد وجدنا إخوتنا وأولادنا مكتوفين وتذكّرنا رفاقنا بأنهم ماتوا ودفنوا في الأرض الغريبة وكل واحد منا مهتم بنفسه كي لا تسلط عليه الآلام ولا تكثر عليه المضائق على المضائق، ولا تتبع الشر بالشر الذي عبر ومضى، وإنما هو مكسب الذين هم مكتوفون وقد اعتادوا على الحالة التي هم فيها. أما أنت أيها العزيز لا تحزن على وحدانيتك التي تعذّب من مكان إلى مكان، فلهذا ولد البشر ليتحملوا ويسيروا ويتشجّعوا على تحمل نوائب الزمان. فلتكن تعرف أن كل الأرض متساوية عند الحكماء دائمًا يجدون لهم كثيراً من الطيبين فيكونوا لهم كتابة وأمهات فخذ إذن لنفسك معلماً. فكثيرون هم الذين لا يعرفونك ولكنهم يحبونك وأولادهم، وكم أيضاً من النساء الكثیرات اللواتي يجعلونك كأحبابهن لا من حيث قد أحسنت ولكن بسبب غربتك ولو لا صغرك لم يكن يزداد حب الكثيرين نحوك.

فماذا نقول إذن عن الخطيئة التي كثرت على الأرض وأساءت للعالم. إننا أبرياء، ولكننا نخاف منها كما يتحرك العود أمام الهواء. إني أتعجب من الكثيرين الذين يخدعون أبناءهم. كما وإنني أحترم في الذين يربون أبناء الآخرين، وتأخذني الدهشة بالناس الذين يقتلون أموالاً في العالم وليس لهم ورثة. فهكذا فكر وتذكّر التائبين في طريق قطع الرجاء.

قال لنا الحكيم على أي مقتنيات يتكل الناس أو على أي أعمال

يتكل الإنسان أعلى الذين يثبتون أكثر أم على الأموال التي تخفي أو على العمارات التي تنهب أم على المدن التي تخرب عن العظمة التي تخذل أم على الجمال الذي يفني، على الكبرياء الباطلة أو على الحسن الذي يذبل على القوانين التي تزول أم على الفقر وال الحاجة أو على الأبناء الذين يموتون، أم على الأصدقاء الكاذبون؟ وهل على النصر الذي يدمره الجسد؟

لهذا السبب فليفرح الرجل بوعده مثل دارا ملك الفرس.. وفي أموال مثل بقراط... وفي قوته مثل أفالو.. وفي زوجته مثل ممنون.. وفي نسله مثل قوبابيونوس.. وفي مهارته مثل أرخميدس.. وفي حكمته مثل سقراط.. وفي علمه مثل فيثاغورس^(*).. وفي شجاعته مثل كفولوميديس، فإن حياة الناس تزول عن العالم والأعمال الصالحة تمدح وتذوم إلى الأبد.

أنت يا بني الصغير، فتش على شيء لا يليل، من حيث الذين يعيشون بأنواع صالحة يحبون، متواضعون ومحبوبون ويستحقون الاسم الصالح وإذا يصادفك الشر لا تغضب أحداً لثلا تغضب الله، ولا تحزن على وقتك. فإذا سلكت هكذا. فجزاؤك عظيم عند الله ويكون جزاً لك غيرك لم يقتنيه، وغناك لم يقرب إليه الفقر، دبر إذن حياتك من دون خوف فتفرح فرحاً كما تريده من حيث إن الخوف والعتاب ليسوا من خواص الحكم. إلا أنها خواص الذين يسيرون من دون قانون (شريعة) فإن الإنسان لا يخلو من حكمته كما يخلو من ملكه. فاهتم

(*) (القرن السادس) فيلسوف ورياضي يوناني. تفرغ لدرس الحكمة وعاش مع أتباعه حياة مشتركة في الزهد، يعزى إليه تقويم الحساب المعروف بجدول فيثاغورس في الضرب. قال بتناصح الأرواح وبقيام الكون على حركة الأرقام (المراجع).

إذن بالحكمة أو الغنى من حيث إنه كلما زاد المال. كثرت الشرور، وأينما يزداد الصلاح يقوم عكسه الشر، وأينما تتقى الأفراح. فهناك تتبعها الضيقات وحيثما تكثر المقتنيات. فهناك تحدث الشدة سنيناً كثيرة، فإذا فهمت هذا وتمسكت به بحذر لم يتركك عون الله في زمن شدتك وحاجتك إليه وكذلك لم يقل إنسان عن محبتك. وكفالك شيء الذي تمكّن أنت الحصول إليه، وإذا تمكّن أن تبقى بلا شيء فأحسن. فيكون لك شهرة طيبة ولا يتمكّن أحد أن يحسدك. واعلم إذا لم تقنن أموالاً في حياتك تكون سعيدة والذي يموت لن يسمونه صاحب أملاك. أما ضعيفو الأفكار والعقول يتهجون ويفرحون بالأموال والممتلكات لأنهم لا يعرفون كعباً سبيلاً يعبر الإنسان ويعيش في أملاكه، فإذا يخافون أن تبقى هذه الأملاك لغيرهم فيترونها لهم ويريدون الذي ليس لهم.

ماذا نقول إذا أخذ الحكماء بسي من قبل الظالمين فتحسب حكمتهم بالزور والبهتان فظلموا فطتهم ومهارتهم وليس من يخلصهم. فيما إذا إذ استفاد الأثينيون من قتل سocrates، إلا أنهم أصبحوا طعاماً للجائع والمرض والوباء، أو ماذا ربح سكان ساموس من حرق فيثاغورس إلا أن مدنهم جميعها ردمت بالرماد حالاً أو ماذا اكتسب اليهود من قتل ملوكهم الحكيم، فإن مملكتهم انقرضت من ذلك اليوم، وهكذا فإن الله انتقم من هؤلاء الثلاثة حسب حكمته فإن الأثينيين ماتوا حالاً من جوعهم وأغرق البحر سكان ساموس ولم يمكنهم أن ينجوا بأنفسهم، ودفع الخراب باليهود وطردوا من مملكتهم وتبددوا في كل قطر وجهة. فلم يكن سocrates قد مات ولكنه احتمى في السراي ولم يتم أيضاً فيثاغورس لأجل تمثال هارا، وهكذا أيضاً لم يتم الملك الحكيم من حيث وضع الأحكام والشائع الجديدة.

أنا يا بني، أيضاً، جرّبت ضعف البشر وتعجبت كيف أن الشرور تحيط بهم ولن تفرقهم (تخنقهم) وكيف لا يتأدبون (يعتبرون) من الحروب والأوجاع والفقر والموت، إلا أنهم كحيوانات الوحشية يغضون بعضهم بعضاً في زمن العداوة، ويزعج واحد الآخر بكل نوع الشر لرفاقه. فقد عبروا حدود الحق والعداوة وداسوا على جميع الأوامر الصالحة من حيث إنهم مقيدون بشهوات أنفسهم. فكم مرة يغض الإنسان الذي كان يحبه فكيف إذن يمكنه أن يصنع ما يستحقه من الحق، وإن البشر لا يعرفون الوساطة والتقدير. أما الذين يصبرون ما يستحقه الحق، وإن البشر لا يعرفون الوساطة والتقدير أما الذين يصبرون يمدون أياديهم نحو الحق ونحو الخواص الصالحة، وأما الذين يعيشون حياة قاسية كالعميان والصم، فإذا كانوا جاهلين يفرحون والصالحون يخافون. والذي ليس له يجتهد أن يكون له، الفقراء يطلبون والأغنياء يغطون وجوههم وكل واحد منهم يستهزئ برفيقه. السكارى يجنون وإذا كانوا متلهفين، يوجد منهم من يبكي ويوجد من يغنى، ومنهم من يضحك، ويوجد منهم قلقين بأفكارهم، وبالشر يفرحون. وعن رجل يتكلم الحق يبتعدون. فمن هؤلاء يتعجب الإنسان وإذا كان العالم يتعدّب بالمذمة حينئذ لا تبقى ولا حجة للحياة. ومع كل هذا فإن كل إنسان من البشر يجتهد ويستهوي ليسمع بشارة الانتصار في القتال، ولكن الأبطال يضللون في هذا العالم، وكم من الذين اتضعوا (ووقعوا) لسبب أعمالهم الشريرة. ويا ليت بعض منهم يندمون؛ من هؤلاء الذين يفكرون بالغلبة بواسطة قوتهم فيقعون أمام شهواتهم. فإني قد جرّبت النساء وعرفتهم في هكذا تجربة هؤلاء الذين يتمسون لهذه الخصال التي هي كثرة الأموال والمقتنيات. فمن أجل هذا لا يرتاح ضميرهم ولكنه يتقلب بحسب اختلاف حقولهم. وفي زمن الأجل يهلكون سريعاً. ومنهم بالعكس من لا يبالي بأموال

العالم وكثرة المقتني. لثلا تتبدل أفكارهم وبذلك من دون تمييز يسلّمون أفكارهم إلى التعب والقلق وإن أللذ شيء عند الناس وهمهم هو ملء بطفهم، وهذا هو أصل الشرور كلها.

لقد كتبت لك ما جاء بفكري، ولا يكفي أن يكون لك للعلم فقط لكن يلزم أن تقوم به بالعمل وإنني أعلم إذا تعودت على حياة كهذه، فحينئذ تفرح بها كثيراً وتبتعد عن الأعمال الهمجية القبيحة. فالسبب أن الأولاد يتظرون كثرة الأموال. فاخترج إذن من الآن عن التعب المرغوب لدى الناس من حيث إنه لا يفيد شيئاً وابتعد عن الجنون الذي لا يوجد فيه مكسب، إذ إنه ليس لنا فيه رغبة أو مقدرة ولا سبيل لنا لإبعاد الشر وتحمل الأعباء التي يخلفها لنا الزمن، ولذلك أفضل لك أن تنظر إليها، وليس بغيرها من السبل المملوءة فرحاً ومفاجآت لائقة. فمن الآن اقترب بنفسك إلى الحكمة التي هي منبع جميع الخيرات، وهي الخزينة التي لا تنفذ، وعندئذ قف مكانك وأراح نفسك. فيكونوا لك أباً وأمّاً ورفيقاً صالحًا في حياتك، واحتفظ بالرجاء والصبر. ففي هذا يتقوى الضعفاء لمواجهة قطع الرجاء. فيتشجعون بصرهم ويتجملون الجوع والعطش ويأخذون التدبير في كل ضيق ويمكّنهم الكلام عن التعب والموت. فتمسك بهذا كله لكي تحيا حياة هادئة فتكون بؤبؤ عيني وفخراً لوالديك إذ يذكروك. ففي الزمن القديم إذ كانت مديتها في ذرورة مجدها كثيرون كانوا يستهزئون بكلمات مشينة، ونحن اضطرنا الزمن وأنزلنا من درجتنا ولم يوجد مساواة بالمحبة الصافية كما يليق، وفي هذا الزمن يجب أن لا تتم ما هي مكتوبة في عقولنا، وإننا بهذا متمسكون بنعمة الله، وإننا قد حافظنا على محبة غيرنا حذرین على أنفسنا لكي نفرح بالحكمة لثلا يأخذنا أحد بقوة وبعمله يكون شاهداً على نفسه بأنه بعيد عن كل عمل صالح.

لم يتخذ سوى السخرية والهزل لأن الذين في الملوك لا يفكرون في الشر. أما أن الروم لو سمحوا لنا بأن نرجع إلى بلدنا فإنهم يفعلون العدل والحق مثل أناس في قلوبهم الرحمة. وواجب علينا أن ندعهم صالحين عاقلين، ويكون في بلادهم السلام والوئام، وبهذا يُظهِرون عزة أنفسهم إذا أطلقوا علينا ونطع الملك الذي أعطى لنا الأمان، ولكن لا يطردونا كما طرد الظالمون العبيد، وإذا كان أمرنا بأجلنا فلا يصلنا سوى الموت المريع الذي كتب علينا.

وأنت يابني إذا أردت أن تعرف هذا يلزمك أن تتسلّط أولًا على الشهوة وتتفَكَّر في عظمة الأعمال التي تفعلها واحذر من الغضب وافعل صالحًا عوض الغضب. فأنا الآن أفكر في نفسي لعلّي أترك الكتب والحكمة، ولا أسير في الطريق التي يسير الناس فيها كي أتخلص من دون خوف من الخراب والشرّ الخاص بهذا العالم. فأصلّي كي أعبر من دون خوف من الموت وإذا كان أحد يحزن أو يتأثر عليّ، فواحدة أطلب منه أنا لا نوافق بهذا العمل، حيث إننا سوف نحظى هناك سوية، وأنا سنكون قد سبقناه في طريق العالم.

يقال إن واحداً من أصدقاء مارا بن سرافيون سأله وكانت يداه موثقان فقال: اقسم عليك بحياتك يا مارا أن تقول لي ما سبب ضحكك؟ وماذا رأيت حتى ضحكت؟ قال له مارا: إني أضحك على الزمن إذ لم أفرضه، فإنه يجازيني بالشر.

من كلمات هذه الرسالة يظهر للقارئ بأي كلمات تأدبية وحكم أخلاقية يعلم مارا ابنه، إذ إنه بكلمات مختصرة جمع كل الأفكار العجيبة والعظيمة، وكان مارا من تلاميذ زينون الحكيم الذي بمؤلفاته قد تحققت المبادئ للديانة المسيحية، وإن أكثر مؤلفي السريان كانوا

متحرّجين مثل مارا المعلم والمؤدب، وزينون الحكم عاش في الأجيال الأولى لتنصرهم. إن حكمه زينون كانت ترمي إلى ما تكلّمنا به آنفاً، والتي تنهي الإنسان عن شهوات الجسد، ولكن ليهتم بما يخصّ النفس ويفيدها وعلى هذا الأساس ثبتت مدينة السريان.

من رسالة مارا يظهر بأن الروم قد ألقوا القبض عليه، حيث حسّبوه من الناس الذين أرادوا أن يتزعّوا عنهم الطاعة للروم، ويتمرّدوا على حكمهم. فأرسل مع كثيرين بالمنفى إلى مدينة سلوقيا بأرض النهرين ويدرك برسالته إلى ابنه، عن الشرور التي أصيّب مدحّتهم، ولسبب كبرائهم وصل خرابها ليد الروم، فقتلوا وبددوا وأسرّوا من سكانها، وعاملوهم بالشرور التي قابلت ظلمهم.

يبين مارا أيضاً ضعف تدبير رفاقه الذين أخذهم بصورة عامة لكثرة الشعب إذ يسخر بضعفهم لأجل قطع رجائهم وقلة تفكيرهم. ثم يبيّن أيضاً خراب أورشليم بعد صلب السيد المسيح، وعن سقراطيس (*) وفياغورس.

إذاً أمعن القارئ النظر تماماً وتأمل قليلاً، يجد أن رسالة مارا قد تعرّضت لاختلافات كثيرة بواسطة كتاب كثيرين عبر السنين والقرون، وأن المسيحيين الذين حفظوا هذه الرسالة لاستنادهم إليها كشهادة

(*) أو (سقراط) (نحو 399-470 ق.م.). فيلسوف يوناني ولد في أثينا وعلم فيها، فأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكرة. جعل محور الفلسفة معرفة الإنسان ذاته، ودرس تصرفاته والتوصيات التي تدفع إليها وبهذا أسس علم الأخلاق. كان تعلّمه شفهياً عن طريق السؤال والجواب. فساعد تلاميذه على اكتشاف المعرفة بذاتهم. حارب السفسطة وانتقد الحكم فاتهمه أخصامه بالزندقة وحكموا عليه بالإعدام ففضل الموت على الهرب احتراماً لشريعة مدينته. شرب السم فمات في سجنه. وصلت إليها تعاليمه في كتب تلميذه أفلاطون وكسيروفون (المراجع).

للكرازة بالإيمان المسيحي فلا بد أنها لأجل هذا نجت من التمزيق
كبقية المؤلفات والقصص السريانية التي مزقها المؤمنون منهم.

ولد مارا في مدينة شميشاط، وكتب رسالته باللغة الآرامية المستعملة في مديتها بحسب لهجة الآرامية الشرقية، وأرسل رسالته إلى ابنه الصغير، وكانت اللغة الآرامية بهذه الفترة منتشرة في البلاد الشرقية، التي أصبحت لغة جميع سكان المنطقة الغربية في ما بعد والتي كانت متشرة بين النهرين وفارس وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والجليل والسامرة وسيناء. وحيث كانت اللهجة الغربية منتشرة، التي لم تتمكن من الانتشار إزاء العرائيل التي كانت ضد اللهجة الشرقية. وكانت البشاراة بال المسيحية أولاً باللهجة الغربية، وتحقق بعد ذلك الأمر باللهجة الشرقية وخاصة في اللهجة مديتها الراه ونصبيين. وبعد فقدان اسم اللهجة الغربية و اختفاء أثرها بسبب الاضطرابات الدينية والانقسامات الطائفية حوالي القرن الخامس الميلادي، ظهر من جديد اسم سرياني، الشرقي والغربي، فأضحى اسم اللهجة الغربية يُعرف باللهجة الشرقية وكان مقرّها الأصلي ومكانها الخاص في مدينة نصبيين، كما كانت مكان اللهجة الغربية مدينة الراه.

إن اللهجة الغربية الأولى كانت اللغة التي تكلّم بها السيد المسيح أثناء بشارته الخلاصية التي كانت بشارة الأخوة العالمية والمحبة الحقيقة بالآله الواحد المجد. الأب الواحد المتعالي على جميع الشعوب والأمم، وفي اللهجة الغربية السريانية دعوا الناس جميعهم في كل جهة وقطر من العالم إلى المادية الآلهية. وقد عرف المسيح وتلاميذه باسم الجليليين من حيث كانوا من الجليليين في الجهة

الغربية لفلسطين، وكان أكثر سكان الجليل سريانيين بالجنس واللغة، حيث كانوا قد تفرقوا من أرض بين النهرين إلى بلاد فلسطين وسوريا من قبل الآثوريين في زمن سرجون الثاني حوالي الجيل الثامن بعد سبي اليهود، وسموا ببلادهم الجديدة باسم الجليل أي الجلي (السي) وفي لغة هؤلاء الجليليين بدأت الكرازة بال المسيحية من الرسل والكتاب الآخرين من المسيحيين الأوّلين وفي اللغة السريانية ترجمت أكثر الكتب إلى اللغة اليونانية وغيرها ولهذا السبب يجد القارئ ترجمات غريبة يوجد فيها كلمات سريانية كثيرة، كلمات تركها المترجمون باللغة السريانية وفي جميع الترجمات التي في العالم من ترجمات الكتاب المقدس ومن الكلمات السريانية التي ذكرت في ترجم باللغات العالمية، هي (طليثاقومس) و (ايل ايل لماناشبقتناني) و (مران آنا) وغيرها.

بسبب كثرة الحروب التي قامت في الشرق والقتال الرهيب والتجارب المخيفة التي حلّت في الأمة السريانية الكبرى فقدت أكثر النسخ القديمة المكتوبة باللغة الآرامية، حتى التزم السريانيون من جديد أن يترجموا كتبهم من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية. وبسبب هذه الترجمة حدث تغيير في فهم بعض من المقاصد الروحانية في الكلام. فوقع بين السريانيين شيء من البلبلة في المعتقد حتى انقسم الشعب إلى قسمين كبيرين وأجزاء عديدة. فاستعمل المسيحيون في سوريا وفلسطين الترجمات الحديثة في كنائسهم. حيث كانوا يبعدون عن فهم الكلام ومعانيه اللغوية الأصلية، وفي زمن السريان الملكيين استعملوا الكتابة التي كانت مختلطة بالكتابات اللغوية السريانية كثيراً من شرقية وغربية، حتى اختلطت اللهجتين الفلسطينية والجليلية

وتدريجياً زال وأصبح منسياً وحلّ محله اللغة الراهوية التي فاقت وتغلبت على جميع اللهجات من أخواتها في العائلة السريانية وقدر لها أن تبقى حتى أيامنا هذه بعد أن كبرت وأثمرت وأعطت ثماراً صالحة وهي لغة خاصة للديانة المسيحية في الشرق كله، وقد انتشرت من بلاد الهند حتى الشمال الغربي من أفريقيا، ومن بلاد قفقاسيا وأسيا الصغرى وقادوقيا وحتى بلاد العرب وبلاط مصر، وكانت لغة فارس حتى الجيل السابع بعد الميلاد، ودامت في سوريا حتى الجيل الرابع عشر، وفي لبنان (وخاصة في شمالي لبنان حتى أوائل الجيل التاسع عشر)، وفي هذه الأيام ما زالوا يتكلمون بها في المدن الحصينة التي يلتजاؤن إليها كقرى معلولا وجبعون وبقعة وعين تين بالقرب من الشام من بلاد سوريا. وأيضاً في المدن والقرى الكثيرة من جزيرة سوريا، من حسجة وقامشلي وغيرها، وفي طور عدين بتركيا الجديدة وفي قرى الموصل وبغداد وفي جبل حيقارب وفي مناطق وان وأورميا وأذربیجان في حكم الفرس وفي ملبار الهند وكذلك في كنائس كثيرة في الشرق يستعملون اللغة السريانية وهي عندهم لغة دينية كنسية.

بقيت اللغة الآرامية حتى أيامنا متشرة أو متفرقة في كل بلد وقطر من بلاد الصين وحتى بلاد أوروبا ومن بلاد البحر الأسود حتى بلاد العرب والحبشة وهذه علامة تظهر عظمة اللغة ووسعها وغنائها الثقافي التعليمي، وكانت اللغة القديمة في العالم من الجيل السادس قبل الميلاد وحتى الجيل التاسع بعد الميلاد أي حوالي ألف وخمسين سنة، وليس هناك لغة أخرى توصلت إلى العظمة والانتشار في العالم كاللغة الآرامية التي مر ذكرها، سوى اللغة الإنجليزية في أيامنا هذه.

قامت اللغة السريانية بمنازعات وجدلات كثيرة مع بقية اللغات

كاليونانية في سواحل البحر والعربية في حدود الجزيرة العربية، حتى تمكّنت العربية من الغلبة بسبب قرابتها السامية مع اللغة السريانية إذ تعودان إلى أرومة واحدة، فهما شقيقتان لأم واحدة.

أقبل السريان سكان فلسطين وسوريا وبين النهرين وفارس الغربية وأسيا الصغرى على الانتماء إلى اللغة العربية وهي القضية التي عنها وبسببها أخذوا تسميتهم بالعرب وخرجوا منذ القدم من حدود السريان.

إن الفخر العظيم للسريان الذين حافظوا على سريانيتهم في الزمن الذي كانت فيه أجيال المسيحية أجيالاً ذهبية وعلومهم عظيمة ومشهورة ولهم محاسن في لغتهم وفصاحتهم الآرامية كانت كبيرة، وأثبتوا بأن الآرامية هي اللغة الوحيدة تمكّنت أن تنتشر تحت المفاهيم والعقول جميعها عند الشعوب والأمم السامية، ولم تكن أي لغة سامية من اللغات القديمة والحديثة التي مرت تساويها في عظمتها، وقد تفوقت عليها اللغة العربية بهذه الخاصية. أعرب عبد يشوع الصوباوي في الجيل الرابع عشر الميلادي أن اللغة السريانية هي اللغة الرئيسية لجميع الشعوب السامية.

لنا أمل كبير أن نقدم للقراء السريان جزءاً آخر لهذا الكتاب نشرح فيه عن جمال وفائدة اللغة السريانية وعقلية كتابها وفصاحتهم ومقدرتهم وإنشائهم ومؤلفاتهم وكتبهم الدينية والأدبية والفكرية، وأنواع علومها وجميع المعارف، هذه التي لا يتمكّن المنطق من التعبير عنها، وأنه في جميع الأجيال فإن العالم المدني يزيل عطشه من بحر حكمتها التي ليس لها نهاية.

لهذا السبب يقول الكتاب الكبار في هذه الأزمنة العالمية بأن العالم السرياني هو مذنب تجاه ميراثه وثقافته الصالحة التي كانت أساساً لمدنية قائمة في هذه الأزمنة الأخيرة.

إن المعقّبين الحكماء من دون فتور وانقطاع يبحثون عن الكنوز الفنية في العلوم السريانية في كل الأجيال التي هي حتى الآن مدفونة ومحفية عن الأنظار.

الفهرس

-ز-	أنونا: 185
زنobia: 17، 168، 167، 166، 163، 168	أهرون: 26
زيتون: 212، 223، 222، 214، 214، 223	أور: 19، 36، 55، 104، 122، 122
-س-	180
الساميون: 21، 34، 47، 50	اشمنعزر: 137، 136، 135، 132
، 145، 144، 120، 102، 76، 51	الأموريون: 34، 44، 42، 55
181، 153، 148	142، 77، 56
سبتيميا زبیدا: 166	-ب-
النبي البابلي: 19، 174	الباباويون: 186
سرجون: 10، 20، 35، 37، 38	بنت زبدي: 166، 167
، 55، 54، 53، 51، 50، 44، 39	-ت-
، 102، 101، 86، 79، 76، 56	تيماؤس: 28
225، 195، 181، 141، 117، 106	-ح-
سركون: 37	حايا: 131
السريانية: 1، 3، 7، 9، 10، 11	حرقيا: 20
، 13، 14، 18، 22، 25، 26، 27	حنين بن إسحق: 30
، 29، 33، 34، 35، 36، 40، 41	-د-
، 42، 43، 44، 46، 47، 50، 51	درمسوق: 147، 148، 162، 180
، 52، 53، 54، 64، 67، 70، 71	-ر-
، 72، 73، 76، 77، 79، 80، 85	رقيم كلمو: 20
، 90، 101، 102، 103، 104، 106	
، 107، 114، 115، 116	

- عشتر: 94، 98
- بن عقرب، عميرا: 171
- ف-
- فهرا بن شللا حربي كديمث: 171
- الفينيقية: 17، 34، 38، 42، 121، 139، 123
- ق-
- قرطاجنة: 42، 117، 121، 123، 165، 138، 127، 126، 124
- القلم الآرامي: 23، 24
- ك-
- كركميش: 64
- الكنعانية: 34، 43، 47، 116
- ، 124، 123، 122، 120، 118
- ، 140، 139، 138، 127، 126
- ، 151، 146، 143، 142، 141
- 158، 156
- م-
- مارا بن سرافيون: 214، 215، 222
- مسارجويه: 26
- ص-
- الصابئة: 174
- ع-
- بن اطيق، عبد عبيد: 172

بن الحكم، مروان: 26

المسماري: 12، 13، 38، 81، 82، 206

نبنوی: 12، 20، 38، 40، 42، 53

71، 69، 68، 67، 66، 65

184، 181، 177، 167، 75، 73

205، 204

-ن-

النبطية: 151، 154، 162، 168، 171، 170، 169

بن عبد الملك، هشام: 26

هيرودوتس: 109، 191

نبوخذنصر: 19، 24، 75

نبونصر: 74

نرام سین: 54، 55

النساطرة: 18، 186، 191

ننسوس: 60، 62، 63، 64

-هـ-

نی-

بن عدی، یحیی: 28

الثقافة السريانية

يتناول هذا الكتاب تاريخ الحضارة السريانية التي برزت في عالم الوجود منذ الألف الثالث قبل الميلاد والشعوب التي رسمت خطوطاً الحضارة الأولى كالآكديين والبابليين ثم الآشوريين والكلدانين الذين حملوا مشعل الحضارة في بلاد النهرين، ومن ثم الكلعانيين والفينيقيين، أولئك الذين حملوا الأبجدية والحرف البسيط إلى العالم.

الكتاب غنيٌّ بأبوابه التي فتحها في صرح التاريخ القديم ومؤلفه هو الأستاذ إبراهيم جبرائيل صوماً، وقد نشر في الأرجنتين عام 1967 تحت عنوان *كتابو دماردوكو دسوريوبي*، أي كتاب الثقافة السريانية، بالحرف السرياني الغربي، فيما قدم المترجم الكتاب العام 1978 لابناء جلدته ووضعه في تصرف الباحثين المتعطشين لقراءة هذا التاريخ العريق المكتمل تاريخ أبناء عمومتهم العرب الذين تعاونوا معهم في بناء الحضارة العربية الشامخة لا سيما في الترجمة أيام الدولتين الأموية والعباسية.

• إبراهيم جبرائيل صوماً: باحث عراقي هاجر إلى البرازيل ووضع كتاباً عديدة تختص بالثقافة السريانية. توفي العام 1992.

• بطرس قاشا: شمامس عراقي اهتم بتاريخ السريان ولغتهم وتراثهم، نقل إلى العربية عيون هذا التراث ولا سيما الكتب التاريخية. منها: التاريخ الكنسي، وتاريخ الأزمنة.



- أصول المعرفة العلمية
- ثقافة علمية معاصرة
- فلسفة
- علوم إنسانية واجتماعية
- تقنيات وعلوم تطبيقية
- آداب وفنون
- نسانيات ومعاجم



المؤسسة العربية للترجمة